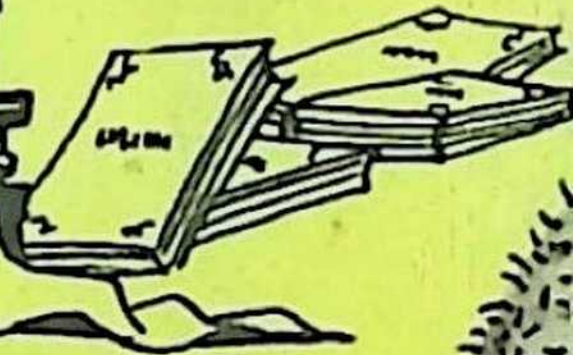




کتابی



زویض النمره!

لشکسبیر

وکتب آخری

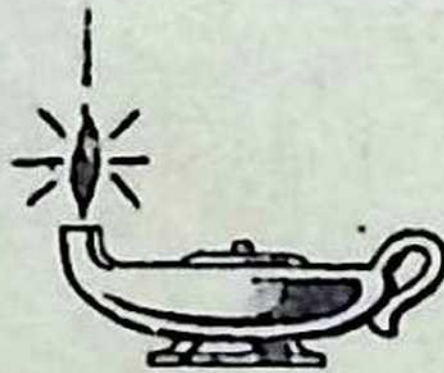
حامی مراد

۱۰ قروش

كتاب

كتاب شهري لتلخيص الكتب العالمية
يصدر أول كل شهر
صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

شعار الكتاب



مصباح الفكر عند الاغريق

الكتاب السابع والعشرون (السنة الثالثة) : مايو ١٩٥٤
الاشتراكات ومجموعة الاعداد السابقة : اقرأ التفصيلات بالداخل
الادارة : عمارة الجندول ، ١٤ شارع فؤاد الاول بالقاهرة
تليفون ٥٩٥٥٦ و ٦٥٦٠٨

عزيزى القارئ

فى مكان آخر من هذا العدد ترى نتيجة استفتاء «كتابى» الخاص بالتعرف على رايك فيه وفى ابوابه وموضوعاته ، وما قد يعن لك من اقتراحات ترغب فى ان يحققها لك على صفحاته ..

وقد كانت اول رغبة لك اسفر عنها الاستفتاء ، هى اصدار جميع اعداد كتابى ممتازة ، على نسق الاعداد الثلاثة الممتازة التى قدمها لك فى عامه الثانى .. وها انت ترى كتابى قد بادر الى الاستجابة لهذه الرغبة الكريمة التى تظهر مدى تعلقك به واستزادتك من مواده ولوحاته .. فصدرت اعداده ممتازة على التوالى ابتداء من بداية عامه الثالث فى اول مارس الماضى ..

اما بصدد استفتاءى اياك فى امر ابواب كتابى المختلفة وما قد يعن لك بشأنها من راي ، فقد جاءت النتيجة عجيبة حقاً ، تزيدنى شعوراً بالمسؤولية التى القيتها على عاتقى بهذا الاختيار ، اذ اجمع نحو تسعين فى المائة من القراء على انه «ليس بالامكان احسن مما كان» - على حد المثل المعروف - وعلى ان الابواب المنوعة التى درج كتابى على تقديمها اليك فى اعداده منذ يوم صدوره - سواء منها الابواب الثابتة التى تنشر فى كل عدد بانتظام ، والابواب التى تنشر بالتناوب بين الحين والآخر - ينبغى ان تبقى كما هى بلا تغيير .. الى حد ان ابنى اكثر القراء ذكرها وتعدادها ، مرددين فى شبه اجماع نفمة واحدة تدعو الى الدهشة حقاً ، هى ان جميع الابواب « بلا استثناء» شائقة وممتعة ولا غنى عن اى منها ! - وان اختلفت فى بعض الاجابات نسبة ترجيح بعضها على البعض الآخر تبعاً لاختلاف الاذواق والميول بطبيعة الحال ..

واما الابواب القصيرة التى سألتك ان كنت ترغب فى اعاتها او العدول عنها ، فقد جاءت اغلبية الردود تطالبني ملحاً باعاتها .. وعليه فقد رايت ان اجمعها لك فى باب واحد كبير فى القسم الاخير من الكتاب ، اطلقت عليه «دائرة معارف الثقافة العالمية» ، واضفت اليه تلبية لرغبتك باباً فى «النقد الفنى» يكون لك بمثابة الدليل النزيه الذى يرشدك الى الفث والسمين من ألوان الفنون التى لا يتسع وقتك لمشاهدتها جميعاً ، او التى ينبغى ان لا تضع وقتك وثقودك فى مشاهدة التافه منها الذى لا يستحق المشاهدة .. وختاماً ، اكرر لك العهد ان يواصل كتابى النهوض برسالته التى وجدت لها فى نفسك ابلغ الصدى .. يواصلها وقد استمد من تأييدك العزم مجدداً ، والجهد مضاعفاً ..

حلمى مراد

والله ولى التوفيق

كُتَابَات

أعداد نفدت

كتابي الاول : « خطايا الحب » وكتب اخرى ، وكتابي الثاني : « قلب عذراء » وكتابي الثالث : « الهاربة من الجنة » وكتابي الرابع : « حواء الجديدة » وكتابي الخامس : « احبب نوتردام » وكتابي السادس : « جريمة حب » .

أعداد توجد نسخ منها بالادارة

كتابي السابع « عشيقه نابليون » ، والثامن « مذكرات كيوبيد » ، والتاسع « صنم تحطم » ، والعاشر « حديقة الله » ، والحادي عشر « عندما تحقد المرأة » ، والثاني عشر « لعبة الحب والموت » ، والثالث عشر « توبة خاطئة » ، والرابع عشر « ايها الربيع ترفق » ، والخامس عشر « الشيطان على الارض » ، والسادس عشر « اليدى هاملتون » ، والسابع عشر « الارملة المرحلة » ، والثامن عشر « حياة جورج صاند » ، والتاسع عشر « حياة سارة برنار » ، والعشرون « رباعيات عمر الخيام » ، والحادي والعشرون « حياة بيتهوفن » ، والثاني والعشرون « حياة موسوليني » ، والثالث والعشرون « كوخ العم توم » ، والرابع والعشرون « الزوج والعشيق » ، والخامس والعشرون « البوهيمية » ، والسادس والعشرون « فتاة لها ماض »

◆ وبطلب من صاحب كتابي ١٤ شارع فؤاد الاول بالقاهرة (عمارة الجندول)، وثمان كل عدد ١٠ قروش خالص اجر البريد (المسجل) ما عدا الاعداد ١٣ ، و١٦ ، و ٢٥ ، وثمان كل منها بالبريد المسجل ١٢ قرشا ، والعدد العشرون وثمانه عشرون قرشا (تحديدًا للطلبات نظرا لوشك نفاذه وعدم امكان اعادة طبعه)
◆ ملحوظة : ترسل القيمة في مصر والسودان بالذن بريد عادي ، وفي الخارج بحوالة بريدية نقدية عن طريق مكاتب البريد MONEY ORDER او بشيك على احد بنوك القاهرة ، ولا تقبل العملة الاجنبية او اذونات البريد الخارجية . وتحرر الاذونات والشيكات باسم صاحب المجلة شخصيا .

الاشتراكات

◆ ترسل جميع الاعداد الى المشتركين : في مصر والسودان بالبريد المسجل ، وفي الخارج بالطائرة ٠٠ قيمة الاشتراك في مصر والسودان : عن سنة (١٢ عددا) : ١٢٠ قرشا ، وعن نصف سنة (٦ اعداد) ٦٥ قرشا - في الخارج (العراق وسوريا ولبنان والحجاز والاردن ٠٠ الخ) ترسل القيمة بشيك او بحوالة بريدية نقدية عن طريق مكاتب البريد MONEY ORDER وتحتسب القيمة بما يوازي ١٣٠ قرشا (عن سنة) و ٧٠ قرشا (عن نصف سنة) - او تدفع قيمة الاشتراك الى مكاتب شركة فرج الله للمطبوعات في بيروت وفي بغداد (بشارع السنك ، بغداد)



انظر اذنه..

دائرة!

قصة مصرية
للمحمر



- ١ -

النهار قد أوشك أن ينطفئ ، وضياؤه قد بدأ يبهت في
الفضاء العريض ، ويزوب ذرة فذرة في الظلام .. والسيارة
ماضية بهما ، تتلمس سبيلها على هدى الظل الهزيل الباقي
من الضياء ، وتتعثر في الاشباح الباهتة المتتابعة التي ألقها
أمامها - على أرض الطريق - كتل المباني الصماء .. وجذوع
الاشجار .. وأعمدة المصابيح المطفأة ، التي لم يكن النور قد
صعد بعد الى عيونها ..

.. وكان شبوح الصمت الاخرس قد ضاق بنفسه ، وبالموت ،
ونهبشت الغيرة قلبه ، فخرج من حيث يقطن بين القبور - في هيئة
أحدب كرية - يسعى الى أرض الاحياء ، ليتصيد عاشقين يندس
بينهما كعادته ، متطفلا على خلوتهما ، كأنما ينفس على المحبين
نجواهم ، ولا يعبا بما سيكون من حسابه العسير مع آلهة
الهوى ، جزاء ما اقترف من آثام ..

ولاحت له السيارة ماضية ب « نادية » و « سامي » تتحسس
طريقها وتتعثر ، فانسل الى داخلها حيث يجلسان ، وقبـع
بينهما يرهف سمعه لنبضات قلبين جاشا بالعاطفة ، فتحورا
من صاحبيهما ، وراحا يعدوان .. كل على هواه : قلبها يسبقها
الى الامام ويطوى الطريق متعجلا الوصول .. وقلبه يشده الى
الوراء ، متخلفا عن الركب ، باسطا ما انطوى من الطريق الذي
قطعه ..

وغاب سامي عن نفسه ، وصرخت نفسه فيه :

« اما ترى يا سامي ، هذا الكيان الناعم .. هذا الجبين
الوضي ، والنظرات الوادعة ، والشفاة ؟ تأمل نادية يا سامي

وتمل من شبابها النضير، فها هي ذى اخيرا الى جوارك، فى هذا الثوب الفاتن الذى طالما حلمت بأن يلمس كتفك، فتسمع حفيفه ناعما قرب أذنيك، ها هو حلمك العذب قد تحقق ..
فما أسعدك ! »

وصرخ سامى فى أعماقه : كفى بالله يا نفسى .. اصمتى ! »

- ٢ -

ومضى صوت يهمس له :

« انك لتذكر يا سامى أول مرة استراح فيها بصرك المتعب على هذا الجبين الوضىء ، والعيون الوادعة ، والشفاه .. كنت قد دعيت لتناول الشاي عند أسرة صديقة ، فترددت ، ثم أجبت الدعوة فى فتور ، فان روحك المضناة كانت ما تزال تلهث عقب مطاردة عنيفة للهناء ..

الهناء ؟ .. ويلك يا سامى من هذا الظبي ، الشارد ابدا من الانسان .. ان متعته الكبرى ان يقسو فى مداعبة مطارديه ، فيتباطأ ويتمهل ، حتى اذا ما قاربوه ، وهموا باقتناصه .. أطلق فجأة لجموحه العنان وراح يسابق الريح ، تاركا عشاقه يخورون ، ويسقطون صرعى وهم كاذب .. وأمل قد خاب !
« وكنت يا سامى واحدا من صرعاة ، سقطت تتلوى على أثر حب فاشل قديم ، اعتصرت فيه عواطفك واعصابك مدى عامين كاملين ، حتى خاب ، ففطمت قلبك عن هواه ، وصفدته باغلال الرجولة والكبرياء .. ثم نجحت فى أن تقتل ايمانه ، فكفر بالمرأة وبالحب ، واستكان لحرمان طويل .. ورحت تنشد السلوى فى العمل المتواصل فخصصته بكل وقتك ، وجهدك ، ونسيت أن فى الدنيا غير التعب والجهد .. ونسى قلبك الانفعال !

« حتى استراح بصرك ، وأنت تتناول الشاي فى منزل الاسرة الصديقة مع نفر مختلط من المدعوين ، على هذا الجبين الوضىء ، والعيون الوادعة ، والشفاه .. وداعب سمعك صوت « نادية »

وضحكها الناعمة وهي تخطو الى الصالون معتذرة عن تأخرها لصاحبة الدار ..

» .. فانتشيت يا سامي ، كأنما براحة خفية ، وتملكك انتعاش غريب .. وكما تقلب اسطوانة على وجهها الآخر تغيرت الدنيا في عينيك : احسست فجأة انها دنيا جميلة وعذبة ، الى غير حد .. وان عروقك تنبض بالحياة ، والقوة ، والشباب الذي لا يعترف بالصعاب ، ولا يقف بينه وبين غايته شيء !

» .. ولو قيل لك لحظتئذ ان في الحياة أحزانا وكروبا وآلاما، لرثيت لفيرك ، وهزأت بالخوف .. فقد شملك اذ ذاك اطمئنان غريب ، ويقين بأنك فوق متناول تلك المكاره أو غيرها مما يصيب وينقص الناس .. !

» كيف تفسر يا سامي ما أصابك ؟ وتلك الانفعالات البهيجة الخاطفة التي اختلطت وتتابع حشدها العجيب على خاطرك ، في طرفة حس ، في أقل من لحظة .. (كما أدركت ذلك على الفور عندما تبينت أنك قد بلغت قمة الانشراح ، قبل أن يجي دورك في مصافحة يد الضيفة القادمة .. اليد التي مدتها اليك وهم يقدمونك اليها بين كلمات التعريف المألوفة) .. ؟



» .. وكم تراخت تلك اليد واستكانت طويلا في يدك عندما بدأ الرقص بعد حين ، فمنحتك نادية خصرها في بساطة ، دون دلال بغيبض أو اعتذار كاذب .. ورحتما تدوران على الانغام الناعمة لاغنية الحمامة العاشقة « لا بالوما » التي كان الراديو يبعثها عذبة حنونا ، كنظرات نادية اذ ذاك .. نظراتها التي تعلقت بفمك ، متسائلة في صمت عن سر صمتك أنت الذي تفرض عليك اللياقة أن تبدأ الحديث !



فمنحتك نادية خصرها في بساطة ..

«ولكنك كنت تحلم ياسامى،
فأطال الصمت مقامه بينكما ،
وكم كان عذبا ومحبا حينذاك ،
وهو فى قناع طيف باسم
يحب على المحبين ويبارك
أحلامهم !

« .. وأفقت من حلمك ياسامى
بعد حين ، عند ما استأذن
الصمت منكما فى الرحيل ، على
صوت نادية تسألك : ما بالك ؟
.. فأجبتها معتذرا : « لا شىء
، لا شىء .. سوى انى سعيد
أكثر من اللازم ، فقد كنت أحلم »
- تحلم ؟ .. وبم ؟

- « بعش جميل على النيل فى العراء ، مفتوح للرياح والضيء
والطيور .. » ثم أضفت فى سرك « ولك أنت » ، فقد اشفقت
أن تقولها لها قبل الاوان فتلومك نادية ، ولو فى ضميرها !
.. وماجت الانغام ، و رق هديل « الحمامة العاشقة » ،
كانما الوجد قد أضناها فذابت لهفة على أليفها الذى فارقت ،
عندما هبطت الى الارض كي تغرد للبشر التمساء .. و رق بين يديك
الكيان الناعم الذى كنت تراقصه ، والذى ما كان يشعل البدن
بقدر ما كان يشعل الوجدان والروح .. ورقت روحك بدورها ،
فانفلتت نظراتك منك لتلثم الوجه الوديع الذى يطالعك ..
وماجت مشاعرك مع النغم ، فغبت عما حولك يا سامى ،
سابحا فى ذلك المحيط العميق المتلاطم المشاعروالخلجات - محيط
نفسك - وغصت فى أعماقك تبحث عن لآلىء غالية ، جديرة
بهذا الجيد الفاتن الذى أمامك ، كي تقدمها مهرا اليها ..
وتطارد الاحياء السامة التى لا يخلو منها قاع نفسك ، كي

تقتلها قبل أن تدعو نادية الى حياتك .. وكم يذكي فيك
الحسن الرفيع من طموح وتوثب يا سامي !
» وعند ما خفت هديل الحمامة الولهي ، وهي تودع الارض
لتطير الى عشاها السعيد ، وأليفها .. تضرع اليك قلبك في
مذلة ، أن تطلقه ليغني هو الآخر لاليفه . ورغم أنه كرر
توسلاته طوال الامسية وانت تراقصها مرارا ، ورغم انه بكى
في صدرك وهو يؤكد لك انه قد سمع صدى لنبضاته في قلبها ،
وان الفتاة على الاقل لم تستبشعك .. فانك نهرتة ، وخرجت
ليلتها يا سامي فخورا بالكتمان ، مدثرا هواك الوليد في أكثر
من قماط !

» وحين طالعك الطريق السابح في الضياء الساجي ، وعدك
القمر بأن يبارك حبك ، وأحسست بيد رقيقة تمتد في رفق الى
قلبك الحبيس ، لتفتح في سجنه كوة تدفق منها سيل من النور
الناعم ، أغرقه في الهناء ، وبعث فيه ايمانه المفقود ..
ولما لمحت سيارتك رابضة تنتظرك أمام الباب ، ككلب أمين ،
ربت بيدك عليها في رفق ، موصيا اخاك أن يعود بها ، فانك
تؤثر العودة على قدميك ..
.. ثم سرت في الضياء !

- ٣ -

» ونما هواك الوليد - يا سامي - في القماط ، ورحت
ترضعه من نظرات نادية كلما صادفتها في منزل الاسرة
الصديقة بين الحين والحين .. ومضت أسابيع وأنت فخور
بالكتمان ، قانع بأن تزود عينيك من محياها الوضيء - وأنت
تراقصها في كل مرة - بما يكفيك أياما حتى يتكرر اللقاء .
وكلما تملل قلبك ، ولأمك على جمودك .. أمهلت بهجة
معسولة ، طالبا فرصة أخيرة .. في كل مرة !
» .. حتى كان ذلك اليوم المشئوم .. السعيد ! كنت في بهو
منزلك بعد الغداء ، مستلقيا على مقعد طويل ، يتجاذبك تخدر



لديذ ويقظة هائلة ، وتحلم
بأثاث بهو العش الذي سيضمك
مع نادية في المستقبل السعيد ،
وكانها الى جوارك تنسج لك
صدارا من الصوف ..

» .. ودق جرس التليفون ،
فأمسكت بالسماعة في تراح
متسائلا عن هناك ..

» لماذا ياسامى تختار الحياة
دائما لضربنا فى الصميم ،
بمطرقتها الاناسية، الوقت الذى
نبلغ فيه قمة الرضا عنها ..

وتضحى قلوبنا ابعد ما تكون عن توقع الصدمات ، والتهيو
لدفعها ؟

» ألانها حسود ؟ أم أنها تخشى أن تفيض بنا السعادة ،
فننسى اننا من التراب ونتجبر ؟

» انك لاتدرى .. وان كنت تذكر ماحدث وانت تضع السماعة
على أذنيك .. لقد تبينت الصوت الحبيب على غير انتظار ،
فهتفت من فورك : نادية ؟

- نعم ، أهذا انت يا .. « فتحى » ؟

» ووجدت نفسك يا سامى ترد بالايجاب ، دون وعى ، منتحلا
شخصية أخيك الاصغر .. ثم سمعتها تقول بصوت يغلب عليه
الحنان : « لماذا لم تحضر حفلة الامس .. أما وعدتني ؟ لقد
انتظرتك طويلا .. »

» واعتذرت لها يا سامى بكلمة رقيقة ، وتحجرت فى عينيك
دمعتان .. اذن فهو أخوك من .. اختارته ؟

« كيف لم تفكر في هذا من قبل يا أحمق ؟ .. لقد عرفت ماها في أمسية واحدة ، فلماذا بربك تأخرت ؟

- ٤ -

« .. والآن يا سامي .. أما تتملي من هذا الشباب النضر .. هذا الجبين الوضيء ، والنظرات الوادعة ، والشفاه الحاملة ، والجسد الناعم ؟ .. ها هو حلمك السعيد قد تحقق ، وها هي أخيرا الى جوارك ، في ثوبها الفاتن ، الذي طالما حلمت بأن يلثم كتفك فتسمع حفيفه قرب أذنيك .. فقط أوص قلبك بأن يخافت من دقاته قليلا ، وانصت لدقات أخرى .. أما تسمع دوى الطبول في أذنيك ، والموسيقى تعزف من بعيد ؟ .. كلا ؟ اذن فلتصبر قليلا ، فان الهواء لن يلبث أن يحمل اليك انغامها ، مترفقا .. انكما تقتربان من منزلك ، حيث ينتظركما الزحام الطروب ، والهرج والغناء ، وموائد الوليمة .. وحيث فتيات الشرف ينتظرن مقدم العروس .. نعم ، فالليلة ليلة الزفاف يا سامي .. زفاف نادية وزفافك !

« ولكن تمهل ، لا تفرح الا بقدر ، فانك المنبوذ ! .. ان نادية ستزف بعد لحظات ، الى فتحى .. أما انت فستزف الى الحرمان يا سامي ، فان القمر الذى وعدك ان يبارك حبك ، قد احتجب .. كأنما اخجله أن يخلف الوعد !

« .. وحتى رفقتك السعيدة لنادية، التى بدأت عند منزلها، ستتنقضى سريعا، عند باب منزلك .. حين تسلم الوديعه الغالية الى صاحبها ، ويأخذ فتحى منك نادية الى الابد ! .. والقبلة التى طالما منيت بها شفتيك .. ستنالها أخيرا الليلة ، بعد الزفاف ، ولكن على « جبينها » الوضيء !

« تجلد ياسامي ، واعذرهما ، فانك الملوم .. وانطواؤك هو الذى دمرك ، وسيدمرك مالا زمك .. انهم ————— يجهلان شرك المكظوم ، فادفنه يا سامي ، ادفنه الى الابد ، ودع نادية في

جهلها السعيد ، فانها طيبة ، وقلبها لن يتحمل أن يسعد لتشقى
 أنت أو غيرك .. وكبرياؤك لن يقبل منها نظرة عطف أو رثاء .
 فلا مفر اذن .. أغلق قلبك على هواك الموءود واعدده الى محبسه ،
 فانه قد خلق للهوان واعتاد الالم ، ولن يلبث أن يتبدل . فقط
 ساير كبرياه ، أوهمه انك لا ترقبه ، وشجعه على أن يغسل
 شجته في البكاء .. وابك انت معه ، ولكن فيما بعد .. أما
 الان فتجلد يا سامى ، وارفع رأسك ، وابتسم .. للحمامة
 الوديعه التى توشك أن تطير الى عشها السعيد »

وانسل اخر خيط من الضياء من قلب سامى ، تاركا الظلام
 يطبق عليه كما أطبق على الفضاء العريض .. ومضت السيارة
 بهما تطوى الطريق على هدى مصباحيها المضيئين .. بعد أن
 استراحت من أشباح المباني ، والأشجار ، والمصابيح القائمة
 على جانبي الطريق ، اذ كان الظلام قد ابتلعها جميعا ، مغرقا
 الطريق كله تحت انفاس شبح واحد عريض .

.. ولم يدر سامى ان كان قد طال الزمن أم قصر ، قبل أن
 يتبين الشبح الاخير - شبح الصمت القابع بينهما - انها
 ليسا بعاشقين ، وأنه قد أخطأ الهدف .. فلاذ بالفرار ، على
 صوت نادية تقول ، وقد أفاقت من تأملاتها فى الغد السعيد :
 - ماذا يا سامى .. أما تريد أن تقول لى شيئا .. ما بالك
 صامت ؟

فأجاب كالحالم : « لا شئ .. لا شئ يا نادية ، سوى أن الهناء
 قد فاض بى ، عندما رأيتك فى هذا الثوب الابيض ، الناصع
 كقلبك ، ها قد وصلنا .. فابتسمى يا نادية ، للسعادة التى
 تنتظرك بين ذراعى فتحى ! »

.. وابتلع دمعين ، كانتا فى طريقهما الى عينيه !

عزيزى القارىء . . .

فى هذا الباب قدمت لك فى الاعداد
الماضية من كتابى ، الكتب الاتية على
التوالى : « كيف تصارح اولادك وبناتك
بالحقائق الجنسية » ثم « طريق السعادة
الزوجية » و « مركب النقص » و « حواء
الجديدة » ثم « كيف تقهر الخجل » و « كيف
تقهر القلق وتستمتع بالحياة » . .
ثم قدمت لك بعد ذلك من « فنون
الحياة » التى شرحها المفكر العالمى « اندريه
موروا » : فن الحب ، فن الزواج ، فن
الحياة العائلية ، فن الصداقة ، فن العمل ،
فن الزعامة ، فن السعادة ، فن التفكير ،
واخيرا فن الاستمتاع بالشيخوخة . .
ثم انتقلت بك منذ العدد (١٦) من
صحبة اندريه موروا الممتعة الى صحبة
مفكر عالمى آخر هو الفيلسوف الانجليزى
المعاصر « برتراند رسل » فى كتابه
المشهور « غزو السعادة »

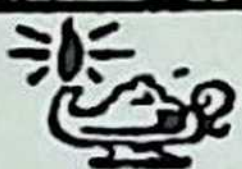
وبعد قدمت لك كتاب فرويد
المشهور « التحليل النفسى » ، يليه
« كيف تضاعف من نجاحك فى الحياة » ،
ثم « الجنس الاخر » ، و « عش حياة
ايجابية » . .

واليوم اقدم لك فيما يلى الجزء الثالث
من الكتاب الشائق « ابواب الحب
المفلقة » الذى قدمت لك منه الجزئين
الاول والثانى فى العدين الماضيين . .

خوافز الحياة



التفكير ،
والجنس . .
والمجتمع . .



LOVE'S
CLOSED
DOORS

BY

WALTER WYNN

ابواب الحب المغلقة!

للباحث الاجتماعي "والتر واين"



• • ومفاتيح أخرى للحب

◆ في الفصول السابقة التي نشرت من هذا الكتاب «ابواب الحب المغلقة» ، عالج المؤلف - وهو رجل الدين والنفس والمجتمع - عددا من «المفاتيح» التي تفتح مغاليق القلب البشري لأجمل وأسمى عاطفة في الوجود : عاطفة الحب • • وقد دلل على آرائه في الفصول الاولى بأمثلة من غراميات اربعة من البارزين في التاريخ ، هم : دانتسى وملهمته بياتريس ، والادبية الانجليزية جورج اليوت وعشيقتها • • ثم حدثنا في الفصول التي تلتها عن : الطريق الى الحب ، وعن الفيرة ، واقنعة الفس والخداع ، والتهوس في الحب • • مستشهدا بأمثلة جديدة من عواطف وتجارب : المسيح ، ومحمد ، ثم اوليفر كرومويل

وفي هذه الفصول الاخيرة من الكتاب يتابع المؤلف بحثه فيحدثنا عن الحب والطموح • • والحب والمال • • ثم الحب وفوارق الطبقات • • الى آخر ما ستقراه في الصفحات التالية :

الحب • • والطموح !

◆ من المؤلم حقا أن نرى بعض الامور تنقلب الى « مصائد » في حياة بعض الناس ، وان هذه المصائد لا تلبث أن تحتوى هؤلاء الناس وتحتبسهم فلا ينجون منها الا بمعجزة • • ولعل الأكثر ايلاما أن نرى المرء ينساق الى المصيدة في سذاجة وبراءة وحسن نية • • وهذا ما يحدث كثيرا بين الأزواج ! ولنضرب لذلك مثلا بالطموح • • فالطموح اذا سيطر عليه الانسان صار هبة الهية ، أما اذا أفلت عنانه من الانسان ، فانه ينقلب الى أمر خطير ، ذي نتائج تدعو الى الاشفاق • • وانك لتجد الزوج ينصرف الى عمله بكل فكره وقلبه ، من أجل خير زوجته الحبيبة وأولاده • • فاذا عكر عليه أحد هؤلاء

صفو استغراقه في العمل ، غضب واغتاظ . ومن شأن هذا الغيظ وذاك الغضب أن يلقياً على بيته ظلاً من الخوف والارهاب كلما يفتن اليه الرجل في غمرة العمل . . وذلك لا يعني أنه لا يحب زوجته وأولاده ، ولكنه يضع العمل أولاً ، فان الطموح يصير عنده لونا من العبادة . . ومن ثم فانه يفرغ للسعى اليه صباح مساء ، حتى في أيام الراحة !

وللنساء أيضا مصائد تأسرهن ، فلا تتحقق الزوجة انها حبيسة المصيدة الا بعد أن يكون الباب قد أغلق خلفها . . ولقد يثور الفأر اذا ما ولج مصيدة ، أما المرأة الطموح فلا تكاد تحس بأنها حبيسة . . بل ان من النساء من كان يخلق بها أن تولد رجلاً ، أو من لم يكن يجدر بها أن تتزوج ، لانها تدع طموحها في الحياة العامة ، وفي مهنتها ، يتقدم على ما لزوجها من مطالب شرعية !

ويقول جوته - الشاعر الالماني - ان الطموح والحب جناحان يسموان بالمرء الى جلائل الاعمال . . فهو يقرن « الحب » ب « الطموح » . . أي أنه ، بما أوتى من صفاء ذهن وبصيرة ، عبر في جملة واحدة عما نسعى لشرحه : « فالمرأة قد تشعر بالعظمة في كنف زوج عظيم ، ولكنها اذا لم تحطه بحبها في جولاته في سماء المجد ، فان طموحه لن يلبث أن يسلمها الى برودة وحرمان . . ومن ثم ينشط طموحها ليثار لها ، وقد يدفعها اذ ذاك الى الانحدار بدلا من الارتفاع . . »

والواقع أن طموح الرجل ، اذا لم يقترن بالحب ، كفيل بأن يقتل حب زوجته وأسرته ، اذ يجعل منه صورة حية للبخل والجشع . . وليس في الدنيا طموح يعوض صاحبه عن حب أولئك الذين يجب أن يحيط بهم به في الحياة . . بل ان جده واجتهاده اذا جعلاه ينأى بعقله وجسمه عن أسرته ، لا يلبثان أن يجعلاه من العمل عبثاً ثقيلاً ممضاً . . اذ ما قيمة أعظم

الاعمال اذا لم يجد الرجل حوله من يكافئونه عليها بالعرفان
والحب والاحلال ؟ .. ومن أقدر على ذلك من زوجته وأولاده ؟ ..
لذلك كان لزاما عليه أن يوفق بين سعيه الى تحقيق آماله - من
أجل نفسه ومن أجلهم - وبين اعطائهم حقهم من الرعاية ..
وكم رأينا من خطوبات تفصم ، لأن طموح الرجل قد صرفه
عن أن يعنى بفتاته المختارة ، رغم حبه الإضافي لها ! .. أعرف
صديقا مفرط الذكاء ، مولعا بالادب القديم ، ويوشك أن يسجل
لنفسه مكانة مرموقة في عالمه .. وقد روى لي القصة التالية :

« وقعت في الهوى في الوقت الذي بدأ فيه يراودني الطموح
الى أن أكون الحجة الاولى في الآداب القديمة جميعا .. ولم أرد
أن أضيع أحد الامرين من يدي ، فقررت أن أدرس الادب في
المقابلات التي دبرتها مع فتاتي قبل أن نعلن خطبتنا رسميا
.. وكان لقاءنا الاول في قاعة الجلوس بدارها ، وقد أدخلنا
أهلها الجو استنادا الى أنني الخطيب المنتظر .. وجلست الفتاة
في أحد طرفي الحجرة ، بينما جلست في الطرف الآخر ، وبدأت
أقرأ لها من « هاملت » في لقاء سليم راق .. وحرصت على أن
أختار أروع المواقف .. وشد ما كانت دهشتي ، حين تطلعت
الى فتاتي - في سياق القراءة - فاذا بها تتشأب .. وتبينت انني
استغرقت ساعتين في قراءة متواصلة ، وكنت مرتبطا بأعمال
هامية ، فاستأذنت للانصراف في عجلة ، بعد أن اتفقنا على لقاء
آخر ..

« وذهبت في المرة الثانية متأبطا كتابي .. وما أن هممت
بالقراءة حتى تبينت أن الفتاة قد تسلفت في سكون .. وفتح
هذا عيني على الموقف .. فلما عادت ، تركت كتابي جانبا ،
وجلست بالقرب منها .. ولن أثقل عليك بتفصيلات يغنيك عن
سماعها اننا منذ ذلك الوقت ننعم بالسعادة معا ! »
وهكذا كان هذا الصديق محظوظا ، اذ تدارك الامر قبل

أن يقفل دونه باب المصيدة . . ولكن سواء قد لا يؤتى هذا الحظ !

خطورة القلب و « الطموح » فى الحب !

♦ **وللحب بدوره طموح . .** وهو الآخر طموح قوى ، جبار اذا تمكن . . فكم من شاب فاتن ، تهفو اليه كل فتاة ، ولكنه لم ينل فى الحب توفيقا . . لانه أخذ يتقلب بين الفتيات ، يجربهن كما يجرب المرء عددا من أربطة الرقبة لكى يختار أحدها ! . . ذلك لانه يصبو فى توجيه حبه الى صورة طامحة فى ذهنه ، وينسى - أو لعله يجهل - ما فطرت عليه المرأة ، وما ينطوى عليه القلب بين النساء - كما تفعل النحلة اذ تتنقل بين الزهور - من أخطار تنتهى به الى أن تنفض عنه كل النساء ويعرضن عن حبه ، ويتركنه يقضى العمر وحيدا . . محروما . . مهجورا !

وهذا الصنف من الرجال الذين أوتوا فى الحب طموحا ، يجهلون هذه العاطفة المحوطة بغلائل الغموض . . يجهلون أنها حين تأتى فانما تأتى مباغتة ، مفاجئة ، تهز الكيان هزا لا يبقى معه سبيل الى تجاهلها . .

والواقع ان التحليل العلمى بما أوتى من أساليب وطرق ، لا يستطيع مع ذلك أن يفسر كنه الحب . . انه حلم يصاب اللسان بعده بالعى آونة من الزمن . . حلم جميل جمال جناح الفراشة ، بألوانه الزاهية ، وخفقاته الرشيقة . . وما لم يدرك الساعى اليه حقيقة سره ، فانه يبقى العمر أسير حياة مغلقة الجوانب ، محدودة الآفاق !

ان الحب ليس بالوهم الخيالى . . انه ملاك ينفذ الى النفس ليسيطر على كل ما يختلج فيها من مشاعر وأحاسيس ، وينفرد بالسيادة عليها . . ثم يكون له البقاء بعدها . . وهناك مثل يقول : « لئن تحب ثم تفقد حبك خير من أن لا تحب اطلاقا »

.. ذلك أن الحب يطبع على الذاكرة صورا ذات ألوان لا يخبو لها رواء ولا تحيل لها بهجة ، بل ان الزمن لا يزيد لها الا جمالا .. حتى اذا انصرم العمر ، وأخذت ذكريات الحياة تتلاشى رويدا ، بقيت ذكريات الحب معلقة بخيوط من حرير على أبواب الماضي وجدرانه ..

ومن الطموح ما يبدو براقا ، ثم لا يلبث أن يكشف عن زيف .. ولكن بعد أن يكون قد نأى بك عن يمنحونك الحب خالصا - والحب الخالص خير من المال والجاه وكل عرض دنيوى ! - ولا شك أن مثل هذا الطموح مغرر ، خادع .. انه يرسم على محياك نوعا من الترفع أو عدم الاكتراث ، يصرف من يحبونك عن ملاحقتك بخبهم .. وهو فى الوقت ذاته يقودك حتى ينتهى بك الى صحراء لا تلقى فيها جزاء ، اللهم الا الجوع والعطش ..

ولكن الحب أعقل من الطموح وأكثر حكمة .. فالحب يفتح أمامك الابواب ، ويمهد السبل ، ويرقى بك قدما ، فى حين أن الطموح لا يتورع أحيانا عن اغرائك بمحاولة أن تزيع عن طريقك من قد يعترضك ، بأية طريقة تضعفك ، فى سبيل الوصول الى غايتك ! .. وقد جاء فى أحد الكتب القديمة أن « القاتل هو الشخص الذى لا يحب ، والذى يستتر أعماله الاجرامية بأكاذيب وأعدار مسبوكة ، يخدع بها الناس » .. ولكن نسيج هذه الأكاذيب لا يلبث أن يبلى ، فيجد صاحبها جهودته تهوى وتنهار .. واذا الحفرة التى حفرها لمن كان يرجو أن يزيحه عن طريقه ، تستقبله هو .. حافرها ! .. وهذا هو العقاب الذى لا مفر منه للطموح الذى يقترن بأهداف خاطئة .. وهذا هو المبدأ الذى يسود شئون البشر .. « من حفر حفرة لآخيه وقع فيها » !

وهذا المبدأ ينطبق على الحب أيضا انطباقه على الطموح .. وكم رأينا من شباب ماهر ، بارع ، يحاول أن يزيح عن طريقه

الى قلب فتاة غريما ، فاذا هو يعمد الى الدس ، والوقيعة ،
والوشاية ، والنميمة ، وألوان الكذب التى تبعث الهواجس
والمخاوف . . مثل هذا الحب يشاهد فى مختلف طبقات المجتمع ،
وان تباينت أشكاله . . فهو فى الطبقات الدنيا يتجلى صريحا
فى قسوة . . بينما نراه فى الطبقات العليا مغلفا بأستار من
الرقعة المهدبة المثقفة ! . . ولكن الغلبة دائما للحب الصادق . .
فهو ينتصر فى النهاية ، ويترك صاحب الطموح منبوذا ،
محسورا . .

ان الحب هو الاحساس الاول والاساسى فى القلب البشرى
. . ونحن اذ نسيء علاجه انما نسيء الى أنفسنا . . فان الانانيين
الذين يسعون الى سرقة الحب ارضاء لانفسهم انما ينسون أن
ليس للحب من دواء ، وانه قط لا يتنحى ليدع الطموح يقتله
أو يحل محله على عرش العواطف . . ولقد قال مولير يوما :
« صدقونى ان أعظم ما ينبغى أن تطمح اليه النساء هو أن يوحين
بالحب » . . ! وهل ثمة معجزة للمرأة فوق الهام الحب ؟ . . الحب
الحقيقى الصادق ، لا تلك العواطف العابرة والنزوات الطائشة
. . واذا كان هذا شأن الحب بالنسبة الى طموح المرأة ، فهل
من العدالة أن يسمح الرجل لاي طموح بأن يمتص هذه العاطفة
ويترك قلب المرأة جائعا ظامئا ؟

والواقع أن القسط الاكبر من السعادة المنزلية ينبع من الحب
. . ولكن الرجال فطروا فى الغالب على الاثرة والاهتمام بأنفسهم ،
واعتبار كل فرد فى المنزل مكلفا بأن يسهر على خدمتهم . .
ولعل الباعث على ذلك أن الرجال يحشون رؤوسهم طيلة
النهار بشئون العمل والكسب ، فاذا فرغوا منها عاد الواحد
منهم الى داره فخلا الى نفسه ، أو سعى الى صحبة أصدقائه
خارج البيت . . ولو درى لأدرك أنه بذلك انما يضيع على نفسه
مسررات لا يعدلها شيء . . فما أحلاها من سعادة أن يسعى الى
ادخال السرور على نفس زوجته ونفوس اولاده . .

النصف « الافضل » !

♦ **أيت ذات صباح** فى « ديربان » - باقليم ناتال بجنوب افريقيا - أحد الاهالى الافريقيين ، يسير معتمدا على عصا ذات يد معقوفة ، فى تعال واعتداد مزهو .. وخلفه ، وعلى مسافة منه ، سارت أربع من زوجاته .. وكان يلتفت من آن الى آخر ليلقى اليهن أوامره ، فكن يطعن تعليماته فى ذلة ، دون أن يبدن شيئا من العاطفة نحوه ، كأنهن بقرات ذلولات .. وكأنه بالنسبة لكل منهن ، « النصف الافضل » أو « الاحسن » ..

وكان الرجل فى مشيته وتصرفاته يذكرنا بما كان الملوك فى الماضى يزعمونه لانفسهم من « حق مقدس » أو « حق الهى » .. وكان المنظر كله صورة من حضارة قديمة تشوب رقعة الحياة الحديثة ..

ولكن ، الى أى حد كانت العناصر : الانجليزى والامريكى واللاتينى والجرمانى ، تقلد العنصر الافريقى فى هذا ، وإلى أى حد هى ماضية فى تقليده ؟

لقد كان الرجل الى عهد قريب يسيطر على مال زوجته بموجب الزواج .. وكان ينفرد بحق التصويت والانتخاب .. بل ان الزواج لا يزال فى فرنسا يبيح للرجل أن يتصرف فى مال زوجته .. وللرجال فى كثير من بقاع العالم سلطان يتجاوز هذا الحد .. وهذا السلطان الذى يعززه القانون يستمد فى أصله من نفس المصدر الذى يستمد منه الافريقى سلطانه، بيد أن الافريقى الذى لم تشرق بعد على بلاده شمس الحضارة جدير بأن يعذر ، أما الغربى الذى يزعم أنه متحضر ، فلا عذر له .. ولا سبيل الى الصفع عنه .

وبغض النظر عن النواحي الشرعية والقانونية التى تسند « تفوق » الرجل على المرأة ، فاننا نجد أن روح ذلك الافريقى

مسيطرة على كثير من البيوت فى الدول المتمدينة ، فان « رب البيت » هو السيد ، الذى تستحيل كلمته الى قانون ، والذى يباح له أن يملئ ، وأن ينتقد ، وأن يتوقع الحب من الجميع رغم ذلك ، ومن ثم يشكو اذا لم يتلق ذلك الحب . .

ومن الصحيح أن من الزوجات من تتخذ هى هذا المسلك ازاء زوجها ، ولكن هذه حالة نادرة ، شاذة . .

ولا يدري الرجل أن اظهار « سلطانه » فى « داره » هو أكبر خطأ يرتكبه فى حياته ، اذ أنه يسد أذنيه عن أن يسمع أزيز باب الحب وهو يتحرك رويدا . . ليغلق دونه فى النهاية! - ومن عجب أن يشكو الرجل بعد ذلك من الضجة التى أحدثها الباب وهو يغلق . . وأن يعجب ، لم لم يبق الباب مفتوحا ؟!

والواقع أن فى فرض السلطان - مهما ضؤل - تدميرا لمجرد مبدأ الشركة الذى تقوم عليه الزيجات . . والسلطان يتضخم من تلقاء نفسه وينتفخ ، حتى يصل الى أقصى مداه ، فينفجر مدمرا نفسه !

وبينما نجد أن النفس المطبوعة على الود والمحبة تكتسب فتنة تفتح لها الابواب . . نجد أن « الترفع » أو « التعالى » يثير التمرد ، ويبعث النفوس على الصلابة ، والنفور . . اذ أن من العسير أن نحب الشخص « المتعالى » لان فى اصراره على فرض سلطانه اشعارا لنا بنقصنا . .

والرجل الذى يرى أنه « النصف الافضل » فلا يفتأ يذكر أن الله خلق النساء « قوارير » ، وفضل الرجال عليهن ، ينساق الى الحماسة دون أن يدري ، ويذكى فى نفسه الزهو والغرور دون أن يفطن . . فكيف لامرأة أن تبقى على حب مثل هذا الرجل ؟ . . لعلها ان هو سكت أن تكشف من نفسها نواحي تفوقه وامتيازه فتكبرها فيه وتكبره من أجلها . . ولكن زهو كفى بأن ينفرها منه !

والوسامة لدى الرجل ، كالجمال لدى المرأة ، كثيرا ما يبعث الغرور .. وينسى كلاهما أن عوادي الزمن لا تلبث أن تقضى على هذا العرض الظاهر .. وأن الحب لا يعلق بالمظاهر وانما هو يتغلغل الى ما فى الاعماق من ميزات ..

ان الزهو والغرور أس كل خطأ وخطيئة ، ولا يمكن أن يقترن بحسن الخلق ولا طيب الشمائل .. ولكن ثمة زهوا آخر ، تتقبله المرأة راضية ، وتفخر بأن تشاطر رجلها اياه .. ذلك هو الزهو بالشرف وبالمواهب الفاضلة .. ومن طباع هذا الزهو أنه لا يعلن عن نفسه بالعجرفة والسيطرة والامر والنهي - وهى المظاهر الاعلانية التى تدفع باب الحب ليغلق فى عنف ودون انذار !

وكم من امرأة انسحبت من معركة الحياة كسيرة القلب من جراء ما يصبه عليها « النصف الافضل » من انتقاد لا يقوم على حب ، وانما قوامه الشعور بالسيادة والغرور .. وكم من رجل طلق الكفاح فى الحياة بسبب لسان زوجته الحاد المسنون ؟ ومع ذلك ، فان هذه المآسى سهلة العلاج فى بدايتها .. وذلك اذا أحللنا الحب محل البغضاء ، والعطف محل الانتقاد ، والمعونة والتعاون والتشجيع محل المعارضة والتأنيب !

وخير نصيحة لأى خطيبين أو زوجين هى أن يحرص كل منهما على الحب حين يقدم اليه ، حرصه على صندوق نفيس يضم أنفاس الحياة .. ولينشق من عبيره حتى يملأ قلبه .. فالحب يدعو الى التسامح والصفح .. وقد قال المسيح ، وهو المتسامح الاكبر : « من أجزل الحب ، أجزل له الغفران » .. لذلك فلا تدع الرغبة فى فرض ارادتك تطغى عليك ، ولا تدع الشعور بالتعالى والتفوق والافضلية يسيطر على تصرفاتك ويوجهك فى علاقاتك بـ « النصف الآخر » .. فان هذا يؤدي بك الى الفشل والخيبة .. أما « الحب » فلا ينتهى قط الى حسرات !

الحب والمال !

♦ لم يبق شيء لم يقل في ذم المال والشراء ، رغم أن النقود أصبحت في مجتمعنا الحديث من الأشياء التي لا غنى عنها .. ومن هذا الذي قيل : ان «المثري اما شرير او وريث شرير» ، و «المرأة الغنية لا تطلق» و «المال يفسد الخلق الطيب» و «يخلق الكبرياء ويقضى على التواضع» و «لاقناعة في الشراء» وما الى ذلك من أقاويل .. ولكن الواقع على العكس من هذا كله ، فلا شيء يماثل قيمة المال «اذا» احسن استخدامه ! على أن في الحياة أشياء أخرى لا تقل عن المال قيمة ، ان لم تفقه ، فالحياة بدونها جافة ، خاوية .. ومن هذه الأشياء : الحب ، والمرح ، والذكاء ، والشخصية ، والرفق ، والرحمة .. فهذه كلها اعظم من المال وأبقى .. اذ ان المال قد يذهب ، ولكن الحب لا يذهب قط ، ومهما تجاهلته ، او اسأت تقديره ، فانه لا يلبث - اذا ما عدت الى تقديره - ان ينتعش وينمو ... والمال قد يسهل جمعه اذا سلكت الاساليب الصحيحة لذلك ، وليس هذا شأن الحب ، فانه من اندر النباتات في بستان القلب .. بل انه كالنسمات لا تعرف كيف تهب ، ولا متى ، ولا من أى الجهات .. وعندما تتجرد من غلائل الحياة الزائفة ، فان الحب الذى اولاك اياه رجل او امرأة او طفل يبقى ليرسل عليك ضياءه خلال حطام الحياة المادية ، فيكشف لك عن الجانب الروحي من الخليقة ، ويبين لك ان تلك الحياة المادية ليست الا عرضا زائلا ، وان وراءها ما هو أبقى وأكثر دواما .. وراءها الخلود !

زرت مرة قصر احد اصحاب الملايين ، فراعنى ما رايت فيه من مظاهر الرفاهية والعز .. وكنت اعرف الرجل منذ الصبا ، اذ كنا صديقين ، وكان اذ ذاك فقيرا ، لطيفا .. ولكن طموحه صرفه عن أن يتقرب الى اية امرأة .. وان كنت قد عرفت امرأة احبته حينذاك حبا خالصا ..

ومع انه اصبح في كبره من الشراء بحيث يستطيع ان يتزوج ، الا انه لم يجد بين نساء الطبقة التى أصبح ينتمى اليها من تحبه عن اخلاص ، فقد كان جاف الحديث ، دائم الجد ، نادر الابتسامة .. ولم يكن يجد في مشكلات الوجود ما يستثير اهتمامه ، ولا كانت شهقات الانسانية المعدبة تخرجه عما راض نفسه عليه من عدم اكتراث ..

ووجدته حين زرته يتشاجر مع سكرتيرته من أجل عدد من كشوف

الحساب لم يتجاوز مجموع المبالغ التي تضمنتها بضعة جنيهاً .. ثم انقلب يشكو من ان احدا لا يحبه ويشفق عليه ، ومن انه وحيد ، حتى أصبحت الحياة في نظره « لا تطاق » .. وزفر في أسى وقد بدا يستعيد ذكريات الماضي ، ثم قال : « أه .. هل تذكر ايام الصبا ؟ .. هل تذكر فلانة .. ؟ لقد كانت تحبني ، وقد لمست الحب منها حقاً ، ولكنني انباتها بانني لا انوي الزواج ، ورحلت اتفادي كل ما يشجعها على ان تكشف عن عاطفتها .. تصور ! .. يا الهى ! »

وانحدرت دمة على الوجه الذي كان يبارى الصخر في صلابته .. واستطرد قائلاً : « انى لا تمثلها الان امامى ، برغم انها قد ماتت .. اننى لا زلت احتفظ برسائلها واعتبرها المصدر الوحيد للتسرية في وحدتى .. ولو انها كانت على قيد الحياة لفمرتني بحبها .. ولا حبيبته .. ولكنى الان لا اجد من يحبني ! »

مسكين ! .. لقد تبين ان الحياة لا تطاق بلا حب ، وان الحب افضل من الثراء ، ولكن .. بعد فوات الوقت !

وانت ترى أبناء العمال لا يكرهون شيئاً في الغالب قدر ما يكرهون مساء يوم السبت من كل اسبوع ، لما ينشعب من مشادات بين الاء والامهات حول النقود .. ولو اننا تنقلنا بين الطبقات لوجدنا المال محور اغلب الخلافات ، حتى في ارقى الاوساط .. فهو اساس كل شر ، واذا ما دخل في العلاقات بين الرجل والمرأة ، فقل على الحب السلام ، لانه اذ ذاك يطير من اقرب النوافذ ..

اما حين يتاح للحب ان يحكم ويفصل ، فان اسوا الوان الشقاق سرعان ما ينتهى الى وئام ومسة .. فالحب يصلح كل شيء .

حذار من التشاؤم !

♦ ومن الاسباب التي تجعل الحياة لا تطاق ، ان يستسلم المرء للتشاؤم في كل الامور .. وقد يكون للاعصاب او المزاج اثر في التشاؤم ، ولكن السبب الاكبر فيه يرجع الى عجز الناس عن ان يولوا وجوههم شطر الجانب البهيج من كل امر ، وعن ان يطهروا عقولهم من الخرافات والخزعبلات ..

ان المتشائم ليقرأ الصحيفة في الصباح ، فلا تجتذب عينه سوى انباء الانتحار ، والاغتيالات ، والزلازل ، والابوثة ، والحوادث المؤلمة .. واذا نفسه تعاف الفطور ، واذا شعور يتسلط عليه بان حدثا مؤسفاً لابد محقق به في يومه .. لانه يقصر النظر على الجوانب المعتممة من الامور . ولو انه نظر الى الجوانب البهيجة لراى كل شيء بهيجا .. ولو انه راى مصائب سواه لهانت عليه مصائبه ..



ان الاكتئاب ، والانقباض ، والحزن ،
والاسى ، والزفريات ، والتنهدات ،
والهواجس كلها عوامل تفعل مالا تفعله
اية قوى اخرى فى تقويض حياة
الافراد والبيوت . . وهى قد لا تكون
دليلا على انعدام الحب ، ولكنها
كافية لان توصل ابواب الحب فى قلوب
الاخرين . . مع ان من اليسير
على المرء ان يقفز من الافكار المدلهمة
الى الافكار المشرقة . . فاذا همك
امر فابحث بعين خيالك خارج الظلام
. . تصور المروج الخضر ، ورؤى
الطبيعة الجميلة ، فانها تهيك القوة
على ان تحول افكارك الى النواحي

البهيجة . . وهذه العادة قد لا تبدو سهلة فى اول الامر ، بيد انها لا تلبث
بمرور الزمن ان تغدو غاية فى السهولة ، ولو شاع استعمالها لما وجدت
المحاكم ما يشغل رجالها . . ولانبعث الضوء فى آلاف البيوت التى خيمت
عليها سحب الاسى المظلمة . .

وليس لرجل ان يدخل - بانقباضه - الخوف على قلب زوجته . . وكما
ان اية امرأة لا يمكن ان تجد ما يستهويها فى الرجل العابس ، فكذلك
لا يستطيع اى رجل ان يحتمل المرأة التى من طبيعتها الاكتئاب . . ولقد يكون
الحب فى قلب كل منهما ، ولكن الاحزان والانقباض والعبوس تحيط ذلك الحب
ببرود قاتل . .

تلفت حولك فى الطبيعة . . تأمل الفراش بالوانه البهيجة ، والبلابل ،
والنجوم اللامعة . . ان الكون طافح بالبشر والفرح والموسيقى . . ولقد
ابصر ((كارايل)) كل هذا ، ولكنه انتهج السبيل الخاطيء ، وترك عسر الهضم
ينكد عليه عيشه . . فى حين ان ((مارك توين)) عانى من المتاعب ما لم تكن
له نهاية ، فلم ينتقص ذلك من روحه المرححة الساخرة ، لانه عرف سر التخلص
من الهموم ، واكتشف طريق الابتهاج . .

والواقع ان اسعد الناس هم اولئك الذين يستطيعون ان يتغلبوا على
متاعبهم ، فلا يقضون الوقت يفكرون فيها وزفريات الحسرة تتصاعد من
صدورهم . . وانما يغلبون مرهمهم على اساهم ، فاذا لصحبتهم فعل السحر

في اويقات الاكتئاب .. اولئك تفتتح الابواب جميعا في وجوههم .. ولعل شكسبير كان من هؤلاء ، فلو انه لم يروض خياله على ان يستوعب الشخصيات المرحية التي كان يلتقى بها ، والاحداث الفكاهية التي كان يصادفها ، لما استطاع ان ينتج مسرحياته الضاحكة « الكوميديا » ..

وليس من شيء في الحياة يستحق التهنيدات الحرة .. وخليق بك ان تضمن بتهنيداتك ، ولو من اجل حب نبذ وقوبل بالاعراض .. فان الزفرات لم تلك وقدة الحب يوما في قلب بارد .. كما ان اعمق العواطف هي تلك التي تخبأ في القلب فلا تنم عنها حركة ولا تشي بها زفرة ..

لا بد لنجاح الزواج من انكار الذات !

◆ في اواخر ابريل سنة ١٩٣٣ ، انتحر في انجلترا قاض اشاع موته في الشعب حزنا .. ذلك هو القاضي «مكاردى» ، الذى اشتهر بانه لم يكن يبارى في سعة افقه ، وخفة روحه ، وبعد نظره ..

ولو ان الامر اقتصر على هذه المواهب ، ما كان الحزن عاما وعميقا .. ولكن الذى زاد اللوعة ما نشره احد اصدقاء صباه في صحيفة «الدلي هيرالد» من سر لم يكن احد قد درى به .. اذ احب «سير هنرى مكاردى» حوالى سنة ١٨٩٠ فتاة ، ولكن القدر ابى عليه ان يتزوج منها ، فهجر «برمنجهام» ، وغير الطريق الذى كان يعتزم ان يسلكه في الحياة ..

ولم يدر احد بسرّه .. ولكن حياته اقترنت بحساسية مرهفة كانت تطفى على افكاره .. ولقد ظهر بعد انتحاره انه ظل طوال حياته يعاني العذاب من جراء فراه الفاشل .. ولعل اظهر دليل على ذلك ما كان يصدره من احكام في القضايا الزوجية وهو الذى قضى العمر اعرب .. فان الذى يراجع تعليقاته يشعر بانه كان يحاول - بطريقة لاشعورية ، اى بدون ان يفطن - ان يهون على نفسه الصدمة التى تلقاها في صدر شبابه ..

قال في احدى القضايا التى فصل فيها في محكمة «ليدز» للاستئناف : «الزواج مجرد عقد يتعهد طرفاه بان يعيشا معا لانجاب الاطفال وتأسيس أسرة لصالح الوطن .. ومن ثم فالزواج لا يجعل من الزوجين شخصا واحدا ، لا من الناحية الجسدية ، ولا من الناحية العقلية .. بل انه - على ضوء ما رايت في مشاهداتي - لا يؤدى الى وحدة روحية .. وانما يعتمد الزواج في نجاحه على تبادل انكار الذات ، والتضحية .. وعلى الاحترام المتبادل ..» (وبايجاز ، ارى من واجبى ان اذكر لكم في كلمات ارجو ان تكون واضحة ، ان الرجل لا يستطيع اليوم ان يزعم - تحت ستار الزواج - انه «يملك» زوجته ! .. فالمرأة المتزوجة في هذه البلاد قد اكتسبت حريتها ، فهي مواطنة وليست جارية من الرقيق .. اى ان لها ان تحكم على الامور وفق

ما ترى ، وان تختار الراى الذى يروق لها ، وان تقرر مستقبلها ومصيرها . .
ومن ثم فسعادة الزواج فى هذه البلاد لا تقوم على القانون ، وانما تقوم على
اشياء اخرى . . على الرفق المتبادل ، وعلى المجاملة المتبادلة ، وعلى الصفح المتبادل ،
وعلى الانتكار المتبادل للذات . . وفوق كل هذا ، على الاحترام المشترك
للالتمام الادبى الذى يفرضه الزواج على كل من الزوجين . .

« وانى لارى ان الزيجات الشقية انما تنأتى اولا : عن انعدام هذه
الامور ، وثانيا : عن اعتلال المازاج ، وثالثا : عن الاخطاء التى تترتب على
الطباع ، ثم . . عن عدم التوافق الجنىسى ، رابعا »

ومن الصحيح ان « الحب » لم يذكر فى نصوص القوانين التى تحكم
الزواج . . ومع ذلك ، فاننا نلاحظ ان آراء القاضى « مكاردى » تغاير تلك
التي تشيع فى كثير من بلاد العالم فى عهدنا هذا . . وان كان ثمة كتاب
لا يفتأون يخرجون على الناس بآراء متطرفة ، فيزعمون ان « الزنا » لا يجب ان
يعتبر ابشع جريمة من جرائم الخيانة الزوجية ، ويدعون الى اطلاق الحرية
لكل من الزوجين فى حياته الخاصة ، ويقولون ان الزواج رابطة تحد من
الحرية الشخصية وتقيدها . .

ولقد تعرض الزواج فى جميع العصور للحملات والانتقادات ، حتى
اصبح من المألوف ان نسمع انه « شر لابد منه » وان « اوله حلو واخره علقم »
. . بيد ان هذه الآراء لم تجد رواجاً اجماعياً لدى الجنس البشرى ، فان
الانسان فطر على السعى الى الصنو الالىف ، وعلى الرغبة فى التزاوج ،
شأنه شأن بقية المخلوقات . . فهذه سنة الطبيعة ، لا للتكاثر وحفظ النسل
فحسب ، بل ارضاء لفريضة كل جنس فى رفقة الجنس الآخر والائتناس به . .
انما المهم فى الزواج ، ان يقوم على الحب المتبادل . . فهو الذى يوفق
بين كل اثنين مهما تعددت بينهما نواحي الاختلاف والتباين . . فكم من طويل
تزوج من قصيرة ، وكم من بدينة هفت اليها روح رجل نحيل ، فكانت السعادة
هى الجزاء الذى نعم به الاثنان . .

ومن ثم فالزواج - اذا ما قام على حسن الاختيار بين الاليفين - محالفة
سعيدة . . بل هو اسعد تحالف فى الدنيا . . وعلى هذا تستند الاسس
الخلقية للزواج ايضا ، بمعنى ان « الطيور على اشكالها تقع » ، فانت لن تجد
امراة سليمة الخلق ترتاح الى معاشرة رجل واهى الخلق . . بل انها اذا
استبان فساد اخلاقه بعد الزواج ، لا تتوانى فى السعى الى الطلاق ، ولو
اضطرت الى ان تعمل وتشقى فى سبيل ان تعول اولادها . . وهى مع ذلك
تظل وفيه لمبادئها الخلقية ، وكأنها لا تزال فى عصمة زوج . .

افلا نلمس هنا حكم الطبيعة ، والضمير ، والشرف ؟ .. انه حكم لا يحتاج لقانون .. وعندما يتكشف الزواج عن مأساة وتعاسة ، فجدير بالقوانين ان تعمل ، لا على التمكين من قصمه فحسب ، بل على تسهيل ذلك ، اذ ان جميع الروابط لا تلبث في مثل هذه الحال ان تنهار وتتداعى ، ولا تبقى سوى الرابطة القانونية القائمة على «العقد» .. عقد الزواج ! .. وهى اذ ذاك لا تصبح رابطة شرعية ، بل تغدو مهزلة انسانية واجتماعية ولقد خرجت من دراساتي للزيجات والحياة الزوجية بهذه النصيحة : «صن حبك الاول ، والكرامة الادبية للزوجية ، تعيش سعيدا موفقا .. اما اذا تخليت عنهما ، فلن تلبث الابواب ان تفلق دونك .. وتبقى في وحدة قاسية موحشة ! »

♦ **والاوضاع الاجتماعية كثيرا ما تنطوى على حواجز شائكة تفصل بين الرجل والمرأة ..** فكم من نكبات ومآس ترتبت على ما يسمونه «المركز الاجتماعى» ، لاسيما اذا كانت الفتاة من طبقة اقل شأنًا من تلك التى ينتمى اليها الفتى .. فاذا ذاك ينسى الاب ان ابنه هو الذى سيتزوج الفتاة ويربط حياته بحياتها ، وان من حق الابن - وهذه حاله - ان يختار الشريكة التى تحلو له ..

ينسى الاب ذلك ، فيعرض على اختيار ابنه ، ويأخذ في محاولة ان يثنيه عن عزمه ما استطاع الى ذلك سبيلا ، ويروح يغلى ويفور .. وتنضم اليه الاسرة في موقفه .. ويتحمس لفضبه الاهل الاقربون والابعدون .. على ان الحب لا يلبث ان يحسم النزاع والمعارضة .. وقد تصفح الفتاة عمن اساء اليها ، لكنها لاتنسى اساءته قط .. فان انعدام الذوق والادراك السليم عند اهل زوجها ، يترك اثرا في نفسها !

الحب وفوارق الطبقات !

♦ **وعلى العكس من ذلك ما حدث في ٢ يونيو سنة ١٩٣٣ ،** حين زفت «دوروثى نورث» الى «روبن ديكنز بورتشير هوكسلى» .. كانت الفتاة في الرابعة والعشرين من عمرها ، قضت ثمانى سنوات تعمل خادما .. وكان الفتى في الثانية والعشرين من عمره ، حفيد السير هنرى ديكنز ، وحفيد ابن تشارلس ديكنز الاديب والروائى الخالد الذكر ..

ولقد قالت الفتاة لصحيفة «الدبلى ميل» في يوم الزفاف : «ذهبت بالامس لمقابلة ليدى ديكنز ، فكانت غاية في اللطف ، وقد سألتنى عن المدة التى قضيتها لدى الاسرة التى اخدمها الان ، فلما ذكرت لها انها ست سنوات،



قالت ان هذه خير تزكية لى كربة بيت
.. ولقد اهدتنى ام روبن نسخا من
الطبقات الاولى لكتب ديكنز وقالت انها
ستحضر الزفاف»

وهكذا اظهرت ليدى ديكنز حكمة
ضافية .. ولكن ، كم من آباء تعمدوا
التخلف عن حفلات زواج ابناء لهم او
بنات ، ثم انتهوا بعد سنوات الى
الاعتراف بخطئهم ؟

ذلك لان الفوارق فى الاوضاع
الاجتماعية تعمى الانسان عن ان الحب
اعظم ما فى الحياة .. وليس ادل على
ذلك من القصة التى نرويها فيما يلى،

بعد تغير اسمى بطليها لانهما لا يزالان على قيد الحياة :

خطبت فتاة ذات نسب و ثراء ، الى شاب غنى كان كل همه
ان يضم ثروتها الى ثروته .. وكان يسرف فى احترامها ومجاملتها ، ولكن
الفتاة لم تستطع ان تقنع نفسها بانه يحبها ..

وذات يوم ، اكتشفت الفتاة ان بستانى دارها يحبها .. وجرو الشاب
على ان يصارحها بالحب ، فى لهجة صادقة اذهلتها .. وفى سورة الغضب
لجراته ، اندرته بالفصل من خدمتها ، وامهله اسبوعا ليهيئ عن عمل اخر ..
فكان جوابه فى اخلاص وصدق : «اننى فقير ، ولكننى افخر باننى لم اكن
طامعا فى مالك .. وانما منذ سنوات ابغى ان اناك انت »

ولمحت الفتاة وهى تنصرف ، دموعا تترقرق فى عينيه !

ولم تنم ليلتها .. فقد فطنت لأول مرة الى ان خطيبها الثرى ، لم يعرب
لها يوما عن الحب .. بل انها لم تسمع حديث الحب من رجل قبل ذاك اليوم
.. ومن ثم فان البستانى ايقظ فى نفسها شيئا لم تدر كنهه ولا كان لها عهد
به من قبل !

وراحت تتمثله والدمع فى عينيه .. وترددت فى اذنيها اصداء لهجته
الجريئة ، الصادقة ، الحارة .. ومضت تتذكر وجهه وملامحه .. كان وسيما،
حاضر اللون ، فارع الطول ، متين البنيان .. وقارنته بخطيبها ، وكلما امعنت
فى تذكر اوصافه ، ازدادت ميلا اليه .. ولكن ، ايعقل ان تتزوج من بستانى؟

.. مستحيل ! .. ماذا يقول اهلها ومعارفها وابناء طبقتها ؟ .. لسوف
يسخرون منها ويزدرونها فتفقد مكانتها واحترامها !

وظلت هكذا حتى الصباح .. فهبطت الى الحديقة ، واذا البستاني
امامها وجها لوجه . وكانت اساريره تنطق بانه هو الاخر قضى الليل مسهدا
.. وسمعه يقول في صراحة وبساطة :

((اننى لم اذق للنوم طعاما ، لا لاننى سافقد عملى ، وانما لان الرجل
اذا احب امرأة حبا صادقا فانه لا يقوى ما عاش على حب سواها .. ولقد
ظلت سنوات احبك فى صمت .. فكان تصرفك بالامس صفقة قاسية ..
افتظنين اننى اذا تركت عملى ساقوى على ان اسلوك ؟ .. اننى احبك ..
اتعرفين معنى ذلك ؟))

ووقفت مشدوهة ، فقد اشعرتها لهجته بانه اسمى منها وارفع ..
وبدلا من ان تستشيط غضبا ، احست بان كلماته نفذت الى اعماق فؤادها
.. ومضى يقول :

- لقد جعلنى حبك سارقا ، فقد تسللت الى قاعة الجلوس وسرقت
صورتك وقضيت الليل اتأملها .. واقبلها .. ولن اطلب منك سوى ان
تدعيني احتفظ بها .. فهل تسمحين ؟

فى ذلك المساء ، وقد الخطيب الغنى الراقى متأخرا عن مواعده ، فقال
مبتسما : « آسف لتأخرى .. كنت فى النادى ، وعندما هممت بالحضور تشبث
رفاقى بى والخوا فى ان لعب دور «بلياردو» .. ياللعنة ! .. لقد اوسعونى
سخرية لحرصى على موعدك .. وراحوا يتندرون بى وبك ! .. »

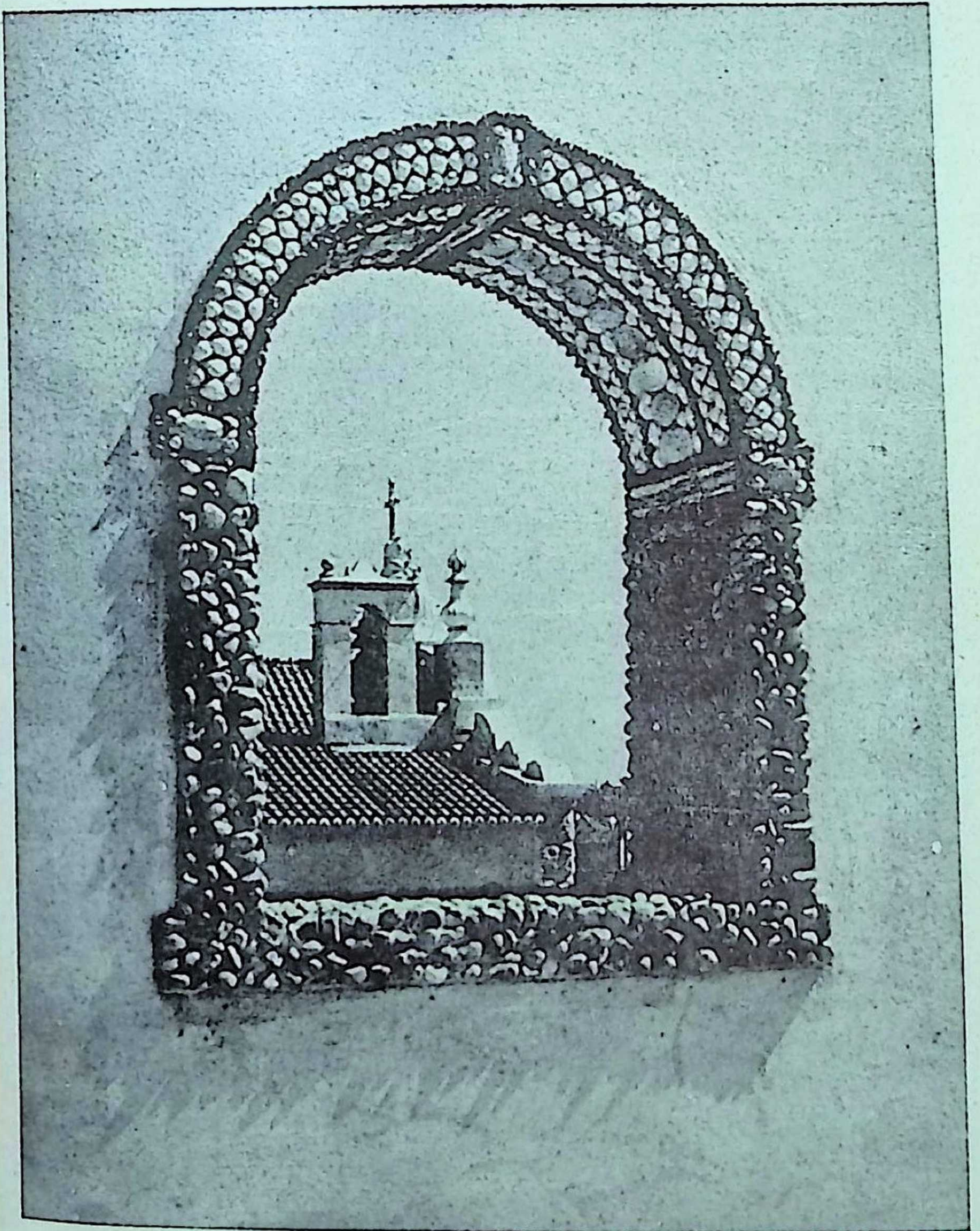
واحست باشمئزاز .. واذت سمعها تلك «اللجنة» التى لفظها فى بساطة
كالسوقة .. والفت نفسها على الرغم منها تقارن بين لهجته ولهجة البستاني
.. وتقارن بين هذا الذى فضل اصدقاءه عليها وسمح لهم بان يسخروا
ويتندروا بها .. وبين ذاك البستاني الذى صارحها بحبه فى شبه تقديس
.. وبدون ان تدري ، سمعت نفسها تقول :

- آسفة اذ حرمت اصدقاءك منك .. ولكن ، فيم هذا التكلف ؟ ..
يحسن بك ان تعود اليهم فقد سئمت نفسى التصنع الذى تضطر اليه معي ..
وقفز عن مقعده هاتفا فى لهجة خيل اليها انها تفيض قحة : «ماذا ؟»
فوقفت متعالية وقالت فى انفة : «لا شىء سوى انه لا داعى للمضى فى
التمثيل .. فلن اتزوج منك»

- يا الهى ! .. لن تتزوجى منى ؟ .. فليكن يا انسة .. اننى لن اموت
كمدا .. وكم فى البحر من صيد .. اجمل واغنى !



للرجال : أزهار الربيع !
للنساء : أحدث (تسريحة شعر) من باريس !



للفنان البرتغالي توماس برايس

نافذة من أصداف البحر !

واكدت لها عباراته الوقحة انه ما احبها يوما ، وانما كان يطمع في مالها .. وهو الغنى !

ولن اطيل عليكم .. فقد انتهى الامر بالفتاة الى الزواج من البستاني .. وتعرضت لعاصفة هوجاء من الانتقاد .. حتى الصحف روت نبا الزواج كانه فضيحة ! .. لكنها لم تعبأ ، بل بادرت الى تصفية ثروتها ، ونزحت مع حبيبها الى كندا ، حيث يعيشان الان في سعادة مثالية ..

المرأة تشد من أزر الرجل

♦ ولا نرانا بحاجة الى ان نبين اهمية معرفة كنه الحب وطبيعته .. ولكننا نحب هنا ان نؤكد ان الرجل اذا اعجب بفتاة واطمان الى انها تستطيع ان تكون زوجة صالحة ، صار خليقا به ان يتزوج منها ، ولو لم يكن الحب قد استكمل نضوجه في قلبه لسبب من الاسباب .. ولعل مأساة القاضي «مكاردى» خير عظة وعبرة .. اذ من افطع الامور ان يعيش المرء وحيدا في الحياة لا تؤنسه سوى ذكريات فتاة خيل اليه انه قادر على ان يسلوها فهجرها ، ثم استبان انه انما كان يحبها حقا !

ذلك لان الانسان في رحلته عبر بحر الزمن ، معرض للزوابع والانواء .. ومن الخطر ان يكون وحيدا على ظهر مركب الحياة ، ولكن وجود امرأة الى جانبه يشد من أزره ويحفز كل القوى الكامنة في كيانه .. فيحس ان لابد له من ان يعيش لينقذها ، كما تحس هي بان لابد لها من ان تعيش لتشجعه .. ولعل القاضي «مكاردى» لو وجد امرأة الى جواره ما انتحر .. فان مجرد شعور المرء بانه مسئول عن زوجة واسرة ، ومجرد اشفاقه من ان يدخل الاسى على قلوبهم ، كفيل بان يصده في كثير من الاحوال عن الانتحار ..

ومصائب الحياة ومتاعبها تتطلب ان يكون الرجل قويا ذا جلد .. ولكن التجارب اثبتت ان الرجل - في تسعين في المائة من الحالات - يكون اسبق من المرأة الى القنوط .. وكثيرا ما يرجع ذلك الى انه لا يتبع ما تكشف عنه بصيرة زوجته ! .. والبصيرة موهبة الهية لا يستطيع الانسان ان يعرف حقيقة كنهها - رغم كثرة ما وضعه علماء النفس من تعريف بها - وهذه الموهبة اقوى ، او اوفر ، عند المرأة منها عند الرجل .. وكم اغلقت من ابواب في القلوب ، لان المرأة تؤمن بايحاءات بصيرتها ، ولكنها تعجز عن ان تجد ما تبررها به ، مما يثير الرجل ، اذ ان الرجال يزدهون دائما بما اوتوه من تعقل وتفكير ..

غير ان من الحكمة حقا ان نحاول ان ندرس تلك القوة الخفية التي توحى للمرأة بالرأى الصائب وان لم تدر له تعليلا .. فبصيرة المرأة عبارة عن معرفة او شعور غريزي يمكنها من الحكم على الاحداث والتنبؤ بما قد تنجلي عنه .. ولسنا ندري اهي غريزة فطرية ام الهام مباشر .. فالأمر

ابواب الحب المغلقة

تزوجت امرأة أوتيت هذه الموهبة برجل لم يؤتها ، كان لابد من التصادم والخلاف .. اذ ان الرجل في هذه الحال يضيق ذرعا بنصيحة المرأة لانها لا تملك لها تبريرا او تعليلا ..

وعجز الرجل عن ان يفهم طبيعة المرأة هو الذى يحيل كثيرا من الازواج الطيبين الى شياطين في بيوتهم ! .. وما اصدق المثل الايطالى القائل : « اذا زلت المرأة ، فلابد ان الزوج غير برى » .. فلقد تتوارى شخصية العاشق في الزوج ، بعد الزواج ، فلا يبقى منه غير «الرئيس» الشرس القاسى .. ولكن اذا كانت الزوجة طيبة محبة ، كانت ائمن ما يملك هذا الزوج في الحياة ، لانها بما وهبت من عقل وفضيلة ، وبصيرة ، تستطيع ان تتغلب حتى على الشيطان !

من هذا نرى ان ليس في الحياة ما يفنى عن الزواج ، فهو منحة الخالق ، وهو اساس الحضارة النقية ، ومبعث ارقى السعادات البشرية .. فان العلاقات غير المشروعة ، والزيجات غير الشرعية ، لا تلبث ان تذهب ادراج رياح الاحداث والشقاق ، اما الزواج الصحيح فيبقى ويصمد ..

أبواب « نصف » مغلقة !

◆ على ان ثمة اسبابا خارجة عن طوق الانسان ، قد تضطره الى عدم الزواج :

واول هذه الاسباب هي البطالة .. فهي تغلق ابواب الزواج ، ومن ثم تخلق نتائج خطيرة ، لاسيما في الناحية الخلقية .. ولا يعني هنا بحث المشكلة ، بقدر ما يعني ان نلقى نظرة على الجانب الاخر منها .. حين يعاني الزوج المتاعب المالية ولديه في البيت زوجة محبة .. فان هذه الزوجة سرعان ما تنقلب الى وزير مالية ابرع من انبغ وزراء المالية في الحكومات ، فتستغنى عن حاجات ، وتستبدل ببعض السلع سلعا ارخص ، وتستعين بالرتق والترقيع من شراء الجديد .. وكل عدتها في هذا ، الحب ! .. اذ ان حب المرأة للرجل الذى يحبها ويحب اولادها ، كفىل بان يفعل المعجزات !

وسبب ثان يغلق باب الزواج - نصف اغلاق - يتمثل في «العجز البدنى» .. وهو يتخذ اشكالا عدة ، ولكنها قلما تظهر او تداع .. ومع ذلك ، فقل ان سمعنا ان هذه العقبة تغلبت يوما على الحب الصادق الخالص .. ولقد روى لى قس من اصدقائى يوما قصة شاب اصيب بسرطان فى الدم ، فلم يتوان من ان يصارح الفتاة التى كان يحبها وكانت تحبه ، بان لا سبيل لهما الى الزواج .. واستبد بهما حزن طاغ .. وفى غمرة هذا الحزن خطر لهما ان يتجها الى هذا القس ، فحاول ان يسرى عنهما وان ينصحهما بقبول ما اشار به الاطباء من عدول عن الزواج ، ولكن الحب اشرق فى دياجير الاسى ، فاذا بالفتاة تهب واقفة لتقول لفتاها :

« هارى .. اننى امام الله وامام خادمه هذا اقسم ان ابقى على حبك وعرضك وطاعتك ما بقيت على قيد الحياة »

ونكس الفتى رأسه وقد فاض الدمع من عينيه .. فلم يتمالك القس ان قال : « وانا ابارك زواجكما بكل القوانين الروحية التى خلقها الله .. فلقد تمت الفلبة للحب ! »

وخرجا من حضرة القس زوجين ، فانكبت الفتاة على فتاها تمرضه ، وتعنى به ، حتى مات بعد وقت قصير .. مات سعيدا .. ابعد هذا وراء فى أن الحب اقوى من المرض ؟ .. انه القوة الوحيدة التى تفتح الابواب نصف المفلقة .. والامثلة التى سردتها عليك عن الحب ليست من وحى العواطف او الخيال الشاعرى ، وانما هى من نتاج احداث الحياة العملية الواقعية !

الحب من النظرة الاولى ..

◆ يرى بعض الناس ان الحب يحدث من النظرة الاولى ، فاذا لم يحدث اذ ذاك فلن يحدث على الاطلاق .. وهذا رأى بعيد عن الصواب ، ينساق اليه أصحابه لمعجزهم عن التفريق بين الحب والوهم .. فان معظم الخطوبات - لاسيما بين ابناء الطبقات الراقية - انما تنشأ من « وهم » لا عن عاطفة حقيقية !

وستان بين الوهم والحب .. فكثيرا ما يلتقى شاب بفتاة جميلة ، فاتنة ، مريحة ، لعوب ، فسرعان ما يميل اليها ، وينشط خياله فيبرز له معالم حسناتها ويضخمها ويضفى عليها ما يزيد رواء وبريقا .. ومن ثم يجد الشاب نفسه مجذوبا اليها ، فيروح يلاحقها ، ويبادر الى « خطوبتها » لكى يضمن الا يحرم من رؤية وجهها الجميل ، ومن سماع صوتها العذب ..

ولكم تستغل العاطفة الواهمة اشنع استغلال .. فهناك نساء يعشن على اصطياد الرجال عن طريق العبث بالعواطف الواهمة لديهم .. وهناك رجال مولعون باستثارة اوهام النساء ، ولكن مكر النساء اشد واقوى من مكر الرجال .. ومن ثم فخير نصيحة فى هذا الصدد ان يراقب الانسان نفسه ليحول دون ان يستخفه اى وهم .. ان الحب الحقيقى لا يخدع ولا يفر .. ولكن الوهم والخبث والضللال تستطيع ان تحيل الحياة الى جحيم !

وان مشاهداتنا فى الحياة لتوحى بان الدولة التى تفقد احساسها بقداسة الزواج ، وتففل عن حقيقة الحب ، انما تقطع شرايين حياتها الادبية والخلقية ، وتنتهى الى الفساد والانهييار .. ولقد كان من امجاد الحياة البريطانية فى القرن العشرين ، ذلك الحب الذى ضربت الاسرة المالكة هناك ابروع امثاله .. فقد كانت ابة صوبرة للملك جورج الخامس والملكة ماري

وحولهما اولادهما ، كفيلة بان تثير عواطف المرء وتجعله يحس بالجو العائلى الذى يسوده الحب .. ومن ثم كانت الاسرة المالكة العقدة التى تربط اجزاء الامبراطورية بعضها الى بعض .. ولعل اغرب الحقائق التى لمستها هى ان حياة الاسرة المالكة كانت تؤثر على حياة اسرات الشعب .. حتى تلك التى تسكن احقر الاكواخ .. ذلك لان للحب اشعاعا .. او عدوى !
ولقد يجوز ان يحدث الحب من النظرة الاولى ، ولكنك قد لا تدركه او تعرفه او تحس به .. فاذا ما حدثت المعجزة ، فانها لا تلبث مع الزمن ان تحدث معجزة اخرى ..

هل الحب اعمى ؟

◆ **وانه لمن الجرأة أن نطعن صحة حكمة قديمة كتلك التى تزعم أن « الحب أعمى » ..** ولكننا فى سبيل اثبات خطئها ، لن نجد دليلا أقوى من أن العواطف التى على النقيض من الحب ، هى العمياء ..

فالكراهية عمياء ، لا تنظر قط الى الشخص الذى تشهر ضده أسلحتها ، وتعجز عن أن تتبين كيف أن البغضاء والانتقاد لا يلبثان أن يرتدا على صاحبهما مضاعفين .. أجل ، الكراهية عمياء ، لانها تأوى اليها الخداع والخيانة دون أن تفتن .. ولانها لا ترى يد الغباء وهى تذكى نارها ، ولا هذه النار وهى تشتد حتى تأكلها عن آخرها ، كما تأكل أى نار وقودها !

وتصل الكراهية الى أوجها حين تدب بين شخصين من خدام الله .. أجل ، فان التنافس بين رجال الدين ينقلب أحيانا الى بغضاء ! .. والامناء ، الاشراف ، المخلصون ، هم أكثر الناس عرضة للحسد والحقد .. ولقد كانت أقسى التهم التى رمى بها المسيح أولئك الذين صلبوه ، هى تلك التى قال فيها : « لقد كرهونى دون سبب ! » .. ومع ذلك فانه لم يكرههم كما كرهوه ..

وهل أدل على عمى الكراهية من عجزها عن مواجهة النور وعاطفة عمياء أخرى من أعداء الحب هى : **القسوة ! ..** فليقد اعتبرت فى بعض الاجيال كتصرف من تصرفات الذهن

الطبيعية التي تتسم بالقداسة ، والخير ، والكرم .. ولكنها
 فى الواقع من بنات الجبن والخسة .. ومن أعجب الامور أن
 هذه العاطفة العمياء تعمى الشخص القاسى حتى ليرى فى قسوته
 عدالة .. ولقد كان « نيرون » أبعد الناس عن أن يرى نفسه
 قاسيا ، وهو يتخذ من جثث المسيحيين وقودا للنار .. أو يدفع
 بهم الى الاسود فى ملعب روما ليتفرج عليهم الناس .. وما أبشع
 القسوة حين ترتدى مسوح الدين ، وتمارس باسم الدين !
 وكم من عواطف منكرة أخرى تعيش فى العمى الى جانب
 الكراهية والقسوة .. فلننظر الى الحب بعد ذلك .. اننا لن
 نجد له وصفا خيرا من ذاك الذى أورده القديس بولس :

« الحب يحتمل العذاب طويلا ، ويظل رحيما ..
 « الحب لا يحسد قط .. ولا يتصرف فى الخفاء .. ولا يعمل
 لنفسه .. ولا يسعى الى شر »

ولن نجد خيرا من الصورة التي يرسمه عليها الفنانون :
 جمال ، وفتنة ، ونور ، واشراق ..
 بل لن نجد خيرا من الصورة التي تصوره بها الحياة :
 فهو مبعث الهناء فى مرحلة الخطوبة .. وهو ضوء النفوس فى
 الزواج .. وهو البلسم الشافى من جراح الحياة .. وهو
 الملهم الاكبر الذى يفتح العيون على أسمى الحقائق والمعانى ..
 أفبعد ذلك يعقل أن يكون الحب .. أعمى ؟

الحب يؤثر على كيان الدول والحكومات

◆ من القراء من قد يخال أن موضوع هذا الكتاب مجرد
 انشاء فى أسلوب شاعرى عاطفى لا علاقة له بألوان الصراع فى
 الحياة .. والذين يفهمونه على هذا المعنى ، لم يستوعبوا حقيقة
 معانيه .. فهو قد تناول الحب والخطوبة والزواج ، وهى لحمه
 تاريخ المرء وسدته .. بل هى - اذا تأملناها من جميع النواحي -
 العوامل التي تقرر مصائر الامم ، والحكومات ، والمجتمعات ،
 والهيئات .. بله الاسرات ! .. وكم من دولة رأيناها تتمزق

لان امرأة استولت على قلب ملكها . . وما عهدنا بكارول ومدام
لوبيسكو ببعيد ! . . فقد أدى غرامهما الى تحطم قلب الملكة ،
والى تحول قلب ابنها عن أبيه ، ثم الى استخفافه بكل شئ . .
والى نفور الشعب من ملك استهتر بعرشه من أجل امرأة !
أجل ، فان العبت بالروابط المقدسة لعب بالنار . .

وللرابطة الزوجية قداسة ذات طابع رسمى فى جميع
الشرائع . . ولكن الخطوبة رابطة لا تقل عنها قداسة . . ولا
تقل عنها فى الوقت ذاته خطورة . . فكم من خطوبة كانت غير
موفقة ، من حيث عدم انسجام قلبى صاحبيها ، فخلفت آثارا
أتلقت حياتيهما . . فما لم يستوثق الخطيبان من أن الحب
الصديق متبادل بينهما ، ينبغى ألا يتسرع فى اتمام الزواج
. . وليحذرا العاطفة الواهمة التى تتمثل لهما على أنها حب ،
وما هى سوى افتتان عابر . .

أما اذا كانت الخطوبة موفقة ، فليكن رائد كل من الخطيبين
بذل اللطف والحفاوة والمجاملة ما استطاع . . انها لن تكلفه
شيئا ، ولكنها قد تنشط الحب الخامل ، أو تجلو العاطفة التى
ران عليها الصدا . . وليوطن الخطيبان نفسيهما على أن يكون
الحب حلال كل ما قد يدب بينهما من خلاف ، أو ينشأ من
مشكلات . . فكم من خلاف أدى الى فصم خطوبة . . ولكن
الخطيبين لا يلبثان أن يعودا الى تلاق اذا كان الحب الصادق
قائما . .

العودة بعد الطلاق !

◆ وان تشعب البحث واتساع آفاقه ليجعلنا نشط أحيانا
عن الموضوع الرئيسى الذى نعالجه . . على أننا حاولنا ما استطعنا
فى الفصول السابقة أن ندلل على صحة الرسالة التى بشرنا بها
من البداية ، وهى أن « الحب شئ حقيقى خالد »

ولقد أصبحت قضايا الطلاق مادة مألوفة فى الصحف ، فاذا
تأملنا التفصيلات التى تنشر عنها ، فإننا لا بد وإحدون أن معظم

هذه القضايا تؤدي الى اغلاق أبواب الحب في قلوب الزوجين ،
اذ يروح كل منهما يصور الآخر أمام المحكمة والناس في أسوأ
الصور . . فاذا نصحهما القاضي في النهاية بأن يحاولا أن يصلا
الى تفاهم وصلاح يعيدان المياه الى مجاريها ، عز عليهما ذلك ،
وازدادا بالطلاق تشبثا !

وكم من زوجين مطلقين عادا الى الزواج من جديد ، طال وقت
الفراق أو قصر ! . . ولقد طلعت علينا الصحف من عهد غير
بعيد بنبا زوجين عقدا قرانهما للمرة الثانية بعد طلاق دام خمسا
وثلاثين سنة ! . . وكان عمر « العريس » في هذه المرة تسعا
وستين سنة . . والعروس خمسا وستين ! . . وقد نشرت
الصحف صورهما فاذا هما في سعادة غامرة . . فما الذي
جرى ؟ . . لقد استطاع الحب أن يشق طريقه وأن يتغلب ! . .
فان الحب الصادق اذا وجد ، قد يتوارى لحظات أمام هجمات
الغضب ، ولكنه لا يلبث أن ينشط ويعمل لينتهى - مهما طال
الزمن - الى تحطيم « حيثيات » حكم الطلاق . . والى محو كل
الادلة والقرائن وشهادات الشهود . . فهو صانع المعجزات . .
ولو انه وجد ما يمكن له من أسباب النمو والترعرع من البداية ،
لما وجدت المحاكم عملاء أو روادا !

افتحوا الابواب للحب !

ولن نجد عبارة نختم بها هذا الكتاب خيرا من ان نقول :
« افتحوا الابواب على مصاريعها للحب ! »

فانه العاطفة التي لا تعرف الفشل والافراق ، والتي تقاوم
عاديات الزمن وتصمد لعواصف الحياة . . انه النور الذي يشق
الظلمات ، والرفيق الذي يؤنس في الوحشة . .

افتحوا الابواب على مصاريعها للحب . . دعوا الحب يدخل ،
واذ ذاك ، ستجدون في كل بيت - بل في كل نفس - ملاكا
يقدم لكم في كل يوم وساعة أغصان الزيتون ، بما تحمل من
بوادر السلام !

« تم الكتاب »

كُتَبُ الأولون



كنوز الكتب القديمة

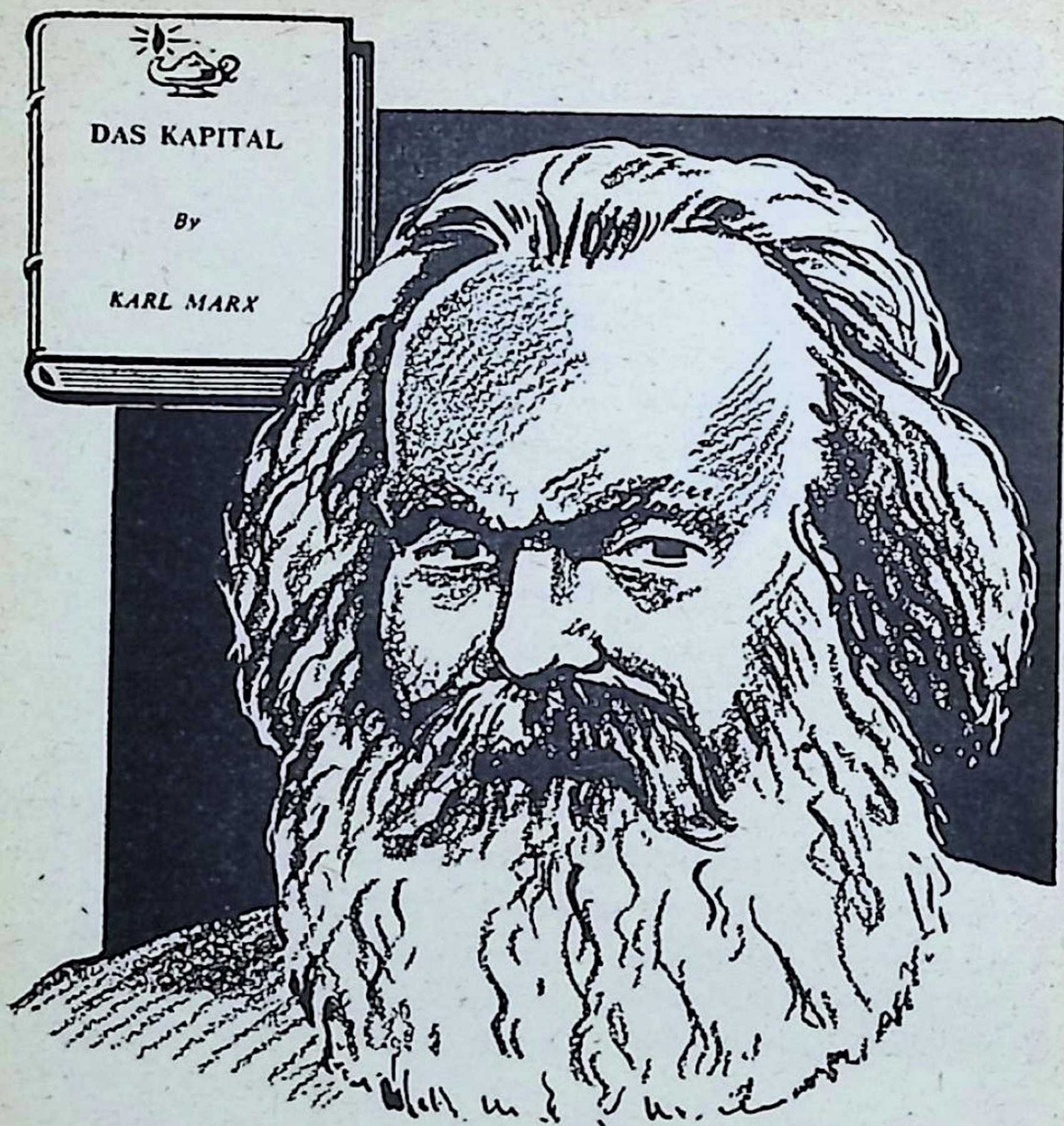
عزيزى القارىء
قرات معى فى الاعداد الماضية من
كتابى ، من روائع الكتب القديمة ، هذه
الكتب على التوالى :

« ديكاميرون » : بوكاشيو
« دون كيشوت » : سرفانتس
« الالياذة » : هوميروس
« اميل » : جان جاك روسو
« حى بن يقظان » : ابن طفيل
« روبنسن كروزو » : دانييل ديفو
« غرام الاخوين » : (كاتب
فرعونى مجهول)

« يوتوبيا » : توماس مور
« الجمهورية » : افلاطون
« الكوميديا الالهية » : دانتي
« الاوديسة » : هوميروس
« العالم كما يسير » : فولتير
« غرام مشبوب » : لين يوتانج
« رباعيات عمر الخيام »
« عفاف (كوزى سانكتا) » : فولتير
« رسالة الغفران » : المعرى
« نظرية التطور » : داروين

وفيما يلى اقدم لك الكتاب الذى
لعلك طالما تساءلت عن محتوياته ، وقد
تكون شهرته هيات لك من امره اضعاف
اضعاف حقيقته . . انه «راس المال»
لكارل ماركس

وفى الاعداد القادمة تقرا معى فى هذا
الباب مزيدا من الكتب العالمية القديمة



كارل ماركس رأس المال!

الكتاب الذي أحدث أكبر انقلاب في تاريخ البشرية

هذا الكتاب ..

◆ اذا كان « داروين » قد خلد اسمه بالكشف عن نظرية تطور الكائنات العضوية وارتقائها ، التي لخصنا في العدد الماضى الكتاب الذى وضعه عنها .. فان «كارل ماركس» قد خلد هو الآخر اسمه بمحاولة الكشف عن نظرية «التطور» فى التاريخ البشرى .. فاثبت ان هذا التطور يخضع لحقيقة بسيطة واضحة ، هي ان الجنس البشرى يجب ان ياكل ويشرب ، وان يجد المأوى والكساء ، قبل أى شىء آخر .. قبل ان يهتم بالسياسة والعلم والدين والفن .. ولقد استطاع بنظرية « فائض القيمة » - التي عرضها فى كتاب «رأس المال» - ان يبين قانون الحركة الذى يحكم نظام الانتاج الرأسمالى والمجتمع الذى نشأ عنه ..

ولقد ارتبط اسم ماركس بالشيوعية ، اذ اعتبر نبيها الاول .. ومع ان رسالة الشيوعية - على العكس من الاشتراكية العادلة المنشودة - تقوم على العداء والصراع والحرب بين الطبقات ، وهى مبادئ ننكرها بطبعنا وتنكرها ادبانا ، ومع انها لم تسفر عن النتائج التى توقعها لها «ماركس» ، الا ان هذا يجب ان لا يثنينا عن التعرف اليه كمفكر درس وفكر واستخلص ، دون ان نأبه لما اذا كان قد وفق واصاب او ان تفكيره قد حاد عن الصواب .. كما لا يجب ان يثنيانا عن ان نطلع على الكتاب الذى هز به العالم وهو « رأس المال » ، كلون من الوان البحث والتحليل الفكرى .. بفض النظر عما بنى عليه وما هدف اليه خارج النطاق العلمى والفكرى ..

خلق من « برنارد شو » مفكرا اشتراكيا

◆ ولعلك قرأت معى فى كتاب كارنيجى «الخالدون» الذى قدمته لك فى سلسلة مطبوعات كتابى فى منتصف مارس الماضى ، قول كل من « برنارد شو » و « ستالين » ان الكتاب الذى غير مجرى حياة كل منهما واتجه بها نحو الايمان بالعدالة الاجتماعية ، هو كتاب «رأس المال» للعالم المفكر «كارل ماركس» .. بل لقد جزم «شو» صراحة بان هذا الكتاب هو الذى خلق منه مفكرا عاش اكثر من خمسين عاما ينادى بالاشتراكية ا فما هو هذا الكتاب .. وماذا يتضمن ؟

الشيوعية ليست « عدوى » !

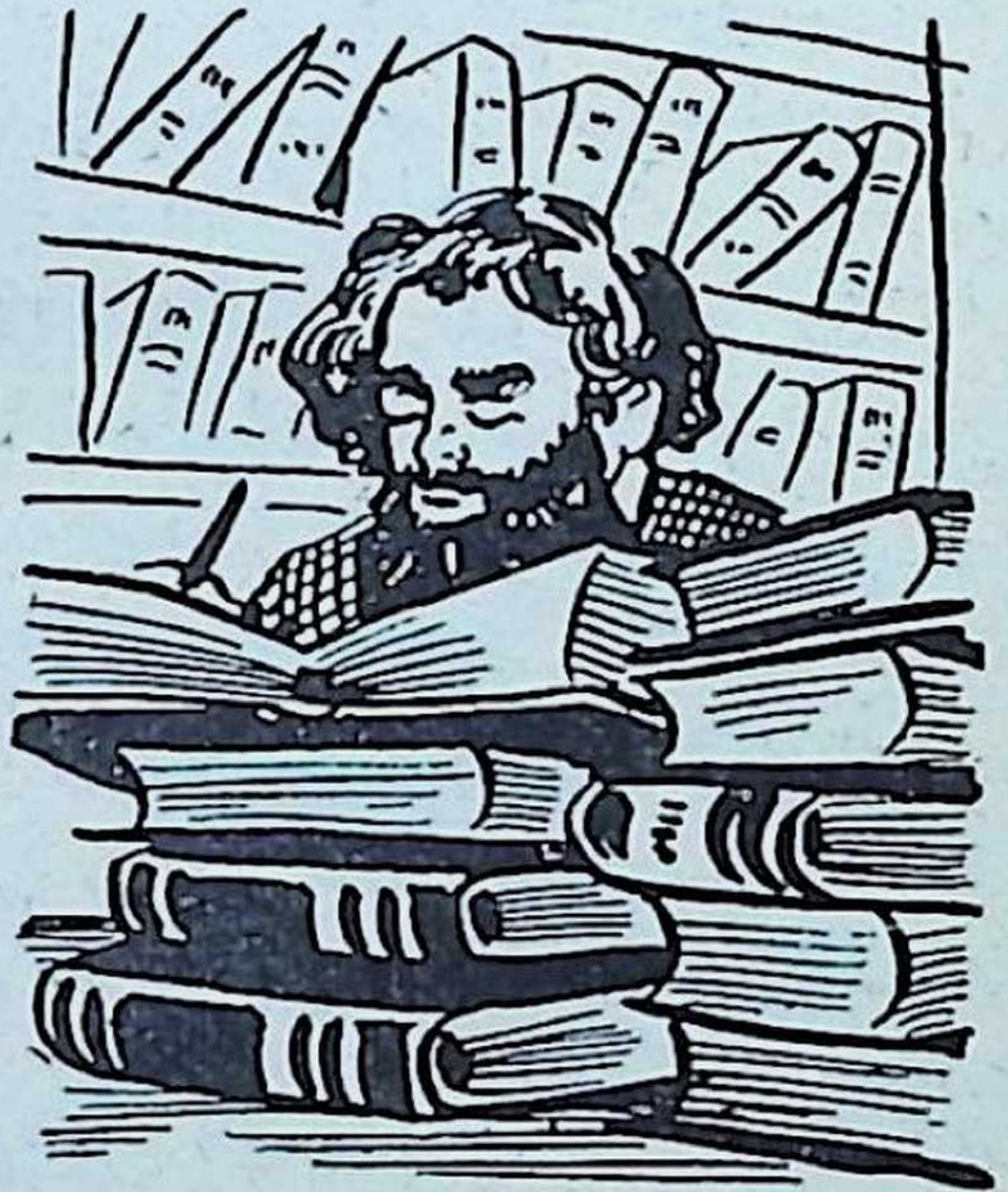
من حقك كقارئ مثقف ان تتزود بفكرة مبسطة ، قدر الامكان ، عن السفر الضخم الذى احدث كل ذلك التأثير فى تفكير ذينك الرجلين - وان انحرف هذا التفكير عند « ستالين » عن الاتجاه السليم الذى سلكه المفكر الاشتراكي « برنارد شو » . . الامر الذى يؤيد القول بان الشيوعية ليست « عدوى » سريعة الانتقال - كما جرى بذلك الوهم فى عهود الظلم والظلام البائدة ، وكما ادخل الاستعمار فى روعنا يوم سلط أعوانه من الحكام الرجعيين لقمع خطر الشيوعية فى بلادنا بالحديد والنار ! - وانما هى انفجار « منطقي » ونتيجة طبيعية للظلم الاجتماعى الذى يحقق بالطبقة الكادحة كلما آمن سادة الاقطاع فى استنزاف دم ابنائها وحرمانهم من لقمة العيش التى تسد الرمق ، كما كانت الحال فى روسيا قبيل نشوب الثورة الشيوعية ، يوم كان الفلاحون لا يجدون ثمن « الملح » الذى يملحون به لقمة الخبز القفار !

ولعله ليس ابلغ فى تبديد فكرة ان الشيوعية « عدوى » أو وباء سريع الانتقال ، من ان المانيا التى ينتمى إليها « كارل ماركس » ما زالت بمنأى عن الشيوعية ، ومثلها فى ذلك انجلترا التى عاش فيها ماركس اكثر حياته ووضع فيها كتابه وتأثر به مفكرها برنارد شو . . فى حين ان روسيا التى لا تربطها بماركس صلة رحم ، وجدت فيها الشيوعية مرتعها الخصب، من فرط المظالم الفاجرة التى عاناها شعبها تحت حكم القياصرة الباغين . .

الاشتراكية صمام الامان للشرق

وانه لمن يمن الطالع حقا أن قيض الله لمصرنا أبطالها البواسل قادة الثورة، الذين قاموا بحياتهم كي يخلصوا شعبها من قياصرتها الباغين ، تبلى فوات الاوان . . اما « (قصيرو النظر) » من سادة الاقطاع الذين اشفقوا من ترديد وترحيب الرئيس جمال عبد الناصر فى خطبه الاخيرة بمولد « وعى العمال والفلاحين » ، فقد كان خليقا بهم ان يشكروا له ولزملائه الابرار هذا الاتجاه الاشتراكي الحميد الذى هو بمثابة صمام الامان الوحيد لمصر - ولهم - من المصير الذى انتهى اليه بنى قياصرة روسيا واقطاعيينها فى سنة ١٩١٧

قصة المؤلف



♦ في صيف سنة ١٨٥١ اعتادت قاعة المطالعة بالمتحف البريطاني ان تستقبل زائرا غريبا .. كانت لندن - بل انجلترا بأسرها - منصرفة في ذلك الصيف الى الحديث الجديد الاول من نوعه ، وهو المعرض الاكبر الذى كان مهرجانا اجتذب الزوار من كافة أرجاء العالم .. ولكن صاحبنا هذا لم يكن يحفل بشيء من ذلك ، بل كان يتردد على قاعة المطالعة يوميا ، وبانتظام ، ليعكف على القراءة وتدوين المذكرات في استغراق تام ..

كان الزائر غريبا ، من ذلك الصنف من الناس الذين تنطبع صورهم على الذاكرة في تشبيث والحاح .. كان وجهه المستدير محوطا بلحية كثة سوداء ، وجبينه الواسع متوجا بشعر مهوش غير منسق .. وكان يعكف على العمل في انصراف واستمتاع تنعكس مظاهرها على ملامحه .. حتى اذا انتهى النهار ، جمع أوراقه وسار الى حى «سوهو» - محط الاجانب في لندن - ثم دلف الى شارع «دين ستريت» ، فصعد درجات المنزل رقم ٢٨ ، الى المسكن المتواضع الذى كان يشغله .. والذى كان يتألف من حجرتين .. اثنتين ! وما ان يلج المسكن ، حتى ينجاب العبوس عن وجهه ، وتتلشى امارات التفكير والانشغال ، وتشرق اساريره ، اذ يرى زوجته واولاده الستة يستقبلونه في حفاوة تنم عن حب فياض ..

وكثيرا ما كان هذا الرجل ذو اللحية الكثة السوداء ، يضطر الى ان يفادر بيته ثانية ، ليتسلل الى اقرب مراب ، فيرهن لديه قطعة مما تبقى لدى زوجته من مصوغات ، او ليجوب اطراف المدينة باحثا عن يقرضه مبلغا يخفف به عن اولاده غائلة الجوع ..

اما في الامسيات التى كانت الاسرة لا تشكو فيها جوعا ولا مسبغة ، فقد كان الرجل ينصرف الى مسامرة اسرته ، او لعب الشطرنج مع مربية اولاده ، وهو في خلال ذلك لا ينسى الاوراق التى سجل فيها خلاصة قراءاته في قاعة

المطالعة بالمتحف البريطاني .. فقد كانت هذه القراءات أسسا اقام عليها دراسته التي احدثت انقلابا في ميدان السياسة والاقتصاد ، في عالمنا الحديث ذلك هو «كارل ماركس» .. اب الشيوعية او نبيا !
ولد في ٥ مايو سنة ١٨١٨ ، لاب يهودى كان يعمل في الحمامة في بلدة «تريف» باقليم «الراين» الالماني الذى كان اذ ذاك من مقاطعات بروسيا .. ونشأ يهوديا ، حتى اذا بلغ السادسة من عمره ، تحولت اسرته عن دينها واعتنقت المسيحية .. وان لم يبد للدين او للعنصر اثر في تربية «كارل» ونشأته ، او هكذا رأى بعض المؤرخين .. وان رأى بعض اخر ان هذا التحول الدينى كان دليلا على استخفاف اسرة «ماركس» بالعقيدة ، وانها ما تحولت عن الدين الا لمصلحة مادية كانت تترتب على وضعها في المجتمع ، ومن ثم فقد نشأ الفتى في جو من الاستخفاف بالدين جعله يتجه الى النزعة المادية التى بنى عليها بعد ذلك مبادئه ، منكرا وجود الله !

اتجاهه الى «اللا دينية» !

♦ والتحق «كارل» فى السابعة عشرة من عمره بجامعة «بون» ، ثم انتقل فى العام التالى الى جامعة «برلين» .. وكان فى بداية الامر قد اتجه الى دراسة القانون ، غير انه لم يلبث ان تحول الى دراسة الفلسفة والتاريخ .. حتى اذا كانت سنة ١٨٤١ نال الدكتوراه فى الفلسفة من جامعة «يينا» وعاد الى «بون» ، حيث تأثر بتعاليم «برونو بارو» ومن ذهبوا مذهبهم فى انتقاد التوراة .. وكانت هذه الفترة كافية لكشف الاتجاه اللا دينى لكارل ماركس جليا ، ووضح المعالم ..

وعقب عودة «ماركس» الى «بون» أنشأ فريق من انصار فلسفة «هيجل» - التى تقوم على التنكر للاديان - صحيفة يومية ذات برنامج سياسى متطرف اسموها «راينىخ تسايتونج» ، فاشترك ماركس فى تحريرها بمقالات لاذعة، لقيت اعجابا دفع بالشاب الى مقعد رئاسة التحرير بعد شهور قلائل .. واذا ذاك اندفع يهاجم الحكومة البروسية والفلاسفة من زملائه السابقين - امثال «باور» - متهما اياهم بانهم يقتصرون فى نشاطهم الثورى على الابحاث العلمية والسفسطة الكلامية فحسب .. وهكذا ازداد «ماركس» تألقا وشهرة بسبب حملاته الشعواء ، ولكن الظروف لم تمكنه من المضى فيها ، اذ لم يلبث «الرقيب» ان اوقف اصدار الصحيفة !

وبينما كانت الاستعدادات تبذل لاصدار صحيفة ثورية اخرى فى باريس ، بعيدا عن سطوة الرقابة البروسية ، انتهز ماركس الفرصة ليحقق حلمه قديما كان من أعز أحلامه .. فلقد تبين وهو فى السابعة عشرة من عمره أنه قد شغف حبا بفتاة من زميلات صباه ، هى «جينى فون وستفالن» .. ومع أن

اباها كان يحمل لقب «بارون» ، وكانت اسرتها من اعرق الاسرات البروسية ذات النفوذ - حتى لقد فدا اخوها وزيرا للمالية - الا ان «كارل» لم يتردد في ان يكتب لابيهما اثناء صيف العام الذى انتقل فيه من جامعة «بون» الى جامعة «برلين» يخطبها .. وراح يكافح في شدة واستماتة ضد المعارضة القوية التى انبعثت من الاسرة المفرقة فى ارستوقراطيتها .. حتى فاز اخيرا بالموافقة على الخطبة ..

ولكن الزواج لم يتم الا بعد تسع سنوات ، و «ماركس» يتهيا للرحيل الى باريس كي يتولى الصحيفة الجديدة .. ولم ينتقص من سعادة الزوجين ان انهمك الشاب فى العمل خلال شهر العسل ، حتى لقد كتب «ماركس» الى «ارنولد روج» - الذى كان يدير امر الصحيفة فى باريس - قائلا : « اؤكد لك ، دون ماخيال ، اننى مفرق فى الحب من قمة راسى الى اخمص قدمى بكل اخلاص وصدق .. لقد ظلت وزوجتى نخوض غمرات معارك مرهقة لم يكن لها من داع ، ولم يخض مثلها اناس يبلفون ثلاثة امثال اعمارنا ، ممن لا ينفكون يتحدثون عن تجاربهم فى الحياة ! »

وفشلت الصحيفة التى كانوا يعدون لها فى باريس ، فتحول «ماركس» بقلمه النارى الى صحيفة المانية ثورية كانت تصدر فى العاصمة الفرنسية تحت اسم «ورفارتس» .. ومرة اخرى ، كانت حملاته اعنف من ان تحتملها السلطات البروسية ، فسعت لدى الحكومة الفرنسية حتى قررت هذه ابعاده عن البلاد .. فغادر «ماركس» باريس فى يناير ١٨٤٥ الى بروكسل ..

تلميذه .. وزميله .. ومموله !

◆ غير انه قبل مبارحة فرنسا ، كان قد وثق عرى الود مع «فريدريك انجيلز» - الذى كان يصغره بعامين - ووضع بذلك أسس علاقة كان لها اثر باق فى حياته .. فمع ان «انجيلز» كان ابن أحد اصحاب مصانع القطن الالمانية ، الا انه كان يعتنق المبادئ المتطرفة .. واشترك «انجيلز» مع «ماركس» فى ذلك العام - ١٨٤٤ - فى تأليف رسالة حملا فيها على «برونو باور» وفلسفته ، ووضعها بها أساس علاقة استمرت الى نهاية العمر ، اذ غدا «انجيلز» اقرب تلاميذ «ماركس» اليه ، واكثرهم عوناً له ، ودعاية لمبادئه .. وصار فوق كل هذا مصدرا يمدد بالمال ..

وما لبث «انجيلز» ان لحق بماركس فى بروكسل فى الربيع ، وبقي معه حتى الصيف ، حين اصططحبه الى انجلترا . فكانت هذه اولى زيارات ماركس للبلاد التى اخرج فيها اهم انتاجه ، والتى لفظ فيها آخر انفاسه .. وهناك قدم انجيلز استاذاه الى مؤسسى اول هيئة شيوعية عرفها الرجل

الذى اعتبره الشيوعيون فيما بعد نبيا لهم .. تلك هي : « الاتحاد التعليمى للعمال الالمان » .. فسرعان ما نشط ماركس لانشاء لجنة للمراسلات ، عهد اليها بالاتصال بالهيئات الشيوعية فى مختلف البلدان للتقريب بينها ، كما أوفد انجيلز الى باريس لانشاء لجنة أخرى .. ولم تحن سنة ١٨٤٧ حتى تسنى عقد مؤتمر فى لندن ، حضره مندوبون عن المؤسسات الشيوعية فى بروكسل وباريس ولندن .

وتمخض المؤتمر عن تأليف «الرابطة الشيوعية الدولية» ، وعن اصدار «البيان الشيوعى» الذى كان أول نفثة من سموم ماركس لاشاعة البفضاء بين الطبقات، اذ بداه بنظريته التى عزا فيها تطورات تاريخ المجتمع البشرى الى الصراع بين الطبقات ، فقال : «ان الطبقات هى النتائج الاجتماعية لاساليب الانتاج الاقصادى، وان الحرب بين الطبقات فى اوج احتدامها ليست سوى انعكاس اجتماعى لتغيرات ضرورية فى اساليب الانتاج .. فنمو الطبقة الراسمالية ادى الى ضرورة قيام عكسها ، اى طبقة العمال الكادحين .. وكلما ازدادت القوة الاقتصادية للطبقة الراسمالية ، اخذ عدد افرادها فى الانخفاض ، وازداد ضغطها على طبقة العمال وغبنها لها باطراد ، ولكنها فى سياق ذلك تتيح لهذه الطبقة حياة ونظاما اجتماعيين مشتركين ، مما يمكن افرادها من ان يحددوا لانفسهم هدفا مشتركا ، حتى يبلغ بهم الامر الى ان يضيقوا باحتمال الظروف التى تفرضها حاجات الراسمالية ، فيعملوا على قلب نظام الدولة الراسمالية ، وينشئوا دولة جديدة تعنى بحاجات القوى الجديدة فى الانتاج .. »

وذكر ماركس وانجيلز - وقد اشتركا فى صوغ « البيان » - ان الشيوعيين هم القسم الواعى من الطبقة العاملة ، وان اهدافهم لا يمكن ان تتحقق الا بقلب النظام الاجتماعى السائد بالعنف !

ونشط الشيوعيون للعمل ، فاذا بالثورات تتوالى فى سنة ١٨٤٨ ، وكان ماركس قد عاد الى بروكسل فطرد منها .. ومن ثم ذهب الى باريس ، ثم غادرها الى وطنه ، فلم يحن شهر ابريل من ذلك العام حتى كان قد استقر فى « كولونى » رئيسا لتحرير « راينيك تسايونج » الجديدة .. غير ان الثورات لم تلبث ان خمدت .. ولم ينقض عام حتى اضطر ماركس الى الفرار من المانيا ، فلما لاذ بباريس طرد منها ، وانتهى به المطاف الى الاستقرار مع أسرته فى لندن ، حيث عاشوا سنين عدة فى شظف وفقر مدقع ، لا يخفف من وطأة بؤسهم سوى الحب المتبادل بينهم .. ولكن الحب لم يكفل لصاحب الدار التى كانوا يسكنونها فى « كامبرويل » أجره ، فطردهم منها ، واذا ذاك استأجروا ذلك المسكن المتواضع ذى الفرفتين فى شارع « دين ستريت » بحى « سوهو » ..

كبرياء .. أم نكران جميل ؟



واخذت الامراض تتحالف على الاسرة ، فانتزعت منها ثلاثة من الاولاد .. وهاجمت الجمرات جسم ماركس .. وحطم الفقر جلد زوجته ، وملا نفسها سخيمة ، حتى لقد أوشكت ان تنكر له ..

ولم يكن له من معين في تلك الفترة سوى كرم « انجيلز » ، الذي كان قد عاد للعمل في «مانشستر» ، فراح يرسل اليه النقود تباعا ، ويسدد عنه ديونه .. وكان « ماركس » يتلقى هذا العون في برود وكانه يبرم صفقة تجارية ، فقد كان كبرياؤه أطفى من أن يمكنه من ابداء عرفانه للجميل !

ولم تقتصر مساعدات « انجيلز » لاستاذة عند هذا الحد ، بل انه كان يكتب المقالات لصحيفة « نيويورك تريبيون » حين تعاقدت مع ماركس على ان يكتب لها .. وكان يترجم مقالات ماركس من الالمانية الى الانجليزية قبل ان يتقن الرجل هذه اللغة ..

وتفرغ ماركس خلال هذه الفترة لابحائه وكتاباته السياسية والاقتصادية والصحفية وللمشاجرات مع المهاجرين من مواطنيه ، فقد كان يكره كل من لا يتقبل مبادئه ويؤمن بها ، حتى لقد أقدم على نقل مركز الرابطة الشيوعية الى كولونى - ليتفادى ان يطفى عليها نفوذ منافس له - فكان في ذلك انهيارها ..

ولكن تفرغه لهذه الشئون لم يمنعه من ان يعد كتابا عن «راس المال عامة» ، نشر الجزء الاول منه في سنة ١٨٥٩ بعنوان « بحث تحليلى فى الاقتصاد السياسى » ، تحدث فيه عن « القيمة » وطبيعتها ، ولكن هذا المؤلف كان غير ذلك الذى خلد اسمه .. ونعنى به كتاب « راس المال » الذى أصدر الجزء الاول منه في سنة ١٨٥٩ ، وتولى انجيلز كتابة واصدار الجزءين الاخرين بعد وفاة ماركس .. وقد أفرد ماركس هذا الكتاب لوصف راس المال وتحليله واستنباط القوانين التى تنتجها وتسيطر على نموه ثم تنتهى به الى ما تنبأ به ماركس من انهيار .. ولقد نادى ماركس فى « البحث التحليلى » بأن قيمة اية سلعة تقاس بكمية ما انفق فى انتاجها من عمل ، متجاهلا بذلك فضل عناصر الانتاج كوحدة يكمل بعضها بعضا .. ثم كشف فى « راس المال » عن نظرية « فائض القيمة » ، أى الفرق فى القيمة الزمنية بين كمية العمل اللازمة لتمكين العمل من أن يستمر فى العيش والعمل والانتاج ، وكمية العمل الذى يبذله فعلا .. أى اننا اذا افترضنا ان عاملا يعمل ثمانى ساعات فى اليوم ، مقابل خمسة شلنات ، فى حين انه ينتج فى اربع ساعات

ما يساوى خمسة شلنات ، فان قيمة العمل الذى يبذله فى الساعات الاربع
الباقية تعطينا « فائض القيمة »

وبينما اعترف ماركس بأن ليس للعامل حق فيما أنتج ، نراه يقول ان
العدل ككتلة ، لهم حق اشتراكى فى جميع انتاجهم التعاونى .. ويبشر بوجوب
اقدام الطبقة العاملة على تحطيم صرح الرأسمالية بالعنف والقوة .. ليخلف
ذلك ديكتاتورية يقيمها العمال فترة من الزمن ، ريثما يستكمل التطور
حلقاته ، فتنحول الديكتاتورية الى حكومة لاطبقية ، اى لا تنتمى الى طبقة
ما ، اذ لا تعود فى المجتمع طبقات .. ثم لا تلبث الحكومة - بالمعنى المعروف -
أن تتلاشى ، اذ أن المجتمع لا يعود بحاجة اليها بعد أن أصبح طبقة واحدة ،
فلا مجال فيه للتنازع على السيطرة والسيادة .. ومن ثم تذوى الحكومات
والجيوش والسجون فى العالم !

هذه هى « الماركسية » التى اتخذها لينين وثوار روسيا دستوراً - بل
انجيلاً لهم - فأقاموا على أساسها النظام الشيوعى الذى تحكم به روسيا ..
واذا التجربة تأتى على عكس ما تنبأ ماركس ، فان « الديكتاتورية » لم تتحول
الا الى طغيان ، اذ أخذ زعماء الحزب الشيوعى يتنافسون ويقضى بعضهم
على بعض .. وكانت أبرز مظاهر هذا الصراع ، اقدام ستالين على التخلص
من تروتسكى ، كما كان أحدثها تخلص مالىنكوف من برياً ..

« ماركس » الداعية المتطرف .. و « ماركس » الانسان !

♦ على اننا ندع ماركس ، الفيلسوف والسياسى المتطرف المؤمن بالعنف
والثورة ، لنكشف بعض الحجب عن ماركس الانسان ..

لعل من أعجب متناقضات الحياة ، ان الرجل الذى بث بذور الكراهية
- بدلا من التعاون - بين الطبقات ، كان يضم بين جنبه قلبا كبيرا ..
فكان اذا ما انتزع نفسه من بين كتبه ومذكراته ، وخلص الى أسرته ، او
جلس - فى امسيات الاحاد - الى اصدقائه ، انقلب الى رفيق لطيف ، حاضر
الفكاهة مرح ، تنبعث ضحكاته من اعماق صدره ..

وكان زوجا مثاليا .. كانت زوجته شريكة حياته ، وزميلته ، بكل ما فى هذا
من معان .. فلقد تعارفا منذ الطفولة ، وكبرا معا ، وخاضا سويا المعارك
ضد « ارسنقراطية » آل « فون ويستفالين » ، حتى تسنى لهما أن يتزوجا !
وكانت « جينى » ذكية ، مرهفة الشعور .. وقد عرف عن ماركس انه
كان اكثر الناس تقديرا لذكائها ، حتى لقد كان يعرض عليها كل ما يكتب ،
ويستجيب لما تبدى من نقد ، ويعتبر بكل ما تبدى من ارشاد ، ثم يدفع
اليها بما كتب بعد كل تنقيح ، فتنسخه بنفسها قبل ارساله الى المطبعة ...

قصة المؤلف

وكان جمال « جينى » مبعث بهجة وزهو لدى « ماركس » .. كما كان لطفها ووفائها خير ما شجعه على احتمال محن الفقر والعوز .. وكان يحبها حبا مفرطا ، حتى انها حين اصببت بالمرض الذى اودى بها ، هلع قلبه ، واضطربت اعصابه ، وأخذ يقضى الليل مسهدا مهموما ، وكف عن النزهة فى الهواء الطلق - وكان الاطباء قد فرضوها عليه - فتداعت قواه ، رغم انه كان متين الجسم ، قوى البنيان .. مما ساعد بعد وفاة زوجته على اصابته بالالتهاب الرئوى الذى قضى عليه !

زوج مثالى .. ووالد مثالى !

◆ وكما كان ماركس زوجا مثاليا ، كان ابا مثاليا .. رقيقا ، مسرف الحنان .. وكانت البنات الثلاث اللاتي بقين على قيد الحياة من اولاده ، يحبينه حبا فياضا .. وكان فى علاقته بهن بعيدا عن سلطان الابوة ، حتى ليؤثر عنه انه لم يوجه لاحداهن امرا ، بل كان يكتفى بالسؤال والرجاء ! .. وكن يفتبطن بالاستجابة لاية زغبة يبدىها .. كن ينظرن اليه كصديق وزميل ، حتى انهن لم يعتدن أن ينادينه بلقب الابوة ، وانما كن يسمينه « مور » ، وهو اقتضاب « مراكشى » ، لسمرة بشرته وسواد لحيته الكثة ! .. ولعل من المتناقضات الطريفة ، ان أعضاء « الرابطة الشيوعية » كانوا يلقبونه وهو فى الثلاثين من عمره بـ « الاب ماركس » ..

وكان يقضى الساعات فى اللعب مع بناته ، فكان يقفز ويحبو وكأنه من مستواهن فى العمر .. وفى أيام الاحاد كان يصحبهن الى الريف ، فتقضى الاسرة نهارها فى أحد المزارب الريفية ، مكتفية بالجبن والخبز والبيرة غداء .. وكان يخفف عن بناته عناء المشى الى الريف ، بقصص وحكايات كثيرا ما كان يخلقها من وحي الخيال .. فقد كان شاعريا بفطرته ، حتى لقد كانت أولى محاولاته الفكرية اشعارا ! .. ولقد وعد بناته مرة أن يكتب لهن مسرحية ، ولكنه لم يبر بوعده .. ولو أنه فعل لكانت من اطرف المسرحيات اذا قيست بانتاجه الاقتصادى والسياسى الجاف ..

وكان اذا تعب من العمل ، استلقى على اريكة جلدية الى جوار المكتب ، فى حوالى الساعة التاسعة صباحا ، فيتناول قدحا من القهوة ويطلع على الصحف ، ثم يعكف على الكتابة حتى الثانية صباحا ، لا يبرح مكتبه طيلة هذه المدة الا سويعات قلائل يتناول فيها الطعام مع أسرته ، ويداعب خلالها بناته ..

وكان اذا تعب من العمل ، استلقى على اريكة جلدية الى جوار المكتب ، وتحول يقرأ احدى الروايات أو بعض الاشعار .. ومن الغريب انه كان يقرأ ثلاث روايات فى الفترة الواحدة بالتناوب .. وكان أحب الروائيين

والقصصيين لديه : دumas الاب ، وسير وولتر سكوت ، وسرفانتس ، وبلزاك .. كما كان أحب الشعراء اليه : شكسبير ودانتى وبيرنز .. وهابنى وجوته ..

وكان يقرأ بأهم اللغات الاوربية بطلاقة .. فقد كان مشغولاً بدراسة اللغات الاجنبية ، ويرى فى كل منها « سلاحاً فى معركة الحياة » .. حتى لقد أقبل وهو فى الخمسين من عمره على تعلم اللغة الروسية ، فاحب من كتاب الروس : بوشكين وجوجل ..

كذلك كان يلجأ الى المسائل الرياضية - لاسيما الجبرية منها - كوسيلة من وسائل الترويح عن فكره كلما ارهقه العمل ..

وكان ماركس - الى ذلك - دقيقاً فى بحث وتمحيص كل ما يكتب ، حريصاً على أن يتم عمله .. فكان يقول اثناء كتابة أصول مؤلفه « رأس المال » انه يؤثر ان تحرق هذه الاصول عن ان يترك الكتاب ولما يكتمل !

وكان دائم القراءة والاطلاع ، يرى فى الكتب أدوات للفكر .. وكان يقول : « انها عبيدى ، ويجب أن تؤدي ما أريد ! » .. وكان لا يفتأ يرجع الى الكتب التى قرأها ، والى الفقرات التى وضع تحتها خطوطاً ، ليجدد معالمها فى ذاكرته ..

وفى الساعة الثالثة الا ربع من بعد ظهر ١٤ مارس سنة ١٨٨٣ ، كف العقل الجبار عن العمل .. كان أهله واعوانه قد تركوه فى مقعد مريح .. ومع انهم لم يغيّبوا عنه أكثر من دقيقتين ، الا انهم وجدوه حين عادوا اليه مستغرقاً فى نوم عميق .. نوم أبدي !

والآن ، تعال معى نستعرض كتابه الضخم «رأس المال» :

١ - منشأ الانتاج الرأسمالى

♦ اذا تعمقنا فى النظر الى الامور ، وجب ألا نعتبر النقود والسلع فى حد ذاتها من رؤوس الاموال ، لا هى ولا غيرها من وسائل الانتاج واشباع الحاجات .. غير ان من الممكن تحويلها كلها الى رؤوس أموال ، اذا فصلنا بين العمال وملكية وسائل الانتاج ، ثم بينهم وبين الحصول على فوائد وأرباح من العمل الذى يبذلونه .. بمعنى ألا يمتلك العمال وسائل الانتاج .. مما يفسح المجال لقيام النظام الرأسمالى

ولقد جاء البنيان الاقتصادي للمجتمع الرأسمالي نتيجة تطور البنيان الاقتصادي للمجتمع الاقطاعي . . فان انحلال هذا الاخير أطلق عناصر الاول . . فالمنتج الاول - أو المباشر - وهو العامل ، لم يجد أمامه بعد أن تحرر من العبودية التي كانت تربطه الى الارض ، سوى أن يتصرف في شخصه فحسب . . كما كان لا بد له - لكي يستطيع أن يبيع عمله أينما وجد سوقا - من أن يتهرب من النقابات الطائفية التي كانت تقوم في العصور الوسطى ، ومن قواعد ولوائحها ، ومن كثير من القيود المشابهة التي كانت تكبل العمل . .

بيد أن هؤلاء المتحررين لم يكونوا - من ناحية أخرى - سوى تجار جعلوا من عملهم سلعة ، بعد أن حرموا مما كانوا يملكون من وسائل الانتاج ، ومن الضمانات التي كان النظام الاقطاعي القديم يوفرها لوجودهم ومعاشهم . . وقد سجل تاريخ هذا التطور الذي جردهم من الملكية ، بحروف من الدم والنار . .

وكان أن حل الرأسماليون الصناعيون - وهم السادة الجدد - محل سادة النقابات الطائفية التي كانت تسيطر على الحرف . . ليس هذا فحسب ، بل انهم خلفوا السادة الاقطاعيين الذين كانوا يمتلكون موارد الثروة . . ومع أن هؤلاء الرأسماليين قد سجلوا بتطورهم انتصارا كبيرا ، الا أنهم لم يبلغوا مكانتهم الا بوسائل مشينة . . إذ أن استعباد العمال ، كان بداية للتطور الذي أدى الى قيام طبقة العمال ونشوء طبقة الرأسماليين . . وبقي الاستعباد وان تغير شكله ، إذ تحول الاستغلال الاقطاعي الى استغلال رأسمالي . .

وقد كان مولد العهد الرأسمالي في القرن السادس عشر . . وتمثلت عملية التحول في انتزاع جموع من البشر من وسائل معاشهم ، ليزج بهم في سوق العمل بوصفهم كادحين

أحرارا .. وكانت العملية كلها تقوم على تجريد الفلاحين من الارض .. وقد تباین تاريخ حدوثها بتباين الدول ، ولكنه لم يتخذ شكلا علميا منظما الا في انجلترا ..

انتزاع الاراضى من الفلاحين

♦ ولقد جرى التمهيد للانقلاب الذى أفضى الى النظام الرأسمالى للانتاج ، فى القرن السادس عشر ، بتحطيم عصابات الاقطاعيين الذين أجاد السير جيمس ستيوارت وصفهم حين قال انهم « كانوا يملأون البيوت والقلاع فى كل مكان دون ما جدوى أو نفع » .. فلقد قضت الحروب الشعواء التى دارت بين الاقطاعيين على طبقة النبلاء القديمة ، وانجلت عن طبقة جديدة كان المال لديها هو مصدر كل قوة وسلطان ، فعملت على تحويل الاراضى الزراعية الى مزارع لتربية الاغنام ، مما دعا الى تجريد صغار المزارعين من الاراضى التى كانوا يعيشون عليها ويزرعونها وان لم يكونوا يمتلكونها .. الامر الذى هدد البلاد بالخراب .. وهكذا دفعت الطبقة العاملة فى انجلترا دفعا من عصرها الذهبى الى عصرها الحديدي ، فى غير ماتدرج أو مرحلة انتقال ..

ولقد زاد من الاقبال على انتزاع الاراضى من الفلاحين ، ازدياد مصانع الصوف بسرعة مطردة ، وارتفاع أسعار الصوف فى انجلترا تبعا لذلك . وأدى هذا التطور فى اواخر عهد الملكة اليزابيث الى ازدياد المعدمين والمسولين ، وظهور طبقة من الفقراء لا يكادون يعيشون عيش الكفاف .. كما ظهرت طبقة الاعيان الريفيين ، وهم ملاك الاراضى الزراعية ، حتى فاق عددهم عدد المزارعين ، وكانوا العضد الاكبر لجيش كرومويل فى اواخر القرن السابع عشر .. على ان هؤلاء لم يلبثوا ان تلاشوا فى منتصف القرن الثامن عشر ، ولم يلبث ان اختفى بعدهم بوقت غير طويل ، نظام الاراضى المشاعة التى كان يعمل عليها العمال الزراعيون ..

ولقد كان نظام الارض المشاعة قائما فى عهد الاقطاع ، وكان ينتفع منها صغار الملاك والمستأجرون . . ولكن كبار الاقطاعيين والرأسماليين - الذين كانوا يستغلون العمال الزراعيين - انتهزوا فرصة تنصيب « وليم اورانج » على عرش انجلترا فنهبوا الاراضى المشاعة وكونوا التفاتيش والضياع الكبيرة . . ولم يكن هذا النهب يستند الى قانون ، أما فى القرن الثامن عشر فقد استخدم القانون أداة للاستيلاء على ما بقى من الاراضى المشاعة وتحويلها الى ملكيات خاصة . . وقد أدى هذا الى تحويل عدد كبير من السكان الذين كانوا يعيشون على الزراعة الى كادحين أو عمال يشتغلون فى الصناعة . .

٢ - نشأة الرأسمالى الصناعى

♦ **ولكن :** من أين جاء الرأسماليون فى الاصل ؟ . . لقد تكون الرأسمالى الزراعى تدريجيا وببطء ، أولا كعامل ، ثم كمؤاجر يقتسم الانتاج مع مالك الارض ، ثم كمزارع حقيقى يعمل على ازدياد رأس ماله باستخدام عمال بالاجر ليزيد من زراعته وانتاجها ، ويدفع جزءا من الربح الى صاحب الارض كايجار . . ولقد أدى الانقلاب الزراعى الذى حدث فى القرن السادس عشر الى اغتناء المالك الصغير نسبيا ، وإلى افقار العامة من اهالى الريف . . اذ أدى الارتفاع المستمر فى أسعار السلع الى تضخم رأس مال المالك الصغير فاغتنى على حساب كل من المالك الكبير - السيد الاقطاعى - والعامل الزراعى على السواء . . لذلك لم يكن من عجب فى أن تقوم فى انجلترا فى نهاية القرن السادس عشر طبقة من الرأسماليين الزراعيين الذين اقتنوا الثروات وكانوا أغنياء بالنسبة لظروف ذلك العهد مما سبق ، نرى أن السكان الذين كانوا يعيشون على الزراعة ، تحولوا الى عناصر مادية لرأس مال متغير . . فقد

اضطر الفلاحون - بعد أن حرموا من الأرض ومن العمل في الزراعة - إلى أن يبيعوا قيمتهم - أي قيمة جهودهم - مقابل أجور يتقاضونها من ساداتهم الجدد ، وهم الرأسماليون الصناعيون .. ومن ثم تحولوا إلى عنصر من عناصر رأس المال الثابت ..

ومن الأمثلة على ذلك ما جرى لفلاحى « ويستفاليا » فى عهد فردريك الثانى .. فقد كانوا كلهم يجيدون غزل الكتان .. وعندما أقصوا عن الأرض التى كانوا عليها بوضع اليد أيام الاقطاع ، تحول بعضهم إلى عمال فى المزارع الكبرى .. وفى الوقت ذاته ، قامت مصانع كبيرة للغزل والنسيج ، فعمل فيها أولئك الذين « تحرروا » من الأرض .. ومع أن الكتان الذى كانوا يغزلونه فى هذه المصانع هو عين الكتان الذى كانوا يغزلونه فى حياتهم الريفية ، إلا أنه أصبح يؤلف جزءا من رأس المال الثابت للسيد صاحب المصنع ..

وبعد أن كان الكتان يغزل - بكميات كبيرة - بأيدى الاسرات التى كانت تعنى بتنميته ، غدا مركزا فى منشأة يملكها رأسمالى واحد ، يستخدم سواء ليغزلوا وينسجوا لحسابه . ولقد كانت المغازل والمناسج - أو الانوال - مبعثرة من قبل فى كافة أرجاء الريف ، ففدت - فى الوضع الجديد - محشودة فى مبان للعمل .. وهكذا تحولت الآلات والمواد الأولية من وسائل للكسب المستقل للنساجين الفلاحين ، إلى وسائل للسيطرة عليهم وابتزاز عملهم مقابل أجور بخسة لا تتناسب وما يدره هذا العمل ..

ولم تسر نشأة الرأسمالى الصناعى بالتدرج الذى تمت به نشأة الرأسمالى الزراعى ، إذ ضاعف من سرعتها اشتداد الطلب التجارى من الاسواق العالمية التى تفتحت أمام السلع ،

وأمكن الوصول اليها بسبب الاكتشافات التي كانت قد جرت في أواخر القرن الخامس عشر . . . وقد ظهر منذ العصور الوسطى نوعان جديان من رأس المال . . . أحدهما رأس مال المرابى ، والآخر رأس مال التاجر . . .

ولقد ظلت النقود التي تؤلف رأس مال المشتغلين بالاقتراض (المرابين) وتلك التي تكون رأس مال المشتغلين بالتجارة ، محجوزة عن التحول الى الصناعة زمنا بسبب النفوذ الاقطاعي في الريف ، ونفوذ النقابات الطائفية في المدن . . . ولكن هذه الحوائل زالت باختفاء المجتمع الاقطاعي ، وبتجريد الفلاحين من الاراضى وحرمان جزء من سكان الريف من التملك . . . وكذلك قامت المصانع الجديدة في بقاع بعيدة عن نفوذ المجالس البلدية القديمة والنقابات الطائفية . . . ومن ثم قام في انجلترا صراع مرير اضطلعت به المدن متضامنة معا ، ضد المراكز الصناعية الجديدة . . .

وقد عملت الدولة بنفوذها وسلطانها على التعجيل بهذا الانتقال ، وهي تعمل على تركيز وتنظيم قوى المجتمع . . .

نشأة المصارف الكبرى

◆ وكانت الخطوة الثانية من خطوات تطور العهد الرأسمالى، هي ظهور بورصة الاوراق المالية وقيام المصارف الكبيرة التي كانت في البداية مجرد جماعات تضم بعض المجازفين الذين اعتادوا أن يقرضوا الحكومات لمساعدتها في مقابل الحصول على بعض امتيازات . . . ولقد بدأ بنك انجلترا أعماله - حين انشئ في سنة ١٦٨٤ - باقتراض الحكومة بفائدة قدرها ثمانية في المائة . . . وفي الوقت ذاته ، خول البرلمان له حق سك نقود من نفس رأس المال - الذي أقرضه للحكومة - وذلك باقتراضه للناس ثانية في صورة اوراق نقدية . . .

وبمضى الزمن ، أصبح بنك انجلترا الدائن الدائم للأمة . ومن هنا نشأ القرض الاهلى ، كما نشأ نظام للائتمان الدولى ،

الذى نرى من أهم معالمه اقراض احدى الدول مبالغ ضخمة من المال لدولة أخرى . . . ومن ثم فان معظم رأس المال الذى نراه فى أمريكا اليوم دون أن يعرف أصله ، انما كان من أموال انجلترا التى وفرتها من عرق أبنائها ودمائهم .

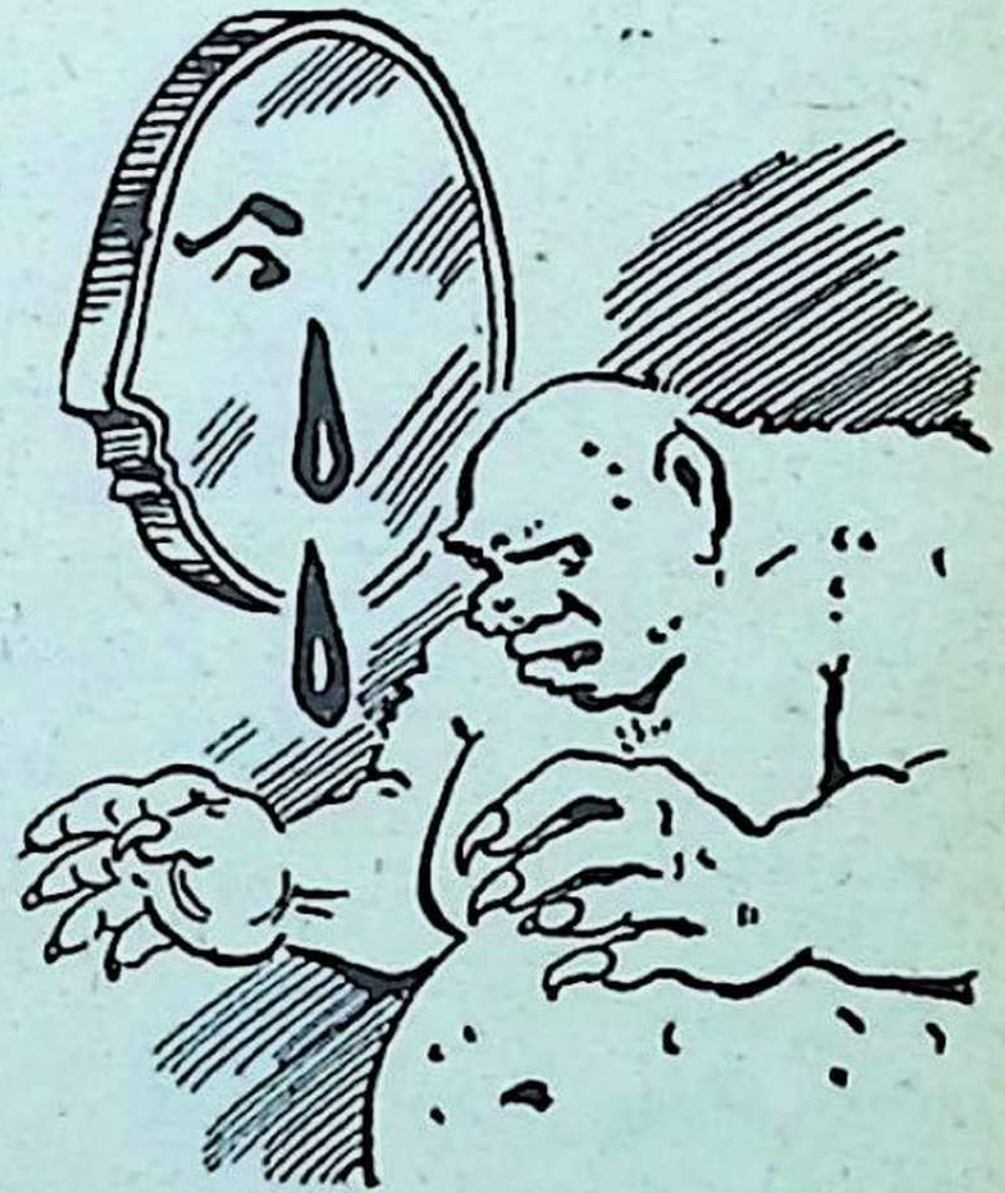
ولقد تميزت الرأسمالية الصناعية - سواء فى أوروبا عامة أو فى انجلترا خاصة - بقسط كبير من القسوة الفظيعة . فان مولد الصناعة الحديثة استوجب التضحية بكثير من الابرياء ، وكان الصبية الفقراء يحشدون حشدا ليجندوا للعمل فى المصانع فى نوبات تشغل الشطر الاكبر من الليل . . . ولما كان عدد سكان « لانكشير » صغيرا ، فقد دعت الحاجة فجأة الى أفواج ضخمة من الايدي العاملة . . . وعلى هذا سيق اليها آلاف من الصغار اليافعين من دور العمل (الورش) فى لندن وبرمنجهام وغيرهما من المدن . . . وكان هؤلاء الصغار يجلدون بالسياط ، ويعذبون ، ويكبلون بالاغلال . . . وأدى هذا الاستغلال الى تدفق الارباح على رجال الصناعة ، الى أن تقدم سير روبرت بيل فى النهاية بالقانون الخاص بحماية الاطفال والاحداث . . .

وبنمو الانتاج الرأسمالى - خلال فترة التصنيع - فقد الضمير العام الاوربى كل حياء وحرص ، وأخذت الامم تتباهى بالمخازى التى كانت تعزز نموها الرأسمالى . . . واستحلت ليفربول تجارة الرقيق . . . ولم يكن استعباد الاطفال فى المصانع الاوربية ليختلف عن نظام الرق الخالص الذى قضى على الزنوج بأن يحملوا الى أمريكا . . .

واذا كان المال - كما قال (مارى أوجييه) - « يأتى الى الدنيا وعلى أحد خديه بقعة من الدم » ، فان رأس المال يأتى والدم والاقذار تنزف من مسامه وخلاياه !

٣ - السلع والتبادل ورأس المال

◆ **السلعة** هي شئ، - خارج نطاق كياننا وأنفسنا - له من الخواص ما يمكنه من اشباع الرغبات البشرية .. ولما كانت منفعة السلعة هي قدرتها على اشباع رغبة من الرغبات، لذلك فانها تقدر في الواقع بقيمة المنفعة المستمدة .. وقيم منفعة السلع هي أساس جميع الثروات، اذ تتمثل فيها القيم الاستبدالية للسلع .. أى قيمة كل سلعة بالنسبة للسلع



المال .. ورأس المال !

الآخري .. والعامل الاساسى فى تحديد قيمة أية سلعة انما يتحدد بالعمل - أو الجهد - والوقت الاجتماعيين اللذين يستلزمهما انتاجها ..

وقد تكون لسلعة ما قيمة منفعة ، ومع ذلك لا تكون لها قيمة استبدالية ، لان منفعتها لا تترتب على عمل بذل فيها ، كالهواء .. كذلك اذا لم يكن للشئ نفع ، كان العمل الذى بذل فيه غير ذى جدوى ، لان العمل لا يكون مجديا الا اذا خلق للشئ قيمة .. فالمعطف مثلا قد يساوى ضعف ثمن عشر ياردات من قماش التيل ، لان الجهد - أى العمل - الذى بذل فيه يعادل ضعف ذاك الذى بذل فى القماش .. وهكذا ، لما كان كل عمل عبارة عن بذل جهد بشرى بشكل معين ، ولغرض محدد ، فان العمل النافع هو الذى ينتج قيمة منفعة .. أى اشباع رغبة ..

اصل استعمال النقود

♦ وكل امرئ يعرف أن للسلع قيما تقاس بمقياس عام مشترك بينها جميعا ، ويختلف اختلافا ملحوظا عن قيم منفعتها بالنسبة لاشكال الاشباع المتباينة . . . وأقصد بهذا القياس المشترك : النقود

ذلك أن كل صاحب سلعة يود أن يستبدل بها من السلع الأخرى ما يكون ذا منفعة تشبع بعض رغباته . . . ومن ثم فلكل سلعة أخرى - في نظره - درجة بالنسبة لسلعته . فكان لا بد لتحديد القيمة من رمز يعترف به المجتمع كله ، فلا تقاس قيمة السلعة إلى سلعة أخرى ، بنسبة قيمة منفعتها إلى قيمة منفعة الأخرى ، إذ أن تقدير قيمة المنفعة يختلف من شخص إلى آخر . . . ومن ثم اتخذت النقود رمزا اجتماعيا لتقدير القيمة . فهي بهذا مقياس عام للقيمة ، وعلى هذا الأساس يكتسب الذهب - وهو سلعة - قيمته كنقود . . . ولكن النقود في حد ذاتها ليست سعرا ، وإنما هي - كمقياس للقيمة ومعدل للسعر - ذات وظيفتين واضحتين : فهي مقياس للقيمة من حيث أنها القياس الذي يعترف به المجتمع للعمل البشري . . . وهي معدل للسعر من حيث أنها تمثل وزنا معيننا من المعدن الذي تسك منه . . .

وبعبارة أخرى أن النقود كمقياس للقيمة تستخدم في تحويل قيم جميع السلع المتباينة إلى أسعار أو كميات وهمية من الذهب . . . ومعدل للسعر ، تستخدم في قياس هذه الكميات من الذهب .

ولقد كانت قيمة القطعة النقدية فيما مضى تمثل قيمة وزنها من المعدن الذي سكته منه ، ذهباً كان أو فضة . . . ثم اصطلح على أن تمثل سعرا معيننا بصرف النظر عن الوزن . . . وبعد أن كان الانجليز يقولون أن « ربع الطن من القمح يساوي أوقية

من الذهب « أصبح يقول انه يساوى » ثلاثة جنيهات وسبعة عشر شلنا وعشرة بنسات ونصف البنس !
وعلى هذا ، أصبحت السلع تقدر بأسعارها ، وأصبحت النقود تمثل القيمة الحسابية .. أى تمثل رمزا هو السعر الذى حددته لها سلطات الاصدار بصرف النظر عن وزن المعدن وقيمه ..

أجر العامل يختلف باختلاف حرفته

◆ كذلك أصبح كل عامل يحدد ما يدره عليه عمله بالنقود التى يتقاضاها من صاحب العمل .. وتبعاً لاختلاف الحرف ، تختلف المبالغ التى يتقاضونها أجوراً عن مدة معينة من العمل أو عن اتمام قطعة معينة من العمل .. على أنهم جميعاً يتفقون رغم هذا التباين ، على أن الاجر هو المبلغ النقدي الذى يدفعه الرأسمالى فى مقابل فترة معينة من العمل ، أو فى مقابل بذل جهد لانتاج شئ معين ..

فالرأسمالى - كما نرى - يبتاع عمل العمال - أى جهدهم - بالنقود .. ولكن هذا من حيث المظهر فحسب ، فإذا تأملنا الواقع رأينا الامر يختلف .. ذلك لان المبلغ الذى ابتاع به الرأسمالى جهد العامل - ولنقل انه اثنان من الماركات - كان يمكنه ان يبتاع به رطلين من السكر ، أو كمية معينة من سلعة أخرى .. فالماركان اللذان يبتاعان رطلين من السكر هما سعر الرطلين .. اما الماركان اللذان يدفعهما صاحب رأس المال للعامل فيبتاع بهما اثنتى عشرة ساعة من استعمال قوة العامل، فهما ثمن اثنتى عشرة ساعة من الجهد .. ومن هذا نرى أن العمل سلعة كالسكر أو كأية سلعة أخرى .. وإذا كان السكر يوزن بالميزان ، فان العمل يحسب بالساعة !

ومن ناحية أخرى، نجد أن الماركين اللذين يتقاضاهما العامل فى مقابل العمل اثنتى عشرة ساعة ، يمثلان السلع الأخرى التى

يمكن شراؤها بهما .. فكأن الماركين يمثلان معدل استبدال جهد العامل بالسلع الاخرى .. أى القيمة الاستبدالية للعمل .. وكأن الاجر هو سعر العمل ..

وبالتالى ، فان صاحب رأس المال يبتاع العمل كما يبتاع المواد الاولية والادوات .. ولكن هذه السلعة التى نطلق عليها العمل ، هى جهد العامل ونشاطه الحيوى .. فالعامل يبيع نشاطه الحيوى لشخص آخر كى يوفر لنفسه الوسائل اللازمة لاشباع حاجاته .. أى أنه يشتغل ليعيش .. ويبذل الجهد - أى العمل - لينتج لنفسه الاجر .. والاجر - كما رأينا - هو سعر سلعة معينة هى : العمل .. وهى - كالسلع الاخرى - تخضع لنفس القوانين التى تحدد سعر كل سلعة ..

نفقات انتاج السلعة تحدد سعرها

◆ وسعر السلعة يتحدد بالمنافسة بين المشترين والبائعين .. وهذه تنطوى على منافسة بين البائعين بعضهم وبعض تتجه بالسعر الى الانخفاض .. ومنافسة بين المشترين بعضهم وبعض تتجه بالسعر الى الارتفاع .. والمنافسة بين المشترين والبائعين تتوقف على مدى المنافسة بين أفراد كل فريق .. فاذا كانت شديدة بين البائعين ، أقبل كل منهم على عرض أكبر قدر لديه من السلع ، فيزيد العرض ، ويفوز الجانب الذى يتجه بالسعر الى الانخفاض .. واذا كانت شديدة بين المشترين ، زاد الطلب ، وفاز الجانب الذى يتجه بالسعر الى الارتفاع .. والذى يحدد العلاقة بين العرض والطلب هو نفقات الانتاج ، فهى المقياس الذى يقيس به البائع ربحه .. أى أن سعر السلعة يتحدد بنفقات انتاجها ..

والعمل - كغيره من السلع - يتحدد سعره بالعلاقة بين العرض والطلب .. وبالتالى ، بنفقات انتاجه ، أى بساعات العمل أو مدته التى يدفع فى مقابلها الاجر لانتاج الجهد ..

فما هي نفقات الانتاج في هذه الحالة ؟ . . . انها النفقات اللازمة لاعداد العامل كعامل ، والاحتفاظ به عاملا . . . فكلما قلت مدة التدريب التي يحتاج اليها أى عمل ، قلت نفقات انتاج العامل ، وبالتالي قل أجره . . . وفي فروع الصناعة التي لا تكاد تستلزم مدة تعليم وتدريب ، والتي يكفى فيها توفر وجود العامل ، فان نفقات انتاج العامل تقتصر على نفقات السلع اللازمة لاستبقائه حيا ، قادرا على العمل . . . أى أن سعر عمله - في هذه الحالة - يتحدد بسعر الوسائل اللازمة لاشباع حاجاته ! وهناك اعتبار آخر . . . ذلك أن صاحب المصنع يحسب استهلاك آلاته وأدوات الانتاج عنده ، ويضيف معدل الاستهلاك السنوى الى سعر سلعه ليستطيع أن يستبدل بالآلات عند استهلاكها نهائيا آلات جديدة . . . وكذلك الحال بالنسبة للعمل ، فلا بد له من أن يحسب - حين يحسب نفقات انتاج جهد العمل - نفقات تجديد عنصر العمال ، أى تزايد الطبقة العاملة ، ليتمكن استبدال العمال الذين يقعدون عن العمل . . . فكأن سعر نفقات بقاء العامل على قيد الحياة وتكاثره هي التي تؤلف الاجر . وهذا ما يسمى بالحد الأدنى للاجور . . .

العامل والرأسمالى : ماذا يجنى كلاهما من الآخر ؟

◆ وهكذا نجد أن رأس المال يتألف من المواد الخام ، والادوات ، والعمل ، وجميع الوسائل التي تتخذ لانتاج خامات جديدة وأدوات جديدة وأيد عاملة جديدة ووسائل جديدة لتعويضها . . . وكل هذه الاجزاء المكمل بعضها بعضا من انتاج العمل . . . انها عمل متراكم - أو مركب - يستخدم وسيلة لانتاج جديد هو بدوره رأس مال . . .

ومن ثم ، فان العامل يتلقى في مقابل جهده وسائل لاشباع حاجاته ، غير أن صاحب رأس المال يتلقى في مقابل اشباع حاجة العامل ، نشاطا انتاجيا من العامل . . . يتلقى قوة لا يعوض

بها العامل - لصاحب العمل - ما يستهلكه فحسب ، وإنما يضيف على العمل المتراكم - أو المجمع - قيمة أعظم مما كان له من قبل .. وهذه القوة ذاتها تصبح - بالنسبة للعامل - طاقة مفقودة .. طاقة ضائعة !

وأول شرط لأرباب رأس المال وزيادته ، هو أنه لا بد لصاحب رأس المال من أن يبيع سلعه ويحول الجزء الأكبر من النقود التي يحصل عليها من وراء البيع إلى رأس مال .. أى إلى مواد خام ، وأدوات وعمل ..

وهكذا فإن عملية الانتاج تعمل دون انقطاع على تحويل الثروة المادية إلى رأس مال ، فالى وسائل لخلق مزيد من الثروة ومن رأس المال .. أى مزيد من المصلحة لصاحب رأس المال .. أما بالنسبة للعامل ، فالامر على العكس كما ذكرنا ، فهو حين يهجر العملية لا يكون أكثر منه حين بدأها .. أى أنه لا يكون قد زاد شيئاً .. فهو مورد الثروة ، ولكنه لا يملك أضال وسيلة لاعداد الثروة لنفسه .. وبمعنى آخر ، فإن انتاج العامل يتحول بلا انقطاع لا إلى سلع فقط ، وإنما إلى رأس مال أيضاً .. إلى وسائل للاشباع يمكن بها شراء العامل ، وإلى وسائل للانتاج تتحكم فى المنتج الاصلى .. الذى هو العامل !

مصلحة صاحب رأس المال ومصلحة العامل .. واحدة !

◆ **وبالمثل نرى أن صاحب رأس المال ينتج باستمرار القوة العاملة ، اذ أن الاجر الذى يدفعه للعامل يستبدله بقوة عاملة تنتج من ناحيتها أكثر من الاجر الذى دفع .. فالتبقة العاملة - من وجهة نظر المجتمع - تتبع رأس المال كما تتبعه أدوات العمل العادية .. وليس استقلالها سوى مظهر تحتفظ به بالتقلب بين أصحاب الاعمال ، وبالصيغة القانونية للعقد بين العامل وصاحب العمل .. وقد كان رأس المال من قبل يبسط حقوق ملكيته على العامل الحر بموجب القانون ..**

ومن ثم نرى أن ازدياد رأس المال يتبعه ويقترن به ازدياد الطبقة العاملة ..

ويستخلص « البورجوازيون » من ذلك أن مصلحة صاحب رأس المال ومصلحة العامل واحدة .. وهذا صحيح! .. فالعامل يهلك إذا لم يستخدمه رأس المال .. ورأس المال يهلك إذا لم يستغل القوة العاملة ، ولكي يستغلها لا بد له من شرائها .. وكلما أعد رأس المال للانتاج بسرعة أكبر ، ازداد رأس المال المنتج ، فيزداد بذلك انتعاش الصناعة ، ويزداد تبعاً لذلك ثراء أصحاب الاموال ، فتزداد - أيضاً - حاجتهم للعمال ، ومن ثم يرتفع السعر الذى يبيع به العامل نفسه !

ولكن ، ما هو نمو رأس المال المنتج ؟ .. انه نمو العمل المتراكم - الممثل فى شكل سلع - على العمل الحى .. نمو تسلط أصحاب الاموال على الطبقة العاملة .. اذ أن العمل المستأجر اذا ما أنتج الثروة للآخرين الذين يسيطرون عليه ، فان المال يتدفق عليه من الرأسماليين ، على شريطة أن يجعل - أى العمل - نفسه من جديد جزءا من رأس المال .. فيزيد من سرعة نموه ..

ونخلص من هذا الى أن الانتاج الرأسمالى ينتج ويستبقى ، باستمرار الحال التى تمكنه من استغلال العامل .. والعبودية الاقتصادية التى يدين بها العامل تستتر وراء تقلبه فى الخدمة بين أصحاب الاعمال ، وهى فى الوقت ذاته تنشأ عنها .. أى أن الانتاج الرأسمالى - فى سيره المستمر المتصل - لا ينتج سلعا فحسب ، ولا فائض قيمة فحسب ، وانما ينتج أيضاً ويجدد العلاقة الرأسمالية التى تقوم بين صاحب رأس المال والعامل الاجير .. فرأس المال لازم للعامل الاجير ، والعامل لازم لرأس المال ، كل منهما شرط لازم لوجود الآخر ، وكل منهما يعمل على وجود الآخر بالتبادل ..

غير أن العلاقة بين نصيب كل منهما ونصيب الآخر علاقة تقوم على التناسب العكسي .. وكلما زاد نصيب رأس المال - أى الربح - قل نصيب العمل ، أى الأجر .. إذ أن الازدياد السريع لرأس المال معناه الازدياد السريع للربح ، وهذا ما لا يتأتى إلا إذا انخفض سعر العمل ، أى الأجر ..

ولقد يرتفع الأجر ، فى حالة النمو السريع لرأس المال ، ولكن ربح رأس المال يرتفع بسرعة أكبر بكثير .. ومع أن المركز المادى للعامل يتحسن نتيجة ارتفاع الأجر ، إلا أن نفقة مركزه الاجتماعى تقضى على هذا التحسن .. فتزداد الهوة الاجتماعية التى تفصل العامل عن صاحب رأس المال ..

ولبيان ذلك نقول انه إذا ازداد رأس المال المنتج فى المجتمع « البورجوازي » عموما ، فإن العمل المتراكم - أى المدخر فى شكل سلع - يزداد ويتنوع ، ومن ثم تزداد رؤوس الاموال عددا وحجما .. أى تزداد رؤوس الاموال ويزداد عدد أصحاب رؤوس الاموال .. وهذا يؤدى الى زيادة المنافسة بينهم .. وفى الوقت ذاته ، فإن ازدياد حجم رؤوس الاموال يوفرا لاسباب لاستخدام مزيد من الايدى العاملة لتعزيز التنافس الصناعى ..

التنافس بين أصحاب رؤوس الاموال ..

♦ ولا يستطيع صاحب رأس المال أن يزيح غريمه من ميدان المنافسة الا اذا باع سلعه بثمن أرخص ، ولكى يفعل ذلك دون أن يوقع بنفسه خسارة ، لا بد له من أن ينتج بنفقات أقل من ذى قبل ، أى برفع القوة الانتاجية للعامل .. ولكن هذه القوة ازدادت فعلا بالتوسع فى تقسيم العمل ، أى بالتوسع فى ادخال الآلات وادخال التحسينات عليها باستمرار .. وكلما ازدادت الايدى العاملة التى يقسم بينها العمل ، ازداد التوسع فى ادخال الآلات ، وانخفضت نفقات الانتاج تبعا لذلك .. أى ازدادت ثمرة العمل ! .. ومن ثم ، ازداد استغلال أصحاب رؤوس الاموال للعمال ..

والتنافس في هذا المضمار لا يلبث أن يعود بأصحاب رؤوس الاموال المتنافسين الى أوضاعهم السابقة بعضهم بالنسبة لبعض .. ولكنهم يمضون في المنافسة ، فيضطرون الى بيع سلعتهم بسعر يقل عن سعرها القديم - قبل زيادة الايدي العاملة والآلات - ومن ثم تبدأ العملية من جديد .. من توسع في تقسيم العمل ، وادخال الآلات ، واستغلال الآلات والعمل .. وهكذا دواليك .. فلا يكسب صاحب رأس المال بالتمادي سوى الاضطرار الى زيادة الانتاج في فترة العمل الواحدة ، وزيادة الايدي العاملة والآلات ، ثم بالتالي زيادة العرض ، وتخفيض السعر .. وبمعنى آخر، لا يؤدي بتماديه الا الى زيادة تعذر استعمال رأس ماله استعمالا مربحا ..

.. والتنافس بين العمال !

♦ ومن الناحية الاخرى - ناحية العمل - يؤدي تقسيم العمل الى أن يقوم العامل الواحد بعمل خمسة أو عشرة أو عشرين ، فتتضاعف المنافسة لذلك بين العمال بنفس النسبة .. والعمال لا يتنافسون بتخفيض أسعار عملهم فحسب ، وانما بأن يعمل الواحد منهم عمل أكبر عدد ممكن من العمال .. وهكذا .. وفي الوقت ذاته يلاحظ انه كلما ازداد تقسيم العمل، ازدادت بساطته، فتقل قيمة العامل المدرب، المتخصص، ويسهل عمله ، ويزداد بذلك عدد منافسيه .. وهكذا ، أيضا .. والنتيجة في الحالين انخفاض الاجر !

والآلات بدورها تساهم في الميدان ، فانها تساعد على الاستغناء عن كثير من العمال المهرة المدربين ، والقائهم في الطرق .. وباشتداد المعركة ، يتنافس أصحاب الاموال في فصل العمال ..

من هذا كله نرى أن نمو رأس مال المجتمع يتأثر بنمو رؤوس الاموال الفردية ، اذ أن تضخم رأس المال يصحبه نمو

عدد أصحاب رؤوس الاموال الفردية بدرجة قد تكون كبيرة وقد تكون صغيرة .. وتمتاز هذه الظاهرة بأمرين :

أولاً : ان التركيز المطرد لوسائل الانتاج فى المجتمع فى أيدي أصحاب رؤوس الاموال الفردية ، مقيد بدرجة ازدياد ثروة المجتمع ، على افتراض بقاء العوامل الاخرى على حالها ..

وثانياً : ان الجزء من رأس مال المجتمع المستخدم فى ناحية معينة من نواحي الانتاج ، يكون مقسماً بين كثير من أصحاب رؤوس الاموال فينافس كل منهم الآخر كمنتج مستقل للسلع ..

ثم ان ازدياد كل رأس مال عامل ، لا يلبث ان يتعرقل بسبب نشوء رؤوس اموال جديدة ، وانقسام رؤوس الاموال القديمة ..

فازدياد رؤوس الاموال وتضخمها يتجلى - كما راينا - فى ازدياد تركيز وسائل الانتاج والسيطرة على العمل - من ناحية - وتنافر كثير من الافراد - بسبب التنافس - من ناحية اخرى .

غرام الخليفة

♦ خرجت «حبابة» مع الخليفة «يزيد بن عبد الملك» الى ناحية الاردن ينتزهان . ورماها «يزيد» بحبة عنب ، دخلت حلقها فشرقت ومرضت وماتت .. فتركها ثلاثة ايام لم يدفنها وهو ينظر اليها ويبكى ! ولما اذن بدفنها خرج يشيع جنازتها ومعه اخوه «مسلمة» ليسليه ويعزيه . ولم يطق يزيد الركوب من فرط جزعه ، كما عجز عن السير ، فامر مسلمة فصلى عليها نيابة عنه - (وقيل بل منعه مسلمة عن السير لئلا يرى الناس منه ما يعيبونه عليه)

وبقى يزيد بعد موت حبابة سبعة ايام لا يظهر للناس ، وقد اشار عليه مسلمة بذلك اذ خاف ان يبدو من الخليفة ما يسفهه .. لكن يزيدا لم يلبث ان مات بعد ايام ، ودفن الى جانب حبابة !

عزيزى القارىء ..

فى هذا الباب قرأت معى فى الاعداد
السابقة ، القصص الآتية على التوالى :

لوكريشيا بورجيا

« تيرىوس » قيصر روما

عشيقة نابليون (ماري فالفسكا)

فضيحة « كارولين » ملكة انجلترا

الحب أقوى من الموت !

امراة وملك (مدام دى مانتون)

نيرون : الطاغية السفاح

ليدى هاملتون

مارى انطوانيت

مصرع القيصريّة فى روسيا

ملكة الفوايه : بولين بوناپرت

ماساة ملك بافاريا

الحب والجريمة تحت سماء فلورنسا

غرام الاميرة اليزابيث تيودور

واليوم اقدم اليك فيما يلى هذه

القصة الحديثة التى تجمع بين صدق

الحقائق التاريخية فى حقبة هامة من

عصر الثورة الفرنسية ونابليون ، وبين

خيال مؤلفتها الروائية المعاصرة « آن

مارى سولنكو » .

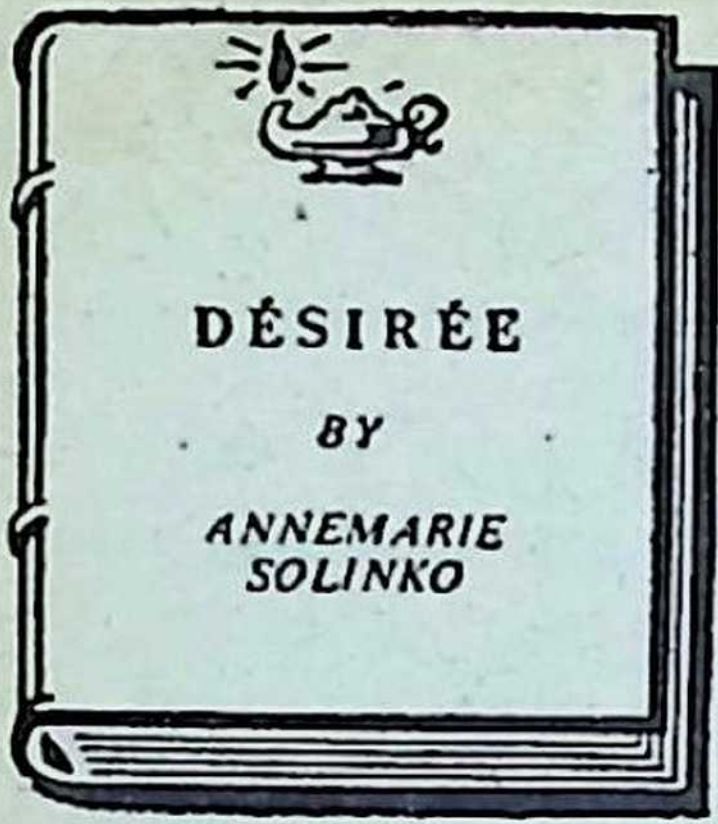
وفى الاعداد القادمة تقرا معى باذن

الله المزيد من قصص التاريخ الشائقة
وماسيه الكبرى ..

حدث ذات يوم



من قصص
التاريخ
وماسيه



ديزيريه

المرأة التي كانت ستقام "نابليون" مجده!

أحدث كتاب للروائية والمؤلفة المعاصرة "آن ماري سولنكو"

الخطيبة التي هجرها نابليون

◆ في تاريخ البطل نابليون برنابرت صفحة مطوية لم يكـد يـرد ذكرها في كتب التاريخ - على كثرة ما كتب عن هذا القائد العظيم - برغم ما كان لها من بالغ الاثر في حياته الخاصة ، بل والعامه ، طيلة مدة تالق نجمه وتوالى امجاده الحربية والسياسية !.. هذه الصفحة المطوية هي قصة « ديزيريه كلارى » ، المرأة التي احبها نابليون في شبابه الباكر ، ثم خطبها .. لكنه لم يلبث ان هجرها فجأة حين لاحت في افق حياته غريمته الارملة « جوزفين بوهارنيه » ، بكل ما انطوت عليه شخصيتها من خبرة وتجربة ونضوج ..

على ان الظروف شاءت ان تربط مستقبل ديزيريه بعد ذلك بمستقبل نابليون باكثر من رباط ، طوال حياته . وفي هذا الكتاب الحديث الذى صدر منذ اسابيع ، تروى مؤلفة ، صورا خاطفة من تاريخ المرأة التى نحاها القدر في آخر لحظة عن ان تشارك البطل الخالد امجاده ، لكنه اتاح لها ان تتابع حياته عن كثب .. وقد صاغت المؤلفة كتابها في صورة « يوميات » على لسان بطلتها .

- ١ -

مرسيليا في مطلع السنة الثانية من تقويم الثورة اى نهاية مارس سنة ١٧٩٤ ، بالتقويم الذى كانت امى تالفه !

◆ تستطيع المرأة اذا أوتيت جسما متناسق النمو أن تحصل من الرجل على كل ما تشاء . ولذلك قررت أن أدس فى صدر ثوبى غدا أربعة مناديل ، لأبدو كبيرة - فان أحدا سواى لا يشعر بأننى كبرت فعلا !.. لقد بلغت الرابعة عشرة من عمري فى نوفمبر الماضى ، فأهدانى أبى هذه الكراسة الانيقة لأدون فيها يومياتى .. وكانت آخر هداياه لى ، اذ لم يلبث أن توفى بعد شهرين ، تاركا وراءه سمعة طيبة .. اذ كان من تجار الحرير فى مرسيليا ، وكان يدعى « فرانسوا كلارى »

ولقد تساءلت فى حيرة حين رأيت الكراسة على مكتبى بين الهدايا : « ماذا أكتب فيها ؟ » .. فابتسم أبى وطبع على

جيني قبله وقال : « أكتبى سيرة المواطنة برناردين أوجينى ديزيريه كلارى » . . . وغام وجهه فجأة بالاسى

ولسوف أبدأ الليلة فى كتابة سيرتى ، فان الانفعال يؤرقنى . . . ومبعث هذا الانفعال اننى سأصحب « سوزان » - زوجة أخى - فى الغد لمقابلة النائب « آلبيت » لندرجوه أن يسعى لاطلاق سراح أخى « اتيين » الذى اعتقله البوليس فجأة منذ يومين . . . وهو أمر كثير الحدوث فى هذه الايام ، اذ لم تنقض بعد خمس سنوات على قيام الثورة . . . ومن حسن الحظ أن ليس بين أقاربنا مترفون من الارستقراطيين ، فلقد شق أبى طريقه فى الحياة بنفسه ، فعمل على تنمية التجارة الصغيرة التى تركها له جدى ، حتى أصبحت من أكبر شركات الحرير فى مرسيليا . . . وتولى أخى « اتيين » ادارتها بعد موت أبى ، فلما اعتقل ، قالت لى « مارى » - الطاهية التى كانت مربية لى - « سمعت ان النائب « آلبيت » قادم للمدينة يا أوجينى ، فعلى زوجة أخيك أن تسعى لمقابلته كى يفرج عن زوجها »

وكان الوجوم يخيم علينا خلال العشاء ، اذ كان حول المائدة مقعدان شاغران : مقعد أبى - الى جوار أمى - ومقعد « اتيين » المجاور لسوزان . . . واستغرقت أفكر فى « آلبيت » فلم أفطن الى أصابعى وهى تكور الخبز ، مما أغضب أختى « جولى » التى تكبرنى بأربع سنوات ، والتى تحب دائما أن تقوم بدور الام لى ، فتشيرنى . . . وفجأة ، أمسكت عن تكوير الخبز وقلت : « ان آلبيت فى المدينة . . . انه النائب اليعقوبى الذى يمثل مرسيليا ، ولسوف يمكث هنا اسبوعا ، يتردد خلاله على دارالمحافظة يوميا . . . لذلك يجب أن تذهب « سوزان » غدا لرؤيته فتسأله عن سبب اعتقال « اتيين » وتؤكد له أن فى الامر سوء فهم »

وتطلعت الى سوزان باكية وقالت انه قد يرفض مقابلتها . . . واقترحت أمى أن يتولى محامى الاسرة لقاءه ، فغازنى هذا التقاعس من أمى وقلت : « بل يجب أن نقابل آلبيت بأنفسنا

•• وسوزان هي الجديرة بأن تذهب اليه بوصفها زوجة اتين
 •• فاذا كنت خائفة يا سوزان، فساذهب معك وسأسأل «آلبيت»
 أن يطلق سراح أخى »

وصعدت عقب العشاء لارى ما اذا كان « بيرسن » قد عاد
 لاعلمه اللغة الفرنسية •• يا له من شاب مفرط الطول ، ككل
 السويديين •• فهو سويدي ، يملك أبوه شركة فى ستوكهلم
 على علاقة ما بشركتنا ، ومن ثم جاء « بيرسن » الى مارسيليا
 ليقضى عاما فى الشركة ليلم بتجارة الحرير ••

ووجدت « بيرسن » قد عاد •• وبادرني قائلا : « أحب أن
 أقول يا آنسة اننى عائد لبلادى عما قريب ، فقد أتممت العام
 •• وهم بحاجة لى فى ستوكهلم » •• وأخذ يصف لى «ستوكهلم»
 وأنا فى شغل عن كلامه بالتفكير فى الغد ، وفى المناديل التى
 سأدسها فى صدر ثوبى !

وفجأة ، أقبلت أختى « جولى » تؤنبنى على أننى لم آو الى
 فراشى بعد •• وظلت فى تقريعها لى حتى بعد أن اندسست فى
 فراشى ، فراحت تقول ان ليس من اللائق بفتاة أن تجالس
 شابا الى مثل هذا الوقت •• ولم أجد مهربا سوى أن أطفىء
 الشمعة وأتظاهر بالنوم وأنا أفكر فى أن خير ما يخلصنى من
 عنت « جولى » ، هو أن يسوق لها القدر زوجا !

ولم يواتنى النوم ، اذ انتقل فكرى الى الغد •• وذكرت أن
 « مارى » الطاهية صحبتنى خلسة منذ عامين لارى دارالمحافضة،
 فلما عدت الى البيت ، رحت أبكى تأثرا للذين رأيتهم يعدمون ،
 حتى أحاطنى أبى بذراعيه وقال لى : « لقد عانى الشعب الفرنسى
 مئات السنين ، فانبثق من العذاب لهبان : لهب العدالة ، ولهب
 الحق •• ولسوف يغرق لهب الحق فى سيل الدماء •• أما
 اللهب الآخر يا ابنتى الصغيرة •• أما اللهب القدسى ، فلن يخمد
 البتة مرة أخرى »

الكورسيكي الشاب !

◆ **لست** أدري كيف أسجل ما حدث لكثرتة .. على أن أهم شئ ، أن اتبين قد استرد حريته .. وثانيا ، التقيت بشاب ذى وجه عجيب ، واسم من أكثر الاسماء استعصاء على النطق .. انه يدعى « بونوبا » ، أو لعله « بونابرت » .. وثالثا ان أهلى يحرقون الارم فى الطابق الارضى ويرموننى بأننى عار على الاسرة ، وقد زجوا بى فى فراشى قسرا ، وراحوا يحتفلون بعودة « اتيين » ، مع اننى صاحبة الفكرة التى أدت الى عودته !

كنت قد ذهبت مع « سوزان » الى دار المحافظة ، فاذا حشد من الناس عند المدخل .. واستطعنا أن ننفذ الى مكتب النائب « آلبيت » ، فاذا نحن فى غرفة زاخرة بالناس .. واذا فى الطرف الاقصى حارس فى زى شـباب الحزب اليعقوبى .. وقصدنا الى ذلك الشاب ، فغمغمت له سوزان :

— اننا نرجو أن نرى المواطن النائب آلبيت ..

فقال اليعقوبى وكأنه ملاك يقف بأبواب الجنة : « كل امرئ فى هذه الحجرة يبغى مقابله .. أكتبى اسمك وسبب الزيارة على ورقة مخصصة تجدينها على حافة النافذة »

وشققنا طريقنا الى النافذة ، حيث كتبت سوزان ما طلب . ثم شققنا طريقنا عائدين بين القوم ، فأسلمت الورقة الى الشاب ، الذى سألنا أن ننتظر دورنا ..

وطال انتظارنا ساعات .. وأخذت أغفو وأنتبه .. والوقت يمر .. ثم غشيتنى سبات عميق ، لم أستيقظ منه الا على ضوء سلط على عيني .. وصوت يقول : « استيقظى أيتها المواطنة ، فليس لك أن تنامى هنا »

ووددت لو أمضى فى النوم ، لولا أن انتبهت فجأة الى اننى كنت فى غرفة مظلمة ، وان ثمة رجلا ينحنى نحوى حاملا مصباحا .. وكان شابا مليحا ، ذا عينيّن جميلتين وابتسامة ساحرة .. وقال :

- لا تخافى أيتها المواطنة .. اننى مضطر لان أغلق مكتب
النائب آلبيت لانصرف الى دارى .. اننى المواطن جـوزيف
بونابارت ، سكرتير لجنة الامن العام ببباريس ، ومنتدب لاعمل
سكرتيرا للنائب آلبيت خلال مدة وجوده فى مرسيليا

وذملت اذ تبينت اننى فى دار المحافظة .. وتساءلت عن
« سوزان » ، فتحولت ابتسامة الشاب الى ضحكة وقال : « لم
أحظ بمقابلة سوزان هذه .. ولقد غادر آخر زوار المواطن آلبيت
المكان منذ ساعتين .. فما اسمها الكامل ؟ »

وغاب لحظة فى الغرفة الداخلية بعد اذ تلقى الجواب ، ثم
عاد يقول : « آه ، وجدت اسمها فى القائمة .. لقد أطلق سراح
« اتيين كلارى » بعد أن اتضح الامر .. ولعله عاد الى الدار منذ
زمن .. ولكن .. ماذا جرى أيتها المواطنة ؟ »

وكنت قد أخذت أرتجف فى عنف ، ثم طفقت أبكى من فرط
فرحى دون أن أقوى على تمالك نفسى ..
لقاء .. رسمه القدر !

◆ **ورحت أبحث عن منديل فى حقيبتى دون جدوى ، ثم**
تذكرت المناديل الاربعة ، فدسست يدي فى صدر ثوبى
اخرجها .. ورأى الشاب فوقف يحملق ، لا يكاد يصدق
عينيه .. فقلت له :

- لقد وضعتها ليظن الناس اننى كبيرة ..
- انك فعلا شابة .. والآن ، سأصحبك الى دارك ، فليس من
المأمون لشابة ان تسير فى المدينة ليلا ..
ولم أشأ أن أرفض .. وسرى عنى الخجل فى الطريق فسألته :
- ما أظنك فى الاصل من أهل مرسيليا ؟

- اجل .. وان كانت كل اسرتى - عدا اخ لى - يقيمون هنا ..
اننا لاجئون أتينا الى فرنسا منذ عام وبعض العام ، وقد
اضطررنا الى ان ننجو من كورسيكا بجلودنا دون ان نجد فرصة
لكى نحمل معنا شيئا مما كنا نملك .. على ان اخى يساعدنا ،

وقد استطاع ان يحصل لأمي على معاش ضئيل من الحكومة لأنها غادرت كورسيكا فرارا من الانجليز .. ولقد تلقى أخي علومه في الكلية العسكرية في « برين » وهو الآن « جنرال » وبدأ لي في قصته شيء من البطولة ، لا سيما وان اخاه « جنرال » .. وسادنا الصمت هنية ، ثم سألتني عما اذا كنت ابنة « كلاري » تاجر الحرير ، فأجفت وسألته : « وكيف عرفت ؟ » .. فقال :

— ان عيون القانون ترى كل شيء .. ثم لا تنسى انك اخبرتني بأنك اخت « اتيين كلاري » .. ولكن ، الا ترين من الغريب انني لم أعرف بعد اسمك .. ؟

— انني أدعى برناردين اوجيني ديزيريه .. وهم ينادونني بأوجيني ، وان كنت أوثر ان ادعى « ديزيريه »

— الا يسمح لك قط بالخروج للنزهة مع شاب ؟ فأجبته : « لست أدري ، فما قدر لي أن أعرف شابا » واذ ذاك ضغط على ذراعي في رفق وضحك قائلا : « ولكنك الآن تعرفين واحدا .. فهل تسمحين لي بأن أزورك يا آنسة أوجيني ؟ »

ولم أجبه ، فقد شغلت بفكرة طرأت على ذهني .. كانت « جولي » خيالية ، تحب القصص ، فلا شك أن مثل هذا الشاب يروق لها .. وتعمدت فعلا ان اذكرها في سياق الحديث ، فاذا الاهتمام يتبدى على محياه ، فيتساءل عن عمرها .. وقلت انها في الثامنة عشرة ، فسألني : « وهل هي جميلة ؟ »

وبادرت أجيبه في حماس ، وقد ازددت عزيمة على ان اتيح الفرصة لجولي — وان لاح في خاطري من وراء ذلك غرض آخر لي : « جميلة جدا .. ولكن ، هل تستطيع ان تحضر اخاك « الجنرال » معك ؟ »

— بلا شك ، يسره ذلك ، اذ ليس لنا معارف كثيرون في مرسيليا ..

- الواقع اننى لم أر قط عن قرب جنرالاً .. لا بد أن بينك وبينه فارقاً كبيراً فى العمر ؟
وشد ما ادهشنى ان اعلم ان « الجنرال » اصغر منه سناً ..
فى الرابعة والعشرين !

- ٢ -

♦ لا اكاد اصدق أن كل هذا حدث فى شهرين .. ومع ذلك فقد تمت بالامس خطوبة «جولى» الى «جوزيف» .. وقبلنى «نابليونى» للمرة الاولى !
لقد حرص الشقيقان منذ الزيارة الاولى على أن يترددا على دارنا يومياً !
ومن أغرب الامور أن «اتيين» هو الذى يدعوهم ، فقد استمرأ الحديث الى « الجنرال » ، مع أنه فى البداية رفض أن يقابلهما حين عرف أنهما من «كورسيكا» ، ووصفهما بأنهما «مغامران» ! .. ولكنه سرعان ما فتن بشخصية «نابوليونى» الذى وفق الى طرد الانجليز من «طولون» حين تحالفوا مع الملكيين اثر اعدامنا الملك السابق ! ..

ولقد سعى «نابليونى» بعد ظفره الى باريس كى يرى «روبسبير» ، اقوى أعضاء لجنة الامن العام سلطاناً .. وقد أعجب «روبسبير» بالاقترح الذى عرضه عليه «نابوليونى» لفزو ايطاليا ، وبحثه مع «كارنو» وزير الحربية .. ومع أن هذا كان يحنق على كل من يتدخل فى اختصاصاته ، الا أنه لم يقو على التعرض لنقمة «روبسبير» ، لذلك استقبل «نابوليونى» ، وتلطف اليه ، وافر الخطط التى وضعها ، ولكنه اوصاه بأن يتولى أولاً تفقيد حامياتنا فى الجنوب .. ويعتقد «نابوليونى» أن «كارنو» تعتمد ذلك ليجد فرصة كى يلقي بالمشروع فى زوايا النسيان ! ..

ويقول «نابوليونى» لآخى كلما تحدثنا عن المشروع : « أنه لواجب مقدس علينا أن ننشر فى جميع الشعوب الاوربية فكرة الحرية والمساواة والاخاء .. ولو بقوة المدفع اذا استدعى الامر ! »

ولقد اعتدت ان اصفى الى مناقشاتهما لازل على مقربة من الجنرال الشاب .. ولكنه حين يطمئن الى اننا بمنجى عن القوم يكف عن حديث القوة والمدفع .. واذ نفرغ من العشاء تبادر «جولى» قائلة : « الا ترين يا أمه انه يحسن بنا ان نصحب ضيفنا الى الحديقة ؟ » .. وتسمح أمى عادة ، فننطلق اربعتنا الى «السلامك» المقام فى الحديقة .. وقبل أن نبلغه ، يقول نابوليونى عادة : « ما رايك يا اوجينى فى أن نتسابق لنرى من يبلغ حافة السياج ؟ » .. وعندئذ اندفع اعدو بكل قواى ، فيتناثر شعرى فى الهواء ، وتسارع دقات قلبى .. بينما يتسلل جوزيف وجولى وبغيبان عن الانظار !



وكنت كلما سبقت نابوليوني أدركت
انه انما تعتمد ذلك ! .. فاذا انتهينا
الى السور ، مال عليه ، بينما اتكىء انا
بذراعى على حافته واتطلع الى النجوم
.. وبالامس ، سألتى دون مقدمات :
- الست ترهبين قط ما يدخره لك
القدر يا اوجينى ؟

- ارهب القدر ؟ .. تعنى المصير ؟
.. لا ، ليس من احد يدري ما قدر
له .. فكيف يرهب المرء ما لا يعرف ؟
وبدا وجهه تحت ضوء القمر شديد
الشحوب .. وكانت عيناه تتالقان
وهو يقول : «من الغريب ان يقول معظم
الناس انهم يجهلون ما فى طيات

الغيب .. ولكننى اعرف مصرى .. انا حظ نفسى ، وقد عولت على ان
اكون من اولئك الذين يصنعون التاريخ ! »
وحدقت فيه مبهوته ، ثم ضحكت فجأة ، فراجع متجهما وقال : «اتضحكين
يا اوجينى ؟ .. اتضحكين ؟ »

- اغفر لى هذا الضحك ، فقد اخافنى وجهك ، اذ بدا شديد الشحوب ..
غريبا .. فحاولت ان اغالب خوفى ..
- انما الذى ارهبك مستقبلى العظيم !

واقترب وجهه من وجهى .. وارتجفت .. واغمضت عيني .. ثم
احسست بشفتيه على شفتى ! .. واستمرت القبلة المفاجئة ، وان أدركت
ان جولى لن تقر ما حدث .. فهى لا تقر الفتاة على تلقى القبلات قبل
«الخطوبة» !

- ٣ -

مارسيليا فى منتصف شهر « ترميدور » (أول أغسطس طس كما تقول أمى)

◆ اعتقل نابوليوني .. اننى أعيش فى حلم مزعج منذ ليلة أمس ، رغم
ان المدينة كلها فى فرح صاخب .. فى التاسع من «ترميدور» قرر النواب
حرمان «روبسبير» واخيه من حقوقهما المدنية واعتقالهما ، ثم اعدموهما بالمقصلة
فى اليوم التالى .. واصبح كل من كان على علاقة بروبسبير يعيش فى ذعر ..

ولقد كنت وجولى حتى العاشر من ترميدور أسعد الناس ، وكانت تعمل بهمة فى اعداد ثياب العرس الذى حدد مواعده بعد ستة أسابيع .. وقد اعتاد جوزيف ان يزورنا كل مساء .. وعندما لا يكون نابليونى مشغولا بتفقد بعض التعزيزات العسكرية ، كان يفد على دارنا فى مختلف ساعات النهار .. وفى الليلة الماضية ، كان يتناول العشاء معنا حين سمعنا جلبة وصخباً تبعتهما طرقات شديدة ، فسمرنا فى أماكننا وعلقت أبصارنا بالبواب ، فى حين عقد نابليونى ذراعيه على صدره وقد غاض الدم من وجهه .. وفتح الباب فجأة ، ودخل جندى دق كعبيه وأدى التحية ثم قال :

- انذار بالقبض على المواطن الجنرال بونابارت ..

ودفع الى نابليونى بوريقة اطلع عليها ثم أفلتها وتأمل الجندى فى امعان، ثم سار اليه ، فأشار الى الزر العلوى فى صدره وقال : « يجب ان تكون حلة الجاويش فى جيش الجمهورية محكمة الازرار .. حتى فى أشد ليالى الصيف حرا ، كما يقضى النظام » .. ثم التفت الى الخادم قائلاً : « ان سيقى فى الردهة فأرجو ان تسلميه للجاويش يا مارى »

واستأذن من أمى وخرج والجاويش فى أثره ، قبل ان يتحرك احدنا .. وظللنا برهة جامدين .. وأخيراً قال أخى وهو يدعونا الى استئناف العشاء :

« ألم أقل من البداية انه مغامر يحاول ان يفيد من الجمهورية ؟ .. اننى لاسف يا جولى اذ وافقت على خطبتك لجوزيف ! »

العشيق .. والشقيق !

لست ادرى كيف قضت جولى ليلة زفافها .. كل ما ادرىه اننى واياها كنا مسهدين فى الليلة السابقة ، وفجأة سمعت شخصاً يصفر تحت نافذتى لحن « آن يوم النصر » ، وهو ثانى سطور « المارسليز » .. فقفزت من فراشى وأزحت الستار عن النافذة ، اذ كانت هذه هى الإشارة التى اتفقت عليها مع نابليونى .. وكان الظلام حالكا ، والضباب عالقاً فى الهواء .. وأخذت أصفر بدورى « آن يوم .. » فواتانى من أسفل النافذة صوته يكمل العبارة : « النصر » .. ولم أشعر بنفسى الا وقد اندفعت حافية القدمين ، عارية الا من قميص النوم ، أهبط السلم الى الحديقة ، فالى الباب ، فالى أحضان نابليونى !

وحملنى الى عتبة الباب وقد لفنى فى معطفه ، ثم ذكر لى انه غادر السجن لتوه ، ولم ير أسرته بعد ! .. واستندت راسى الى سترته الخشنة ، وانا ناعمة ، قريرة العين .. ورحنا نتحدث .. بينما اخذ جواده يصهل فى صبر نافذ وقد اضجره الانتظار .. وفجأة ، فتحت نافذة فوق راسينا ، وانبعث صوت « اتين » صائحا : « من هناك ؟ »

واجاب نابليونى : « أنا .. الجنرال بونابارت »
 - ولكنك فى السجن .. وعلى كل حال فماذا تفعل فى حديقتنا فى
 منتصف الليل ، وفى مثل هذا الوقت يا جنرال ؟
 وقفزت فالتصقت بنابليونى وصحت : « انه يتحدث الى يا اتين ..
 أنا اوجينى »
 لكن اتين صاح به : « ارجو ان تعلى لى تصرفك يا جنرال »
 فهتف نابليونى : « الى الشرف ان اسالك يد اختك الصغرى يا مسيو
 كلارى ! »
 وضمنى اليه وانا ارتجف .. بينما قال اتين بخشونة : « ادخلى
 يا اوجينى فى الحال ! »
 فقبلنى نابليونى ومضى ، ناسيا معطفه على كتفى ..

- ٤ -

(بعد اثنى عشر شهرا .. وفى شهر « فريكتيدور »
 من العام الثالث من تقويم الثورة)

◆ لم اكتب شيئا فى مذكراتى هذه منذ عام .. وماذا اكتب وانا خطيبة
 مهجورة ؟ .. فقد لقي نابليونى من عنت وزارة الحربية الشئ الكثير ، فارسل
 الى الحدود الايطالية ليتفقد الحاميات .. ولكن قادتها ابوا ان يستقبلوه ،
 ثم اصيب بالملاريا وعاد معلولا ، بالى الثياب ، ليتلقاه وزير الحربية فى عاصفة
 من الغضب انتهت بطرده .. فصل من الجيش بدون معاش ! .. وهو الان
 فى باريس .. ولسنا ندرى كيف يعيش ! .. بيد انه يعمل من آن لآخر فى
 رسم الخرائط الحربية للوزارة لقاء اجر زهيد ، وقد اوشك ان يتلف بصره
 فى هذا العمل .. وكانت حلته الرسمية قد غدت مهلهلة ، فكتب يلتمس من
 الحكومة حلة اخرى ، ولكنهم قالوا له : « ان الدولة لا تكسو الضباط غير
 العاملين ! »

.. وفى غمرة اساه ، ذهب يسعى الى اصحاب (النفوذ) .. الى دار «مدام
 تاليان» الجميلة .. فلقد اصبحت تحت حكم حكومة ادارية تتألف من خمسة
 مديرين ، طغى من بينهم نفوذ المدير «بارا» ، وكان بحكم مولده يحمل لقب
 «كونت» ولكنه انقلب فى الوقت المناسب الى ثورى متطرف من اشد اليعاقبة
 تهوسا ، واستطاع بمعونة «تاليان» ونائب يدعى «فوشيه» ان يقضى على
 «روبسبير» ! .. ولما كان «بارا» أعزب ، فقد سأل «مدام تاليان» ان تقوم
 بالمهام الاجتماعية التى كان ينبغى ان تقوم بها زوجته ، فاصبحت دارها
 تزدهم بعد ظهر كل يوم بتجار الحرب الجشعين وبالسيدات الانبيقات ..

ولكن اجملهن بلا نزاع كانت «مدام تاليان» نفسها و«جوزيفين دو بوهارنيه» عشيقه «بارا» وارملة الجنرال بوهارنيه الذى فقد رأسه تحت «الجيلوتين» ، فاصبحت ارملة تحيط عنقها بشريط احمر رفيع دلالة على انها قريبة احد ضحايا المقصلة !

وعرض «نابوليونى» عصر احد الايام امره على السيدتين ، فاستنكرتا تصرف وزير الحربية ، ووعدتاه بان تساعدها .. بيد انهما نصحتاه بان يغير اسمه ، فكتب الى «جوزيف» يخطره بانه سيتخذ الاجراءات لذلك وينصحه بان يحدو حدوه ، قائلا : «ومن الان ساسمى «بونابرت» بدلا من «بونابارتى» .. و«نابليون» بدلا من «نابوليونى» .. فنحن مواطنون فرنسيون ، وانا احب لاسمى ان يكون فرنسيا حين يسجل فى كتاب التاريخ!» انه لا يزال يؤمل فى ان يصنع التاريخ .. حتى بعد ان رهن ساعة ابيه .. واصبح سرواله ممزقا !!

صالون مدام تاليان !

لم اتلق من نابليون خطابات تذكر خلال الشهور الاخيرة ، وان كان يكتب لجوزيف الصفحات الطوال عن السيدات الانيكات اللاتى يلتقى بهن فى «صالون» مدام تاليان ..

ولقد حدث منذ اسبوع ان رحلت جولى مع زوجها جوزيف فى رحلة تتعلق بعمله ، فبكت امى طويلا ، اذ انها المرة الاولى التى تفارق فيها احدا من ابنائها ، مما حدا بانين الى ان يصحبها وزوجته الى احد مراكز المياه المعدنية .. وبقيت انا والطاهية «مارى» وحيدتين فى الدار ..

وفيما انا جالسة فى «السلامك» عصر اليوم ارقب الزهور التى اذبلها الخريف ، قر عزمى على ان ارحل الى باريس ! .. قلت لمارى : « اننى ادرك ما ستزله الاسرة على راسى من نقمة ، سيما وانا بعد لم ابلغ السادسة عشرة - اذ لا يزال يفصلنى عنها شهران - ولكن ، اذا لم اذهب الى باريس الان ، فستفوت الفرصة .. ولن يقدر لزواجى ان يتم !»

واعددت فى تلك الليلة عدتى .. وفى حقيبة متواضعة، اودعت الثوب الحريرى الازرق الذى ارتديته فى عرس جولى ، لالبسه حين اسعى الى دار مدام تاليان كى اسأل عن «الجنرال بونابرت» .. واخذت اتصورنى امامه وانا اقول له: «انما جئت يا نابليون لاننى اعرف انك لا تملك نفقات الحضور الى ١٠٠»

الوقت ليل ، وانا اجلس امام النار فى مطبخ مدام «كلابان» - شقيقة «مارى» الطاهية - ريشما تجف ثيابى التى اغرقها المطر وانا فى طريقى الى دار «مدام تاليان»

لكم بدا الثوب الذى كنت اتيه به مزريا الى جانب الثياب التى رايتها فى شوارع باريس ! .. ولم يعترض احد طريقى وانا اتقدم الى باب دار «مدام تاليان» .. ثم استقبلنى خادم انيق قائلا : «ان تعليمات مدام تاليان ايتها المواطنة تقضى بعدم السماح للمواطنات بالدخول الا اذا كن فى رفقة رجال» وكان المطر قد بدا يتساقط .. وابتل ثوبى .. وفى تلك الاثناء وقفت امام الباب عربة فاندفعت اليها ، وتعلقت بالضابط الذى هبط منها .. وكان طويلا الى درجة عجيبة .. وقلت له :

— معذرة ايها المواطن .. اتسمح لى بان انتمى اليك ؟ .. يجب ان الج الى دار «مدام تاليان» .. يجب !

واطل على الضابط من اعلى قامته الفارعة ، ثم تأبط ذراعى .. وعرفنى الخادم اذ دخلت ، فنظر الى فى استنكار .. وحانت منى نظرة الى مرآة طويلة ، فاذا شعري مبتل ، وانفى يلعب .. وبادرت انثر بعض المساحيق على وجهى ، ثم تحولت الى الضابط الطويل فاذا هو فى بزة انيقة ، وعلى كتفيه شريطان ذهبيان مجدولان .. ولاحظت الفم الضيق الذى كان يختفى تحت أنفه الضخم ويختلج فى شيء من الاستنكار .. ورافقنى الى باب ابيض افضى بنا الى قاعة واسعة تلقانا عندها خادم اخر . فالتفت رفيقى يسألنى فى عجلة عن اسمى .. واكتفيت بان همست «ديزيريه» .. فسألنى عما بعده ، ولكنى قلت : « فقط .. من فضلك »

ونغمم للخادم بالاسم ، فرفع هذا عقيرته قائلا : «المواطنة ديزيريه .. والجنرال جان باتيست برنادوت »

واذهلنى ما كنت ارى فى الصالون ، فلم افطن الى رفيقى العملاق وهو يتعد عنى .. ووجدتنى كالتائهة فى «الصالون» الواسع .. الحافل ! .. ورحت اتأمل القوم فلم ار بينهم لنابليون اثرا .. واقبل الخدم يحملون الشراب والحلوى وبعض المأكولات .. ووجدتنى مرتبكة ، فتواريت خلف اطار احدى النوافذ .. وفجأة ، ارتفع صوت مدام تاليان : «هيا جميعا الى القاعة الخضراء ، فهناك انباء تسر اصدقاءنا»

القاعة !

وسعيت وراء الجمع .. وادبرت كؤوس الشمبانيا ، فتناولت احداها .. وصاحت مدام تاليان تدعو القوم الى ان يلتفوا حول اريكة .. وعلى الاريكة رايته .. والى جواره سيدة ذات رأس صغير ، وعينين طلي جفناهما بلون فضي ، وحول عنقها شريط رفيع من المخمل الاحمر ساعد على ابراز بياض نحرها .. وهتفت مدام تاليان :

«ايها المواطنين والمواطنات .. لي
عظيم الشرف ان اعلن بين اصدقائنا
ان حبيبتنا جوزيفين قد خطبت الى
المواطن الجنرال نابليون بونابرت»
وانطلقت منى صرخة طفت على
الضجيج ورنّت في ارجاء القاعة : «لا» !
.. واجفلت مدام تاليان مذعورة ..
وتطلعت ذات الثوب الابيض الجالسة
على الاريكة .. وتشبّثت نظراتي بنابليون ،
فبدت عيناه خاليتين من اى تعبير
.. وكان ثمة عصب يختلج في اعلى
صدغه .. ووقفنا متواجهين لحظات ،
خلتها دهرا .. هو وانا .. ثم نظرت
الى المرأة ففشييتنى موجة من البفضاء ،



واذا بي ارميها بما كان في كاسى من خمر .. فتصرخ مذعورة !

ولم اع وانا اجرى في الطرقات المظلمة تحت المطر .. وحملتني قدماى
الى جسر على «السين» .. وانحنيت فرأيت الاضواء تتراقص على صفحته
.. وفي اللحظة التى هممت بأن اقفز فيها الى احضانه ، امسكت بكتفى
قبضتان حديديتان ، فصرخت : «دعنى ! .. اتركنى » .. وانفجرت باكية
والقبضتان تجراننى وتدفعان بى رغم مقاومتى الى داخل عربة ..

وسمعت صوت صاحب القبضتين يقول للحوذى : « انطلق دون توقف ..
اينما شئت ! »

وأحسست بيده دافئة ، كبيرة ، وهى تحتوى يدى .. وعدت اكرر :
« دعنى أهبط .. اتركنى ! » .. فقال : « لقد طلبت بنفسك أن أرافقك ..
الا تذكرين يا آنسة ديزيريه ؟ .. لن أفارقك حتى اسلمك الى دارك ! »
وكان صوته ناعما رقيقا .. كان الجنرال برنادوت بعينه !

وصححت : « دعنى .. اننى أبغض الجنرالات .. فليست لهم قلوب »
فضحك وهو يطرح معطفه على كتفى قائلا : « شتان بين جنرالات ..
وجنرالات ! .. والآن ، ابكى ما شاء لك البكاء »

وبكيت كما لم ابك من قبل .. وكنت اتشبّث بسترته الخشنة وانا
اقول بين الشهقات : « صدقته كما لم اصدق مخلوقا سواه .. وكان المقدر
ان نتزوج بعد اسابيع ! »

- ما كان ليتزوج منك يا صغيرتى ، فقد كان مخطوبا منذ أمد لابنة تاجر حرير واسع الثراء فى مرسيليا
واجفلت ، فاستطرد : « ألم تكونى على علم بهذا أيضا ؟ .. لقد أخبرتنى به كاليان الليلة .. كان بونابرت خطيبا لأخت زوجة أخيه .. ولكن أقبح ((كونتيسة)) ممن ذهب مجدهن ، وخبا جمالهن ، خسر ألف مرة اليوم لبونابرت من أغنى فتيات مرسيليا ، طالما كانت لها علاقات بذوى النفوذ فى باريس .. ومن ثم ما كان من المعقول أن يتزوج منك وليست لك علاقات ولا ثروة ! »

- ومن أدراك ؟

- منظر ك .. وجهك بتصرفات السيدات الراقيات والحياة الاجتماعية .. انك ساذجة ، بسيطة .. « خام » .. ولكم أود أن أتزوج منك ! فرحت أدق على الزجاج الذى يفصل بيننا وبين الحوضى صائحة : « قف ! .. دعنى ! .. لا تسخر منى ! »

لكنه صاح يأمر الحوضى ليواصل السير ، ثم عاد يقول : « لعلنى لم أحسن التعبير ، فاغفرى لى .. اننى صادق الرغبة فى الزواج منك يا آنسة ديزيريه .. ما كنت لأصبح جنرالا لولا الثورة ، فقد كان أبى كاتباً لدى أحد المحامين ، وكان أفراد أسرتى من أصحاب الحرف ، فنحن قوم رقيقو الحال يا آنسة .. وقد شققت سبيلى الى الرقى بعد أن التحقت بالجيش وأنا فى الخامسة عشرة من عمرى ، وتضيت زمنا طويلا وأنا مجرد « نفر » .. أما اليوم فأنا قائد فرقة .. وعمرى واحد وثلاثون عاما .. فهل تريننى أكبر كثيرا ؟ »

وتلت : « اننى متعبة .. » فأملى على الحوضى العنوان الذى ذكرته له ، وتحول قائلا : « هل تفكرين فيما أعرض ؟ .. لا بد لى من أن أعود الى اقليم الراين بعد عشرة أيام ، فهل تنبئيننى ببردك قبل سفرى ؟ .. اننى ادعى جان باتيست برنادوت ، وقد ادخرت من مرتبى ما يكفى لابتىاع بيت لنا »

فنفذ صبرى واجبته : « اسمع .. انك لا تعرفنى قط ! »

- بل اعرفك .. اعرفك أكثر مما اعرفك أهلك .. ليس لدى من الوقت ما يتسع كى أفكر فى نفسى ، اذ لا بد لى من أن أقرر سريعا .. وقد انتهيت الى قرار حين رأيتك !

وكنا قد بلغنا بيت شقيقة « مارى » ، فتريث حتى ولجت وقال :

- متى ترانى أعود لا تلقى جوابك .. ؟

فهزئت راسى قائلة : « هذا لا يمكن يا جنرال .. صدقنى .. لا لأننى صغيرة ، ولكن لأننى .. قصيرة جدا بالنسبة لك ! »



وأسلمنى برد تلك الليلة الى حمى قاسية ، جزعت لها مارى فاستدعت الطبيب ليعودنى ، وأرسلت لأمى التى عادت لفورها - ولم يعرف أحد أننى ذهبت الى باريس وعدت منها فى نفس الليلة ؟
وبعد أيام عين الجنرال نابليون بونابرت حاكما عسكريا لباريس ، اذ تسنى له اخماد الاضطرابات التى قام بها الجائعون ، بعد ان اجتاحت جموعهم «التويلرى» وكادوا يفتكون بالنواب !



باريس فى نهاية شهر جرمينال من السنة الخامسة للثورة (الذى يكتبه العالم « ابريل سنة ١٧٩٨ »)

◆ الدنيا بأسرها تتحدث عن نابليون بونابرت ! .. فقد تزوج من جوزيفين ، ثم رحل فى الحملة الى ايطاليا - بعد يومين من زفافه - كقائد أعلى لها ، وفاز فى ست معارك خلال اربعة عشر يوما !

أجل ، ست معارك ، جلا بعدها النمسيون عن شمال ايطاليا ! .. ما أكثر ما أذكر احاديث نابليون الى جوار سياج حديقتنا : لقد انشأ دولتين ، أطلق على اولاهما (لومباردى) والاخرى جمهورية (سيسالبين) . واختار (ميلان) عاصمة للاولى ، واقام فيها حكومة ، ونقش كلمات : « الحرية والمساواة والاخاء » على جميع المباني العامة .. واضطر اهل ميلان الى ان ينزلوا لفرنسا عن اموال وعربات وتحف ثمينة !

ومع كل هذه السواغل فانه كن يجد وقتا ليفكر فى أسرته .. وكان قد استدعى جوزيف الى باريس - عندما كان حاكمها العسكرى - وقدمه الى « بارا » وكبار الساسة والمقاولين الذين يتولون مهام الجيش والطبقة الجديدة من الاغنياء ، فابتدأ جوزيف يثرى ، وسرعان ما ابتاع له ولزوجته جولى دارا فى شارع « روشيه » ، لا تفتأ اختى تدعونى للاقامة فيها الى جوارها .. وما لبثت أمى ان سمحت لى بذلك !

وقد رأيت اليوم « نابليون » مرة أخرى .. كان قد دعانا الى حفلة وداع قبيل رحيله مع جيوشه الى مصر التى اعتزم أن يتخذها قاعدة يربط منها الشرق بالغرب ويجعل من جمهوريتنا امبراطورية تسود العالم !

وحضرت الحفلة فى ثوب جديد ، وقد أخذت ازهى زينتى .. لكننى مهما فعلت فلن اضارع « جوزيفين » ! .. وبقدر ما كنت أرهب هذا اللقاء ، بقدر ما سرى عنى حين تقدم منى نابليون فأمسك بىدى وهتف : « اوجينى ! .. كم أسعدنى حضورك .. لقد أصبحت جميلة جدا .. كبرت .. ونضجت ! » فسحبت يدى فائلة : « لقد بلغت التاسعة عشرة .. »

لقد مضى وقت طويل مد تقابلنا اخر مرة .. أين كان ذلك ؟
وتطلع الى ، ثم ضحك ، وقد أومضت عيناه ، ثم صاح :
- جوزيفين .. هذه هي أوجيني أخت جولي .. ما أكثر ما حدثتكَ
عنها !
وأقبلت بقامتها الهيفاء ، وقالت : « ولكن جولي انبأتنى انها تفضل ان
تدعى « ديزيريه » .. كرم منك ان حضرت »
وغمرت بعينها .. اذن فقد تذكرت !

رب صدفة !..

◆ بدأ أسعد يوم من أيام حياتى بكلمات تسقطت سمعها من جوزيف
وجولي وهما يتهاامسان وقد نشرأ أمامهما خطابا : « لقد قبل دعوتى برغم انه
لم يعد الى باريس الا منذ أيام .. ان توطد العلاقات مع وزير الحربية المنتظر
يحقق رغبات نابليون »
وأقبلت جولي الى غرفتى وأنا اتأهب للمأدبة العشاء التى اقامها جوزيف ،
فأخذت تصلح من زينتى .. لكنى لم أشعر برغبة فى الهبوط ، سيما حين
تعالت الى سمعى أصوات المدعويين .. وبدأت أكره الرجل الذى أقيمت
المأدبة لتكريمه !

وعندما ولجت قاعة الجلوس ، تمنيت لو اننى ادعيت المرض ولم أهبط
.. كان ظهر الضيف نحو الباب ، ومع ذلك عرفته ! وكان يحيط به جوزيف
وجولي وجوزيفين ولوسيان - الشقيق الآخر لنابليون - وزوجته كريستين ..
واستدار العملاق ، ثم حملق فى مدهوشا ، فكاد قلبى يكف عن الوجدان !
وتقدم جوزيف فأمسك بذراعى وقدمنى الى الجنرال « برنادوت » .. ولم
أستطع ان أصدق فى وجهه وهو ينحنى ليقبل يدي .. وحاول جوزيف ان
يعود به الى الحديث الذى كان بينهما ، لكنه قال : « اننى .. لقد نسيت
ما كنت أتحدث فيه ! »

◆ تزوجت الجنرال جان بابتيست برنادوت فى الساعة السابعة من
مساء الثالث عشر من شهر « ترميدور » من العام السادس للثورة .. وكان
برنادوت قد حصل على عطلة لمدة شهرين يقضيها معى فى منزلنا الصغير
بشارع « دولالين » بضاحية «سو» الباريسية .. ولكنه ، عندما حطم نيلسون
أسطولنا فى ميه « أبو قير » ، اضطر لان يذهب الى قصر « لوكسمبورج »
كل صباح من أيام شهر العسل ، ولا يعود قبل العصر ..

وكانت هزيمة « أبو قير » حافزة لاعداء جمهوريتنا ، فاذا النمسيون يزحفون ، وروسيا تبادر الى التسليح ، والولايات الايطالية التي أنشأها نابليون ترحب بجيوش النمسا !
وبالامس ، عاد برنادوت لينبئني بأنه راحل في صباح الغد .. وقضينا عصر اليوم معا في الحديقة .. وكنت اصغى اليه والمساء يزحف .. وهو يقول :

- تصورى ياديزيرييه .. اننى مكلف بأن أطرد العدو بجيش واه ، قليل العدة .. تصورى !
فقلت له وقد جاش فى قلبى حب عارم نحوه ، دفع الدموع الى عيتى :
« ليس ثمة ما تعجز عن عمله ! »

- ٦ -

سسو ، (على مقربة من باريس) ، فى

١٧ ميسدور ، من السنة السابعة للثورة

◆ انجبت ابنا منذ ثمانى ساعات .. لشد ما أنا ضعيفة ، وقد أخذت الدنيا تغيى أمام عيني وانا أحاول الكتابة .. ومن غرفة الجلوس ، ينبعث صوت حبيبى الغالى برنادوت .. وزير حربية فرنسا !
فلقد عاد منذ شهرين على غير توقع .. ولم يكن لباريس من حديث سوى وجود أزمة داخلية واضطرابات ، نظم بعضها أنصار الملكية وأعوان الارستقراطيين المهاجرين .. ونظم البعض الاخر اليعاقبة اليساريون المتطرفون .. وبدا أن « بارا » طمع فى أن يستغل هذه الاضطرابات ليتخلص من ثلاثة من أعضاء مجلس المديرين ، فلا يبقى معه فى الحكم سوى « سيبه » اليعقوبى العجوز .. ولكنه خشى خطر وتويع انقلاب ، فدعا برنادوت ليكون مستشارا عسكريا له ، غير أن هذا أبى ، مصرا على ضرورة احترام « بارا » للدستور ، وعرض الامر على نواب الجمعية الوطنية ..

وظن جوزيف ان زوجى معتوه .. وقال له : « فى وسعك أن تصبح فى الغد ديكتاتورا على فرنسا بمعونة جنودك ! »

فأجابه برنادوت بهدوء : « هو ذلك .. وهذا ما يجب تفاديه .. أنسيت يا ميسو بونابرت اننى جمهورى متعصب ؟ »

.. لكن « بارا » أفلح برغم ذلك فى الانفراد مع « سيبه » بالحكم .. وفى ساعة مبكرة من صباح ١٥ ميسيدور ، وصل رسول من قصر لوكسمبورج يدعو زوجى لمقابلة رئيس الحكومة فورا .. وجلست طيلة النهار انتظره .. وفجأة ، احسست بالم بالغ كأنه السكين فى احشائي .. وكانت

كل ساعة من الساعات بعد ذلك كأنها جيل كامل .. وانقضى الليل .. وتبعه النهار التالي .. ثم الليل .. وكان الالم يمزق أحشائي ، فرحت أصرخ بأعلى صوتي .. ثم انقطع الالم .. ورحت في بحران .. وعندما افقت لم استطع ان افتح عيني .. وسمعت جولى تهتف :

— انه ولد يا برنادوت .. ولد جميل !

وعندما استطعت ان افتح عيني أخيرا ، ركع زوجي الى جوار فراشي ، وألصق خده بإراحتي .. واذا ذاك قال الطبيب :

— الآن أرجو ان تخلوا جميعا الحجرة ، فان حرم وزير الحربية في حاجة الى الراحة ..

وقلت في دهشة : « هل .. هل يعني يا برنادوت ؟ »

فأجاب : « لقد صرت وزيرا للحربية منذ أول أمس .. »

نابليون يفكر في العودة من مصر

◆ لم يعد برنادوت ينعم بالراحة .. حتى عندما يكون في البيت ، فان الزوار لا ينقطعون عن المجيء .. وقد روى لي بالامس كيف يحاول كل حزب جاهدا أن يستميله الى صفه .. فقلت له :

— ان الجميع يقولون انك الحاكم الفعلي لفرنسا اليوم .. وانك لو شئت لاستطعت أن تمسك بأزمة الحكم .. ؟

— الواقع ان اليعاقبة اقترحوا هذا .. وشاركهم بعض قادة جيشنا .. ولو شئت لكنت لي سلطات تفوق ما للمديرين اللذين يتبوءان الحكم اليوم .. ولكنني أو من بمبادئ تخالف مبادئهم ..

وأعلن الخادم اذ ذاك مقدم جوزيف بوناپرت ، فبدأ على برنادوت الامتناع .. وتعهد أن يستقبله في مخدعي .. وسمعت جوزيف يقول :

— لقد جئت من أجل نابليون .. ما رأيك لو انه قرر العودة ؟

— رأيي أنه لا يمكن العودة ما لم يستدعه من مصر وزير الحربية !

— دعنا من المواراة يا عدلي .. ان قائدا أعلى مثل نابليون لن يجد مجالا في مصر ، لا سيما بعد تحطم أسطولنا .. ونابليون ليس عسكريا فحسب ، بل هو — كما تعلم — يهتم بالشئون الادارية ، ويستطيع ان ينفعك كل النفع في إعادة تنظيم الجيش .. ثم ..

وأمسك جوزيف لحظة ، ثم استأنف قائلا : « لعلك تعترف بأن ثمة مؤامرات ضد الحكومة .. فالجمهورية في حاجة الى الاقوياء من رجالها ، اذ ان فرنسا لا تحتل الفتن الحزبية في اوقات كهذه .. ولقد تحدثت الى «تاليران» فعرفت انه لا يعتقد ان «(سييه)» يمانع في تغيير الدستور .. »

- اننى اعرف وجهة نظر تاليران ، وأهداف الشيع اليعقوبية المتباينة .. وأعرف ان الملكيين يترقبون فرصة قيام فرد واحد بالحكم الديكتاتورى .. أما فيما يتعلق بى ، فقد أقسمت يمين الولاء للجمهورية وسأحرص على الدستور فى جميع الظروف ..

- أتدرك ان الركود فى مصر قد يدفع رجلا فى طموح نابليون الى عمل جريء .. هب انه قرر العودة ؟

- سأجدنى مضطرا - كوزير للحربية - الى تقديمه الى محكمة عسكرية .. وأعتقد انها لن تقضى بغير الاعدام رميا بالرصاص ، فمن واجب القائد الاعلى أن يبقى مع جنوده !

ومن وراء آفاق السنين الماضية ، تردد فى ذهنى كلام نابليون : « اننى أعرف مصيرى .. أنا حظ نفسى ! »

انه لن يتردد فى العودة ، وفى عمل أى شىء لتحقيق أطماعه !

القنصل الاول !

◆ ولقد عاد .. ونجح فى الانقلاب الذى دبّره ، وأصبح منذ ساعات رئيس الدولة .. ولقد ذكر لى برنادوت ان من المحتمل ان يأتى البوليس لتفتيش دارنا ومراقبتنا ..

والواقع انه لو كان برنادوت فى وزارة الحربية عندما عاد نابليون ، ما حصل هذا الانقلاب .. ولكنه اختلف مرة أخرى مع « سيبه » قبيل ذلك، فاستقال .. ويبدو أن « سيبه » كان يناصر نابليون ، فدبر هذا الخلاف ليقضى زوجى الذى كان يعرف موقفه من عودة نابليون !

وفجأة وقفت عربية أمام باب البيت .. وقفزت من مكانى .. وجمد برنادوت فى وسط الغرفة .. ودوت طرقات .. ثم سمعنا صوت رجل ، وضحكة امرأة ، واذ ذاك سرى عنا .. اذ كانت القادمة جولى يصحبها جوزيف .. وبدا انهما اسرفا فى الشراب ، وانهما عائدان لتوهما من «التويليرى» حيث اقام جوزيف احتفالا باحتلال القصر الملكى .. وقالت جولى : « لقد افرطنا فى الشراب ، فان اليوم من أعظم الايام .. سيحكم نابليون فرنسا ، وسيكون جوزيف وزيرا للخارجية .. وسيؤلف مجلس من ثلاثة قناصل ، يستعين بمجلس آخر من اهل الراى والخبرة ، وقد ترشح انت لعضويته يا برنادوت .. »

وفى الصباح دعى برنادوت فعلا الى « التويليرى » حيث انبأه القنصل الاول «نابليون» بأنه أصبح مسئولاً عن الجمهورية ، وقد اختاره ليمثل وزير الحربية فى مجلس الدولة .

ونفضت أعلن انتهاء الزيارة ، ولكنه استمهلنى ليحملنى رسالة الى زوجى :
فان الدولة فى حاجة الى جهود كل مواطن »
وفى الصباح التالى ، أفرج نابليون عن المعتقلين .. ولما كان قد شرع
يعد حملة ضد ايطاليا ، فقد عهد الى برنادوت بالقيادة العليا فى الجبهة الغربية ،
فشرع يحصن ساحل المانش .. وأصبح يقضى معظم أيامه فى مركز قيادته .



(باريس فى ٢٠ مايو سنة ١٨٠٤)

◆ اقبل الخادم يعلن مقدم «صاحبة السمو الامبراطورى الاميرة جوزيف»
.. وفى اثره جاءت جولى فى مهابة تحيىنى قائلة : «ارجو ان تكونى بخير
يا (مدام لامارشال) » - فقد اصبح زوجى «ماريشال فرنسا» !
واقترحت ان نخرج الى الحديقة .. وانباتنى بانها وزوجها سينتقلان
للاقامة فى قصر «لوكسمبورج» .. وبدأت لى شقية بوضعها ، رغم ان زوجها
فدا ولى عرش فرنسا الامبراطورى !

وكان القادة الكبار قد اعتقلوا من جديد بتهمة التآمر مع الملكيين .
وعدنا نتوقع ان يدهم البوليس دارنا ، ولكن برنادوت دعى مرة اخرى الى
«التويلرى» حيث قال له نابليون :

- «نحن» اخترناك ماريشالا لفرنسا ..

وهتف زوجى فى دهشة طاغية : « نحن ؟ »

- اجل .. نحن نابليون الاول امبراطور فرنسا !

وبهت زوجى من هذا النبأ المنطوى على اعلان «الامبراطورية» ، مما جعل
نابليون يقهقه ويرقص فى الغرفة !

وكان نابليون حاذقا ، أعد كل شئ وفق هواه .. وفى المأدبة التى
اقامها فى «التويلرى» لكبار قادة الجيش وزوجاتهم ، لم اتمالك - ازاء ما
رايت من بدخ ومظاهر «ملكية» - ان سألت جولى : « والى اين ينتهى
كل هذا .. ؟ »

فهمت : «بل نحن ما زلنا فى البداية .. اننى لم اعد انعم بنوم ..
هيا ان الامبراطور لايرزق بابن من جوزيفين ، فمعنى هذا ان جوزيف وانا
نخلفه .. »

واخذت ترتجف ، ثم طوقتني بذراعيها قائلة : «انك الوحيدة التى
تفهمين .. اننى لا ازال ابنة تاجر الحرير كلارى .. »
- فاذكرى هذا دائما يا جولى كلارى .. ولا تخجلنى من اصلك ..

تتويج الامبراطور

◆ استطعنا ان نصل الى «دوم ديز انفاليد» في آخر لحظة ، ولو اننا تأخرنا قليلا لتمخض الامر عن فضيحة مدوية .. فقد كانت البلاد تحتفل بتتويج نابليون امبراطورا ! .. وكان زوجي في انتظاري في العربة حين انفض القوم .. وامضى وجومه ، فسألته عما يشغله .. فقال بهدوء :
- ان ياقة بزة المارشالية لا تريحني .. فانها عالية ، وشديدة الالتفاف حول عنقي ..

وتلقطنا عند بيتنا شرذمة من الشباب في ثياب مشعثة ، وراحوا يهتفون بحياة «برنادوت» .. وتردد زوجي ، ثم صاح هائفا بحياة الامبراطور .. حتى اذا جلسنا الى العشاء ، قال لي : «قد يهمك ان تسمعي ان الامبراطور أصدر لوزير البوليس تعليمات سرية بان يراقب الحياة الخاصة لقادة جيوشه وخطاباتهم » .. ثم حلق في الفضاء وقال :
- سأسأله ان يعينني في منصب اداري مستقل بعيدا عن باريس .. كأن اكون مديرا لاحد الاقاليم .. مديرا اداريا لا عسكريا .. فقد اعددت اخيرا نظاما اقتصاديا واداريا ، اعتقد انه كفيل بتحقيق الرخاء لاي اقليم .. ان بزة المارشالية ضيقة بالنسبة لي .. ولهذا فان «الجاويش برنادوت» لن يلبث ان يغادر باريس قريبا ..



◆ جاء الربيع ولم يعد بعد برنادوت ، فهو الان حاكم اقليم «انسباخ» ، وقد انصرف الى ادخال النظم الاصلاحية التي سبق ان طبقها في هانوفر .. وتمضى الايام مملة ، وليس بوسعي ان ألحق به لان ابننا اوسكار كان مريضا .. وفي غمرة مرضه ، اقبلت جولي يوما شاحبة الوجه ، يتفصد العرق من جبينها .. جاءت تنبئني بانها وزوجها عينا ملكين على «نابولي» ! .. واخذت تبكي وهي تقول : «أواه يا ديزيريه .. سيكون علينا ان نعيش في احد القصور الهائلة في ايطاليا .. اننى خائفة .. يخيل الى اننى لست أهلا لهذا الدور !»

وتوالت حفلات وداع ملك نابولي وملكتها .. وفي هذا الصباح كنت اجلس في حديقة الدار مع «اوسكار» - الذي تحسنت صحته - ناعم بجو شهر مايو ، حين اقبلت جولي متهللة وبادرتني قائلة : «اردت قبل ان تقرئي في «المونيتير» ان اخبرك بان برنادوت قد عين اميرا لبونت كورفو .. فتهانئى يا أميرة .. وتهانئى للامير ولى عهد بونت كورفو» .. وطفقت تقبل اوسكار ..

ترى اين «بونت كورفو» هذه ؟ .. ومتى يعود زوجي ؟

انجلترا تهدد فرنسا بالغزو !

◆ استيقظت على رنين اجراس الكنائس .. لعل اليوم عيد ميلاد احد الملوك او الامراء الذين صنعهم نابليون من اسرته واقاربه .. او احد انتصاراتنا .. فان جوزيف يحارب الاسبان ليصل الى عرشهم الذي وهبه له اخوه ، دون ان يقوى على التقدم .. والنمسيويون يحشدون قواتهم ولا يكفون عن القتال .. وبرنادوت هناك ، اذ عينه نابليون قائدا لجميع الفرق السكسونية ..

وفجأة ، اقبلت الخادم تعلن مقدم «فوشيه» وزير البوليس .. ولم تكن لفوشيه سابقة تردد على دارنا .. كان رمزا للارهاب ، وكان يبث جواسيسه في كل مكان يتربصون بكل فرد .. حتى بالوزراء ، مما حدا ببعضهم الى ان يسميه «الضمير السيء» للامة !

وبادرني فوشيه حين هبطت لاستقباله : «جئت أهنيء الاميرة اذ انتصرنا في معركة كبيرة .. وقد قرأت ان امير بونت كورفو وقواته كانوا في المقدمة .. وهذه انباء لم تنشرها الصحف ، وانما اعلنها زوجك في النشرة العسكرية التي اصدرها لجنوده السكسونيين .. ومن المصادفة اننى قرأت اليوم ايضا خطابا من جلالة الامبراطور الى امير بونت كورفو ، يعلن استيائه من النشرة العسكرية لانها تتضمن ما يجافى الواقع ، ومن ثم امر الامبراطور بابلاغ الامير بانه لم يقم في هذه الحملة بخدمة ممتازة .. وتلقيت ايضا امرا بان اراقب حركات امير بونت كورفو ورسائله »

.. وقلت اخيرا : «ولكن زوجى متغيب مع جنوده»

— بل هو سيصل في اية لحظة الى باريس ، فقد استقال عقب تلقيه خطاب الامبراطور .. «لاسباب صحية»

ونهضت اعلن انتهاء الزيارة ، ولكنه استمهلنى ليحملنى رسالة الى زوجى : كان الانجليز قد حشدوا قواتهم للهبوط في دنكرك وانتويرب ، والزحف على باريس .. ولما كان نابليون في «فيينا» ، فقد اضطلع «فوشيه» بمهمة الدفاع عن الدولة ، ولذا فهو يدعو المارشال برنادوت ليتولى قيادة الحرس الوطنى والدفاع عن البلاد !

واحسست بقلبي يفوح الى كعبي قدمي .. كانت كل قوات فرنسا مبعثرة الجبهات الخارجية ، وليس في البلاد من جنود .. وانجلترا تتهدد فرنسا بالغزو !

◆ وما كان برنادوت ليحجم عن قبول اى شىء في سبيل الدفاع عن فرنسا ، رغم ما بينه وبين الامبراطور .. واستطاع ان يفعل المعجزات ، فلم يصد

الانجليز فحسب ، بل استولى على اكثر من عتادهم .. وجنودهم ! .. وتوقع كل امرئ ان يكرم الامبراطور زوجي ، ولكنه لم يحفل .. ولا حفل برنادوت ، فهو لم ينقذ فرنسا للامبراطور !

وكانت تواتيني من «جولي» انباء ما يجرى في الخارج .. لقد عادت وجوزيف اخيرا بعد ان اباد الوطنيون الاسبانيون - بمؤازرة الانجليز - القوات التي كان نابليون قد امد بها اخاه ، والتي اصر جوزيف على ان يتولى قيادتها رغم جهله ..

ولكن .. لشد ما يخيل لي ان جوزيف - وكل اهل نابليون واصفيائه - لن يترددوا في أن يهجروه لو ان موقفه ساء .. عدا جوزيفين .. انها الوفية الوحيدة له ، ومع ذلك فقد سمعت انه يفكر في طلاقها ليتزوج من ابنة امبراطور النمسا كي تنجب له ولي عهد .. مسكينة جوزيفين !

« فوشيه » و « تاليران » : أقوى معاوئي نابليون

زارنا بالامس ضيف لم نكن نتوقعه .. الكونت تاليران ، اقوى من في خدمة نابليون بعد فوشيه .. وسأل زوجي في سياق الحديث عما اذا كان يتلقى انباء من الخارج ، فاجابه : «سل فوشيه فهو يقرأ كل بريدي !» - اولم تتلق تحيات من اصدقائك في السويد ؟ .. لقد اطلعني عليها فوشيه ، ولكنني لا ارى التحيات مجرد امور طارئة عارضة ، وانما ..

- لقد خلع السويديون ملكهم جوستاف في مارس الماضي ونصبوا بدلا منه عمه شارل الثالث عشر .. وقد تبني هذا شابا من اقربائه ليخلفه على العرش ، وهو الامير «كريستيان اوجستس فون هولستين سوندربرج اوجستنبرج

- اذكر ان الامبراطور ترك امر غزو السويد لتقديرك حين كنت في الدانيمرك مع قواتك في العام الماضي .. ولكنك قنعت بمجرد المراقبة عبر الحدود ، فهل راق لك ما رايت ؟

وهز زوجي كتفيه وقال : «معظم الليالي كانت مشوبة بالضباب .. لقد سئمت اسئلتك يا صاحب السعادة ، ومللت مراقبة وزير البوليس ، وضجرت من الشك »

- اسمع يا صديقي .. هناك رجاء واحد .. لقد علمت بالامس ان مجلس الدولة السويدي ارسل وفدا الى باريس للمفاوضة في استئناف العلاقات الدبلوماسية .. ولقد سأل عنك ابرز عضوين في هذا الوفد ، وهما مسيو فون اسن وكونت بيرون ، هارجو ان تستقبلهما ..

- ولماذا ؟ .. ليس بوسعى ان اساعدهما الى الامبراطور .. فاجهر بما تبغى يا صاحب السعادة !
- كل ما ارجوه ان تستقبلهما وتتلطف معهما ، فلست احب ان يشعرا بأن الامبراطور في هذه الآونة لا يقدر خدمات قائد من قادته .. فهل أدركت ما ابغى ؟

- ٨ -

(باريس في ١٦ ديسمبر سنة ١٨٠٩)

◆ ما افزع ما حدث !.. لقد جمع الامبراطور بالامس اسرته وحكومته وحاشيته وقادته ، واعلن امامهم تطبيقه لجوزيفين !.. كان المنظر مؤلما .. وكانت جوزيفين تبدو كالفدائية المقدمة على الاستشهاد .. وقد قرا الامبراطور بنفسه وثيقة الطلاق ، واعترف بان امراته كانت بهجة حياته لثلاثة عشر عاما ، وانه لذلك قرر ان تظل محتفظة بلقب «امبراطورة فرنسا»

وبارحت جوزيفين قصر «التويليرى» لتقيم في قصر «ماليزون» الذى وهبها اياه الامبراطور ، كما سدد جميع ديونها ورصد لها ثلاثة ملايين من الفرنكات معاشا سنويا ..

وتمت اجراءات الزواج الجديد سريعا .. ودعينا الى «التويليرى» بالامس لنقدم الى الامبراطورة الجديدة .. وبدت «مارى لوى» صغيرة السن، انيقة ، جميلة ، حتى لا تكاد تستعمل شيئا من مساحيق واصباغ الزينة !.. ولم تكف عن الابتسام .. ولكننى تبينت حين قدمت اليها ان عينيها كانتا خلوا من الابتسام !

واذ كنت اهم وزوجى بالانصراف ، اعترض تاليران طريقنا ليقدّم لنا عددا من السويديين .. ونظر برنادوت الى واحد منهم يدعى «البارون كارل اوتومورنر» - كان قريبا لقائد قد اسره زوجى في معركة «لوبيك» - وقال :
- اظنك من زعماء الحزب الاتحادى فى السويد ، الذى يدعو الى توحيد السويد والنرويج ؟

وقال مورنر : «انما جئت لمهمة محزنة ايها الامير .. لقد قتل صاحب السمو الملكى ولى عهد السويد فى حادث مؤلم ..»
واشتدت قبضة زوجى على ذراعى حتى كدت اصرخ !.. بينما تساءل تاليران بعد صمت واجم : «هل اختير ولى للعهد بخلفه ؟»
ولاحظت ان نظرات «مورنر» لا تكاد تحيد عن زوجى .. وقال اخيرا :
«سيجتمع البرلمان السويدى فى ٢٥ اغسطس ليختار وريثا للعرش»

وجذبت زوجي ، فانحنى قائلا : «ارجو ان تقدموا تعازي لملك السويد وشعبه»

وهنا لم يتمالك «مورنر» نفسه فهتف : «اهذا كل ما لديك ؟»

فظل زوجي صامتا برهة ، ثم التفت الى الكونت «براهه» الذي كان من رجال السفارة السويدية - وهو شاب في التاسعة عشرة - وقال : «ارجو ان تذكر اصدقاءك وزملاءك بانني لم اكن طيلة عمري اميرا لبونت كورفو ، ولا ماريشالا لجيوش فرنسا .. بل انني ادعى في اوساطكم الارستقراطية جنرالا يعقوبيا سابقا .. وقد بدأت الخدمة كجاويزش بسيط .. ارجو ان تذكروا هذا ، فلا تتصلوا بي ثانية !!»

وقبل ان تتحرك عربتنا في ذلك المساء ، اقترب تاليران من زوجي وقال : «لقد اوتى المرء نعمة الكلام ليتستر على افكاره يا عزيزي الامير»

فاجاب برنادوت : «ايلقي بي ان اذكر رجلا مثلك ، كان اسقفا ، بما جاء في التوراة : «لنكن اجاباتك : نعم ، نعم .. او لا ، لا ، وما زاد على ذلك فهو من الشرير !»

- ٩ -

(بازيس في سبتمبر سنة ١٨١٠)

◆ كنا في جوف الليل حين ايقظني زوجي وامرني بأن ارتدى ثيابي .. وكان منهما في ارتداء ثوبه العسكري .. وعلمت انه امر بابننا اوسكار ان يوقظ .. وابي ان يوضح شيئا اكثر من انني يجب ان ارتدى اجمل ثيابي واثمنها .. وان اتعجل ، لكي لا اطيل «انتظارهم» .. وسألته عن هؤلاء المنتظرين فقال :

- تجلدي يا صغيرتي .. هذه اعظم لحظات حياتي !

وتأبط ذراعي ثم سار بي الى القاعة الكبرى بدارنا، وقد انضم اليها اوسكار .. وكان النور ساطعا في القاعة التي رايت فيها عدة افراد في ثياب عسكرية اجنبية ، وصك شاب منهم كعبي حذاءيه ، وقد بدا مغبرا متعبا - مما دل على انه وصل لتوه من رحلة طويلة - ثم تقدم الى زوجي وقدم له وثيقة مختومة وهو يقول :

- تفضل يا صاحب السمو الملكي ..

وحبست انفاسي .. واضطربت دقات قلبي .. وتناول برنادوت الوثيقة، بينما قال الشاب : «يا صاحب السمو الملكي .. اتشرف بوصفي رئيسا لديوان جلالة الملك شارل الثالث عشر - ملك السويد - بان انبئكم بان

البرلمان السويدي قد اختار بالاجماع امير بونت كورفو وريثا للعرش .. ويرغب جلالة الملك شارل الثالث عشر في ان يتبنى امير بونت كورفو وان يستقبله في السويد ابنا عزيزا»

وفي صوت مهيب اجاب زوجي : «اقبل قرار البرلمان السويدي ، واشكر جلالة الملك شارل الثالث عشر والشعب السويدي لما اولوني من ثقة ، واقسم بان ابذل كل قواي في سبيل ان اكون وفيا لهذه الثقة »
وانحنى الجميع تباعا بين يدي زوجي ويدي .. دليل الولاء !

(باريس في منتصف سبتمبر سنة ١٨١٢)

◆ اكاد اجد ، فليس معي من يشاطرنى افكارى ، سوى الامين السويدي الذى يقوم منى مقام السكرتير .. ولقد كان في زيارتي منذ برهة الكونت تاليران ، وامير بنيفان - مستشار وزارة الخارجية الفرنسية - وفوشيه ، دوق اوترانتو ووزير البوليس السابق .. وكان كل من تاليران وفوشيه قد اقبل على حدة ، فسأله ان يلقي الاخر !

وعرفت امينى «كونت روسن» بالضيوف .. ثم اشرت في مجاملة الى الانتصارات التى اذيعت عن الحملة الفرنسية في روسيا .. وقال تاليران : «هل تعتقد ان الظفر سيظل مرافقا الامبراطور يا صاحبة السمو ؟» وتذكرت اننى لم اعد فرنسية ، فان زوجي قد نزل عن التبعية الفرنسية حين غدا ولى عهد للسويد ، فقلت :

- ان الامبراطور لم يهزم حتى اليوم في حرب ..
وتساءل فوشيه بعد فترة صمت ممض : «هل تلقيت يا صاحبة السمو الملكى انباء من صاحب السمو الملكى ولى العهد ؟»
فضحكت قائلة : «انك لم تعد تقرأ رسائلى ..»
- لقد سأل قيصر روسيا ولى عهد السويد ان يلقاه في «آبو» ، وقد غادر ولى العهد بلاده ..

وقال تاليران : «ان مشورة ماريشال فرنسى سابق ، خير باساليب الامبراطور ، هى خير ما يرجو القيصر»

- وبناء على هذه المشورة لم يطلب القيصر صلحا ، بل ترك جيوشنا تتوغل في بلاده .. ولن تلبث ان تصل الى موسكو بعد ايام قلائل .. ولقد وجد الجيش الفرنسى مخازن القمح في القرى التى اجتاحتها محروقة .. وهو في نصره يتضور جوعا ، ولكن الامبراطور يطمع في ان يجد غذاء لجنوده وماوى من الشتاء في موسكو .. اذا دخلها !

وقال تاليران : «ان عدم وجود ماوى في شتاء روسيا كفيل بالقضاء على اقوى الجيوش عدة واكثرها عددا !»

واذ ذاك .. بدأت أفهم الموقف ..
وتوالت انباء المأساة التى حاقت بالجيش الفرنسى فى روسيا .. وهكذا
لن يلبث ان يعود نابليون الى باريس ، اذ ليس امامه سوى احد امرين :
اما ان يسعى للصلح ويتخلى عن فكرة السيادة على اوربا .. او يواصل
الحرب .. اما فرنسا ودماء ابنائها والالام التى تعانيها ، فلا حساب لها
فى خططه !

(باريس فى الاسبوع الاخير من مارس سنة ١٨١٤)

◆ اننى اقضى ايامى فى هواجس وتكهنات .. لست ادرى اين زوجى ..
ولكننى اعرف انه قادم عما قريب .. ان المانيا وفرنسا تفصلان بيننا ،
وتؤلفان ميدانا للقتال مترامى الاطراف .. ومن وقت لآخر ، تصلنا خلسة
احدى الرسائل المقتضبة .. ومنها علمنا ان برنادوت ابى ان يطارد القوات
الفرنسية عبر نهر «الراين» .. ولكنه عمل على ضم النرويج الى السويد
.. ونجح ..

ولكن ، اين هو الان ؟ .. لقد اختفى منذ ثلاثة اسابيع .. فبعد ان
رفض اجتياز «الراين» ، والصدوع لالحاح الحلفاء ، استقل عربية مصطحبا
«الكونت براهه» .. واختفى .. ويعتقد البعض ان نابليون فى يأسه طلب
منه النجدة .. وانه اختلف مع القيصر بشأن الحدود ..

- ١٠ -

(باريس فى أوائل مايو سنة ١٨١٤)

◆ أخيرا ، رحل نابليون الى جزيرة «البا» فى ٢٠ ابريل ، وليس فى وداعه
ماريشال واحد !

وفى صحيفة «جورنال ديه ديبا» وقعت عيناي على نبا غريب ، فحواه انولى
عهد السويد قرر طلاق زوجته «ديزيريه كلارى» شقيقة زوجة شقيق نابليون ،
ليختار زوجة أخرى من اميرات روسيا او بروسيا .. لتدعيم مستقبله !
ولقد اقمنا بعد ظهر اليوم حفلة لتكريم القيصر .. وشد ما اقلقنى
ان احضر القيصر معه «كونت دارتوا» شقيق ملك فرنسا الجديد ، لويس
الثامن عشر ..

ومنذ لحظات ، صعد زوجى الى مخدعى ، فتفرس فى وجهى ثم هتف :
«ارجو ان لا تكونى مريضة يا ديزيريه ؟ .. فلقد جئت اودعك ، لاننى راحل
فى الصباح الباكر»

ودق قلبي في عنف ، بينما استطرد قائلا : «لقد اديت واجبي ..
فدخلت باريس مظفرا ، ووقعت اتفاقيتين مع دانيمرك واعترفت الدول الكبرى
بضم النرويج للسويد »
وفجأة ، وقع بصره على النبأ الذي كان في «جورنال ديه ديپا» ، فقال :
« لا وقت عندي للإشاعات السخيفة والفضائح .. انما جئت لكى اقترح ان
تصحبينى في نزهة بالعربة في باريس ، كما اعتدنا »
وجاهدت كى اتمالك نفسى وقلت : «للمرة الاخيرة ؟» .. فتطلع الى
في حيرة .. ووجدتنى ابرع فارتدى ثيابى .. وتذكرت وانا الى جواره في
العربة ، المرة الاولى التى جلسنا فيها معا في عربة .. يوم انقلدنى من الانتحار ..
ووجدتنى اقول :
- اذا كنت تعتقد انه من الخير لك ولاوسكار ان تطلقنى وتزوج من
اميرة ؟ فطلقنى ولكن على شرط .. ان اغدو خلية لك !
- هذا امر غير مقبول .. لست استطيع ان احتفظ بعشيقة يا ديزيرييه
.. ومن ثم ، فسيتحتم عليك ان تظلى زوجتى .. مهما حدث ..
- ولو .. اصبحت ملكا ؟
- حتى لو اصبحت ملكا .. متى تلحقين بى في ستوكهولم ؟ .. لا تطلى
الفياب !

فرار الامبراطور من « البا » !

♦ ولم ينعم لويس الثامن عشر بالعرش طويلا .. بل اضطر في الليلة
السابقة ان يتسلل من الباب الخلفى للتويليرى .. وفر آل بوربون من البلاد
.. فقد هرب الامبراطور من «البا» منذ ستة عشر يوما .. والاستعدادات
تقوم الان على قدم وساق لاستقباله فى التويليرى .. ومن المتوقع ان يصل
اليه فى الساعة التاسعة من هذا المساء .. فقد سارع قادة الجيش وفرقهم
بالسجود امامه فى كل مرحلة من رحلته .. ولاء ووفاء !
وفى الساعة الثامنة من المساء ، اقبلت عربة - لا تزال تحمل شعار
آل بوربون - لتقل جولى واولادها الى «التويليرى» .. مرة اخرى !
وسمعت الكونت روسن يتمنى لو شهد منظر وصول نابليون الى
التويليرى ، فطلبت اليه ان يرتدى ثيابا مدنية ، ورافقته مستخفية فى ثوب
عادى .. ورحنا نشق طريقنا فى عناء وسط الجحافل العرمة التى فاضت
على الشوارع تسعى الى «التويليرى» وهى تهتف بحياة الامبراطور ..
وعندما وصلت العربة التى أقلته ، افلت العنان وهجم الشعب المتحمس
فرفعه على الاكتاف .. وكان يبتسم .. وعلى ضوء المشاعل رأيت عينيه
تومضان بالجشع .. والظما !



(باريس في ٢٣ يونيه سنة ١٨١٥)

◆ بادر نابليون الى اجراء انتخابات ليثبت للدول الاجنبية مدى كراهية الشعب لآل بوربون .. واستلقت نظري بين اسماء النواب الذين فازوا بعضوية الجمعية الوطنية ، اسما «لافايت» و «كارنو» .. «لافايت» اول من نادى بحقوق الانسان والذي كون كتيبة رحل بها الى امريكا ليحارب في معركة الاستقلال ، وهو بعد في التاسعة عشرة من عمره !

ويقيم زوجي برنادوت في ستوكهولم ، وقد رحل سفيره مع الدبلوماسيين الاجانب ، اذ ابت الدول الاجنبية ان تتبادل علاقات دبلوماسية مع نابليون .. بل انها تحشد قواتها استعدادا .. ومن ثم شرع نابليون بدوره يجند ويحشد .. ولكن القادة القدماء الذين ساروا يوما في ركابه وهو مظفر ، يتهربون اليوم من الوقوف الى جواره !

وقد اصدر منذ ثلاثة ايام نداء يدعو فيه كل فرنسي شجاع الى الدفاع عن بلاده .. واقفرت الملاهي .. واقبل الناس يختزنون الاطعمة .. وعاشت باريس واجفة ترتقب ..

ولم يستطع نابليون ان يصمد .. ووقع الانقلاب .. فانطلقت الجماهير في الشوارع تهتف : «يسقط آل بوناپرت» .. وشرعت الحكومة الجديدة تفاوض الحلفاء ..

(باريس في مساء ٢٩ - ٣٠ يونيو سنة ١٨١٥)

◆ ان سيف «الامبراطور» على منضدتي .. وكنت رسول القدر اليه .. ويقولون اننى اديت واجبا وطنيا ، ولكن قلبي مثقل بالهموم .. فلقد اشترط الحلفاء الذين احدثوا بباريس وشددوا عليها الحصار ، ان تستسلم القوات الفرنسية بلا قيد ولا شرط .. وان يغادر نابليون فرنسا فورا !

وجاءنى اعضاء الحكومة يرجوننى ان اكون الرسول الذى يحمل شروط الحلفاء ، ورغبة الحكومة والشعب ، الى نابليون .. ومن عجب ان فوشيه وتاليران ولافايت كانوا اكثرهم الحافا في الرجاء .. وقال تاليران : - انك يا صاحبة السمو ولىة عهد السويد ، فلك من المكانة ما يؤهلك لان تتحدثى الى الجنرال بوناپرت باسم الحلفاء ..

وتكلم لافايت في صوت مهيب ، عميق ، رفيق : - انك لا تعرفين الحقيقة يا صغيرتى .. لقد جمع الجنرال بوناپرت بضع كتائب من الشباب في «ماليزون» ، ونخشي ان يركب رأسه ، فلا يجنى سوى اراقة دماء عدة مئات من الرجال .. لقد كبست حروب الجنرال

بونابرت اوربا ملايين من الارواح ..
وقبلت المهمة .. وحاولت ان اتظاهر بانها زيارة عادية للميزون ..
وكان في حديقة القصر حين وصلت ، فسعيت اليه وحدي
ووجدته يجلس على مقعد صغير - لا يتسع لكثر من شخصين - كان
حبيبيا مفضلا لدى جوزيفين .. وكان وجهه شاحبا .. وسالني كيف تحمل
سيدة عادية في زيارة ودية ، رسالة الحكومة ، فقلت له :
- لست زائرة عادية .. انما انا .. ولية عهد السويد !.. لقد كلفتني
الحكومة الفرنسية بان انبثكم ان الحلفاء لن يقبلوا استسلام باريس مالم
تبرح فرنسا .. ولا بد لانقاذ باريس من الدمار ، ان ترحل اليوم ..
ولم يثر ، بل اجلسني بجواره في هدوء وقال :
- عندما رايتك مقبلة يا سيدتي ، خلت ان شبابي قد ارتد لي ..
- ان العهد لم يبعد به .. ما زلت اذكر كيف كنا نتسابق .. انما
يبدو انك نسيت تلك الليلة التي مضيت تحدثني فيها عن قدرك وحظك
ومستقبلك .. كانت المرة الوحيدة التي ارتعت فيها منك ..
- والمرة الاولى التي قبلتك فيها !
وسادنا الصمت .. ورحت ادعو الله كي لا تنهار ارادتي ..
وقال اخيرا : «واذا تركتهم ياخذونني اسير حرب .. ماذا تريدونهم
فاعلين ؟ .. اياخذونني الى جزيرة اخرى ؟ .. لعلها سانت هيلانة .. الصخرة
التي في وسط المحيط»
واومضت عيناه ذمرا .. ومال الى الامام يفكر .. ونهضت قائلة : «انني
عائدة الى باريس .. وانت لم تعط ردك بعد ، لا لولية عهد السويد ، ولا
للحكومة الفرنسية»
وقهقه فجأة ، فذعرت .. وصاح وهو يتحسس سيفه :
- هل تريدني استطيع ان اصدهم عن ان ياخذونني اسيرا .. لا ،
خديه يا اوجيني .. خذي سيف ووترلو !.. انني اسلم نفسي للحلفاء
كاسير حرب .. ومن العادة ان يسلم المرء سيفه الى الضابط الذي يأسره
.. اما انا ، فاسلمه لولية عهد السويد .. لاننا بلغنا سياج الحديقة
يا اوجيني ، وقد سبقتني اليه .. اتذكرين ؟ .. امسكي السيف من المقبض
.. انتظر تاليران وفوشيه في دارك كي يسلمنا فرنسا الى آل بوربون ؟ ..
اريهما سيفي ، وقولي لهما انني سلمت للحلفاء ، وانني سارحل الى روشفور،
ثم اترك مصيري بين ايدي الحلفاء !
وصمت نابليون برهة ، ثم اضاف : «لعلك لم تقضى يوما بين الحياة
والموت يا سيدتي ؟»
- في الليلة التي خطبت فيها فيكونتس دو بوهارنيه .. وقد حاولت
ان القى بنفسي في «السين» .. فجذبني برنادوت ..

فهز رأسه وقال : «يا للعجب ! ..
برنادوت انقذك .. وستصبحين ملكة
السويد .. اننى اسلمك سيف ووترلو
.. والان اذهبى يا اوجينى .. انصرفى
سريعا .. قبل ان اندم !



وسرى النبا فى باريس مسرى النار
فى الهشيم .. واقبلت الجموع كال موج
الداق على دارى .. كان الكل يعيشون
واجفين .. ويخشون ان تراق دماء
جديدة ..

واصر الشعب على ان يعتبرنى منقذة
فرنسا ، وان يحيينى .. ودفعنى
«لافاييت» الى الشرفة ، فتصاعد
الهتاف : «تحيا ربة السلام ! .. تحيا ربة
السلام ! .. واحضر كونت روسن لى مقعدا لاقف عليه ، فقد كنت قصيرة
لا اكاد ابدو للشعب .. وانهمرت الدموع من عينى !



◆ اخيرا ، حانت اللحظة .. وكنت اعزف على «البيانو» ، والجو معتم
ممطر ، حين وفد السفير السويدي .. واعتدل فى وقفته امامى وابتدرنى
قائلا :

« يا صاحبة الجلالة .. اننى احمل انباء سيئة ، فقد توفى الملك شارل
فى الخامس من فبراير »

ودفع لى برسالة مختومة ، فتناولتها بيد مرتجفة .. وفضضتها ..
ثم تركتها تقع على ركبتى ، وتطلعت الى السفير الذى كان يراقبنى .. وحاولت
ان اكبح الفرح مراعاة للحداد ، وقلت « لقد كتب لى زوجى يذكر لى اننى
اصبحت ملكة السويد »

فابتسم قائلا : « فى السادس من فبراير ، نصب جلالتك ملكا للسويد
والنرويج تحت اسم الملك شارل الرابع عشر .. واصلت زوجته ملكة باسم
الملكة ديزيدريا »





من العجيب أن تكون هذه الصحيفة آخر صفحات دفتر
المذكرات الذي أهدانيه أبى وأنا فى الرابعة عشرة ، والذي
نصحتنى بأن أكتب فيه : « سيرة المواطنة الفرنسية برناردين
أوجينى ديزيريه كلارى »

لقد كتبت القصة بحذافيرها يا أبت ، دون ما زيادة .. وقد
انتهت حياة المواطنة ..
.. لتبدأ حياة الملكة !

الدراجة
البخارية

كس

صنع
المانيا

موديل
١٩٥٤
دى يوكس

الأكمية
معدودة

تباع بتسريرات فى الرفع

• الدفعة الأولى ١٠ جنيه فقط

• والباقي يقسط على ١٥ شهرا

على اعنى الشراء الباردة بالهجز

الوكلاء الوحيدين لشركة مصر للهندسة والصناعة ٧٦ شارع ابراهيم باشا - القاهرة

للقطر المصري ص.ب. ٧٥٨ - ت. ٥٣٣٥٦

عزيزى القارىء

فى الاعداد السابقة قدمت لك فى هذا
الباب على التوالى قصص حياة :
« ديفاليرا » .. و « غاريبالدى » ..
و « لويس باستير » .. و « اميل زولا »
.. و « ماركونى » .. و « تشايكوفسكى »
.. « فمطفى كمال » .. ثم « شوبان »
.. و « جى دى موباسان » و « مختار »
و « تشارلس ديكنز » و « بيتهوفن »
و « موسولينى » و « اخيرا » « شيللى » ثم
« بلزاك » وهم من اولئك العظماء فى
السياسة، والطب، والادب، والاختراع
والموسيقى .. والفنون .. الخ

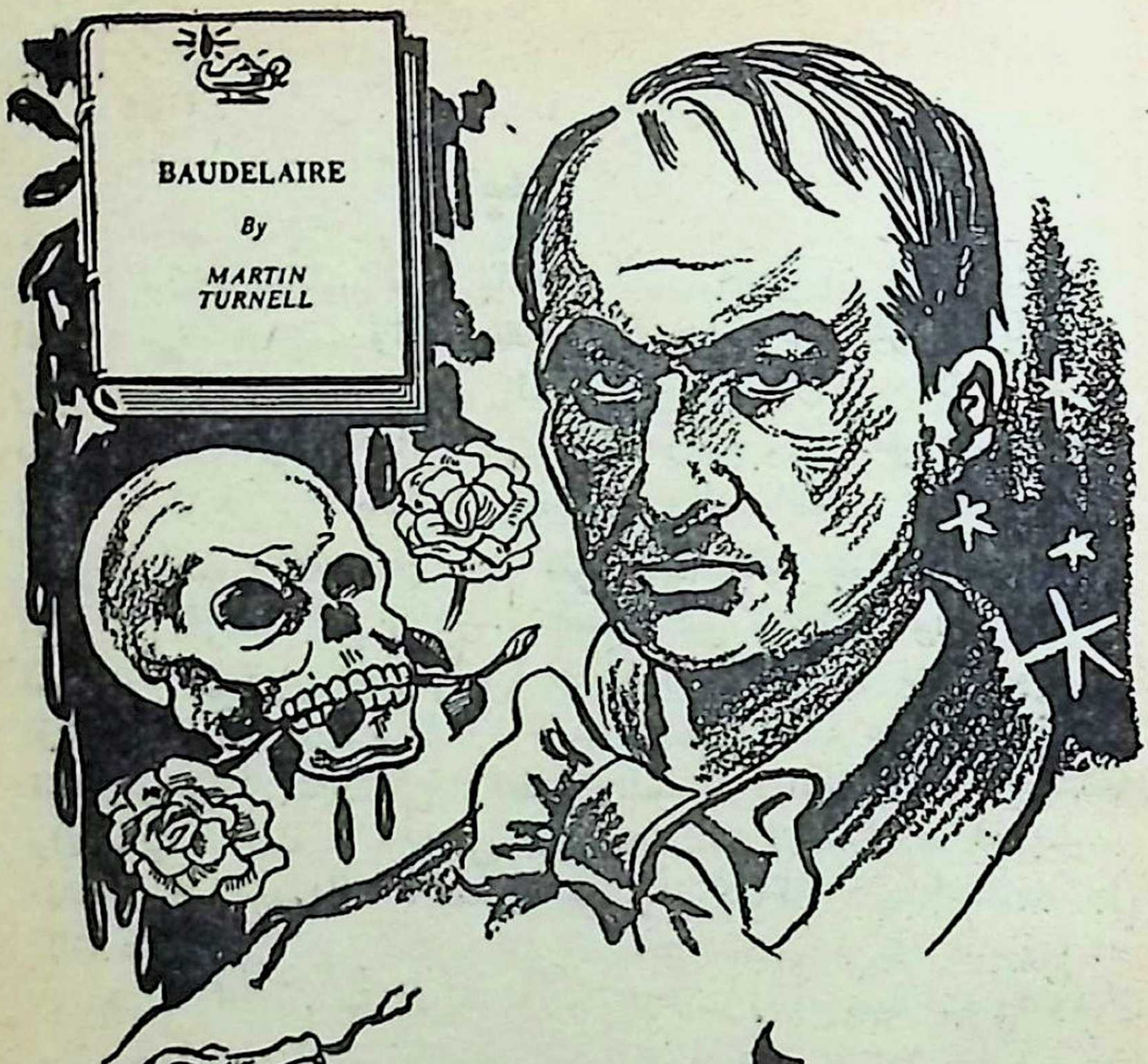
واليوم اقدم لك فيما يلى كتابا عن
حياة الشاعر الفرنسى الخالد « بودلير »
صاحب ديوان « ازهار الشر »

وفى الاعداد التالية اعرفك باذن الله
بهؤلاء الذين تشواق الى معرفتهم منذ
بعيد : لورد بيرون ، براوننج ،
شوبرت .. فولتير ، شوبنهاور ،
نيتشه، ارسطو .. بوذا، كونفشيوس
.. داروين ، اينشتين .. شكسبير ،
جوته ، اديسون ، فورد ..
والتر سكوت ، ديماس ، دستوييفسكى
.. كولبوس ، الاسكندر المقدونى
بطرس الاكبر ، فردريك ، بسمارك ..
مايكل انجلو ، رفايل ، ليوناردو دى
فنشى ، وغيرهم

الخالدون



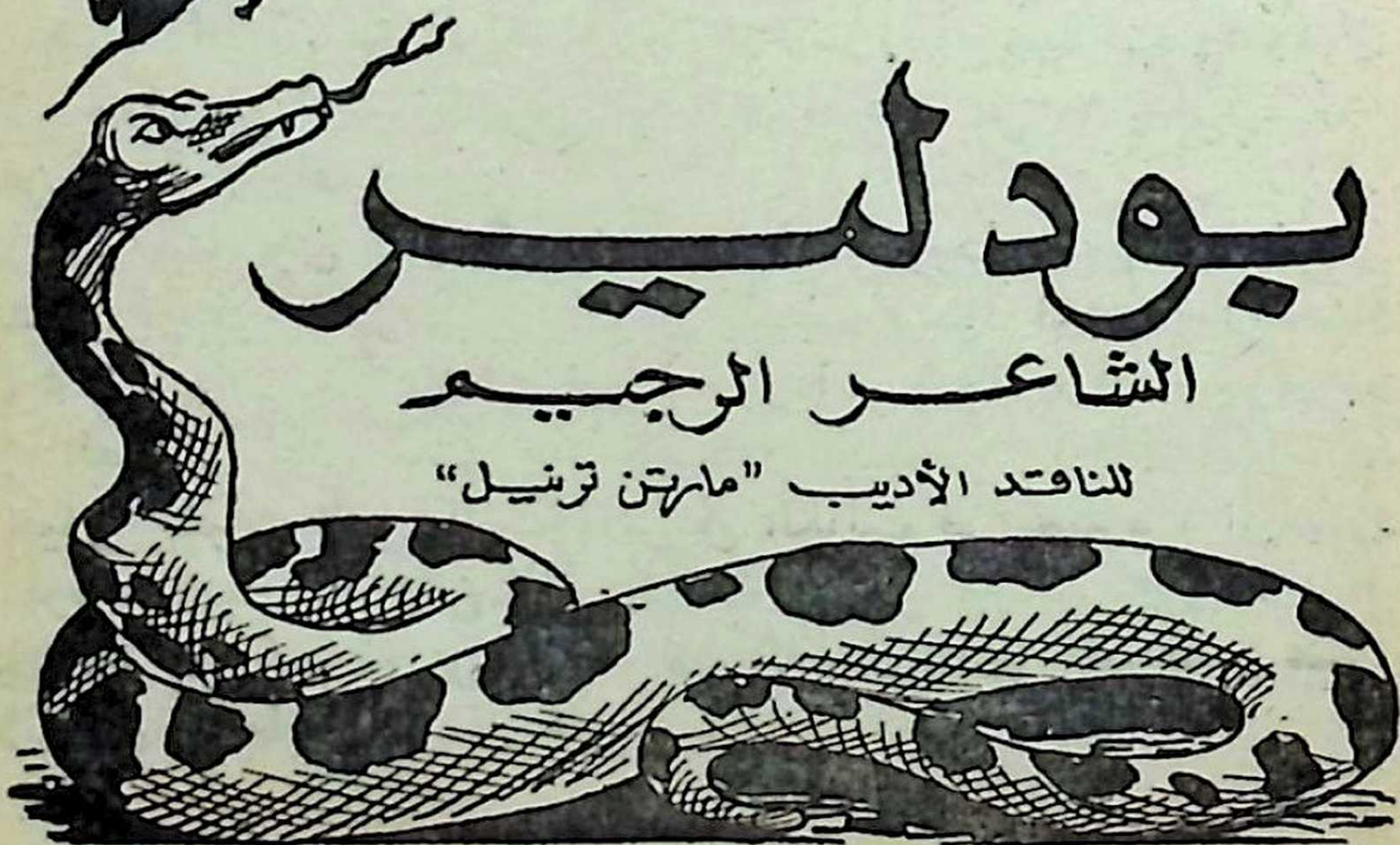
عظماء فى غير السياسة



بودلير

المشاعر الرجيم

للمؤلف الأدبي "مارتن ترنيل"



أدب بودلير

◆ **كان** « بودلير » كاتباً مبدعاً في أكثر من ميدان : كان أعظم شعراء عصره ، وأعظم نقاد زمنه . . . وكان مترجماً بارعاً ، ومن مبتكرى الشعر المنشور الحديث . . . وكان عدا كل هذا مؤلف رسالة رائعة عن تأثير المخدرات ، وحامل لواء بعض الآراء الرفيعة عن الحياة ، والحب ، والسياسة ! . .

ومع ذلك ، فقد كان من أكثر شخصيات جيله غموضاً . . . ظهر في فرنسا في القرن التاسع عشر ، وهو قرن كان من المستبعد أن ترى فيه فرنسا نهضة أدبية ، فإذا به يصبح من أزهى عصور الأدب فيها . . . فقد كانت فرنسا عندئذ حائرة ، تجتاز مرحلة الانتقال من الاقطاع والسيطرة الدينية الى الصناعة والاساليب العلمية . . . وفي غمرة هذا الانقلاب ، لم يتيسر للشاعر أن يجد المادة لاشعاره حاضرة ، كما كان عهد أسلافه ، بل كان عليه أولاً أن يخلق الظروف التي توحى اليه بالشعر . . . فاقترضه ذلك أن يخلق « تياراً من الأفكار » لتغذية فنه وانعاشه وأن يعمل من ناحية أخرى على القضاء على كل ما يناوئ هذا الفن من آراء وأفكار . . .

ومن هنا نرى قدراً كبيراً من انتاج « بودلير » - سواء في الشعر أو في النثر - يهدف الى كشف فساد المجتمع والحملة عليه . . . ولعل من علامات نبوغ « بودلير » حقاً ، أن شعره ينبع من الصدام الذي حدث بين الفرد والمجتمع ، وانه وفق الى أن يحيل العقبات التي كانت تعترض الكاتب في عصره ، الى موارد للقوة الادبية . . . ومن الطريف أن الكثير من شعره لا يزال يحتفظ بما كان له من وقع ، لان الفساد الذي كان يصارعه لا يزال قائماً رغم مرور الزمن !

يبتكر مقاييس جديدة للفن والجمال

وليس معنى هذا أن نجاح « بودلير » تأتى عن حملاته الاصلاحية .. وانما يعزى هذا النجاح الى أنه - ككاتب وشاعر وأديب - نجح فى التحرر من القيود القديمة التى كانت تجعل من الفن « حرفة » ، فخاض كفاحه الادبى والاجتماعى بآراء جديدة فى القيم والامور ، تكشف لبصيرته فأمن بها وقام يدعو اليها قبل أن تتكشف لسواه من معاصريه الذين لم يؤثروا قريحة وبصيرة .. ومن ثم كان مبتكرا ومجددا ومبدعا .. وقد حمل « بودلير » فى أشعاره مشعل الخيال الشعاعى ، وآمن بأن على الشاعر أن يبحث عن مادته فى أعماق نفسه ، لا أن يتبع أسلافه فى التغنى بأوضاع ثابتة للجمال ، أى أن رسالته أن يترجم الجمال كما تراه مشاعره وأحاسيسه المرهفة .. ومن ثم نرى لبودلير تعبيرات تغاير ما اصطلاح عليه شعراء الماضى .. نراه فى حديثه عن العطور يصفها بأنها : « لها امتداد الاشياء اللانهائية ! » .. وفى وصفه للافيون فى قصيدة (السم) يقول : « الافيون يكبر ما لا حجم له .. ويبسط ما لا حد له .. ويمد الوقت .. ويذكي الغواية .. »

فبودلير بهذا يؤثر الوصف الخيالى على الوصف المادى الملموس .. أى لا يصف الشئ كما يبدو حقا ، وانما يصفه كما يتراءى لعينه على أضواء مشاعره واحساسه .. وليس ادل على ذلك من أنه جعل من عشيقته الاولى « جان ديفال » ملاكا رائع الجمال ، فى حين انها كانت سوداء ، مكتنزة الجسم ! ولكنها عين المحب ، وأنها كما كان يحب أن يتصورها !

وقد عبر بودلير عن مذهبه هذا مرة بقوله : « فيم يهمنى أن أعرف من أى عناصر صنعت الحقيقة القائمة خارج كيانى ، ما دامت هذه الحقيقة تساعدنى على أن أشعر بنفسى وكنهها » .. ثم بقوله : « ما هى النظرية الحديثة للفن الخالص ؟ .. ان الفن هو أن تخلق سحرا ايحائيا يشتمل فى آن واحد على الهدف

والموضوع .. وعلى الدنيا القائمة خارج كيان الفنان ، والفنان نفسه ! » .. وهكذا نرى بودلير حين يصور اللون - مثلا - يبيده كما لو كان ناطقا بصوت ذى جرس ونبرات .. وحين يصور العطر يوحى بالافكار والذكريات التى تتعلق به .. واذا هو، حين يرسم العاطفة، يكاد يجعلك تسمع لها همسا ونجوى! ..
 وانه لينطلق فى شعره يبحث عن المثل الاعلى ، أو الكمال ، وهو موقن من أنه لن يجده .. ويرى أن « الشعراء والفنانين وكل أنواع البشر خليقون بأن يشقوا أتعس الشقوة لو ان المثل الاعلى - ذلك اللغو والهراء ، ذلك المستحيل - قد وجد ! » ..
 ثم يقول : « مثل الجمال - فى جميع أشكاله - كمثل الظواهر الاخرى، ينطوى على شىء خالد أبدي، وشىء آخر عارض، زائل .. شىء مطلق ، وشىء معين .. والجمال المطلق الخالد لا وجود له ، أو لعله مجرد صورة وهمية انعكست عن السطح الخارجى العام لمختلف المرئيات .. والعنصر المميز فى شكل كل منها انما ينبعث عن المشاعر .. ولما كان لكل منا مشاعره الخاصة ، لذلك تباينت أشكال الجمال عند الافراد .. »

أزهار الشر

ترجمة الاستاذ عبد الرحمن صدقى

- ◆ وبعد هذه العجالة عن أدب بودلير، أقدم لك فيما يلى هذه المقتطفات من الديوان الذى خلده : « أزهار الشر » ، وقد ترجمها بأسلوبه الرقيق الشاعر الكبير الاستاذ عبد الرحمن صدقى :
- ◆ أيها لقارئ المطمئن الوادع .. يارجل الخير ، السليم الطوية ، القانع .. اطرح من يدك هذا الكتاب .. هذا الكتاب المستهتر الفاجع
- ◆ اذا كنت لم تتلقن فنون البيان .. على النقيب الماكر الشيطان فاطرح كتابى، فلست واعيا منه شيئا .. أو أنت معتقد بى لوثة العقل والخيال
- ◆ أما اذا استطاع طرفك - غير مفتون .. ان يمين فى الاغوار ويفوص فى اللجة الى القرار .. اذا فاقرانى تتعلم محبتى
- ◆ يا أيتها النفس المتطلعة .. أنت يامن تألمين فى الوجود وتحومين باحثة عن فردوسك المفقود .. ارثى لى ! .. والا عليك لعنتى

في الفزل

ومن فزل بودلير في ديوانه المذكور :
 ♦ على جسديك يحوم العبير ، حومانه حول مجمرة البخور
 شعرك الأثيث الكثيف الفور ، ذو العبير الفاغم الحاد
 كبحر من العطر الرجراج لا يستقر .. أمواجه من زرقة وسواد
 ♦ ومن فرعها الى قدمها ، تنضوع حول سمرة جسمها ، نفحة فاغمة وشذا
 ذو خطر

يا لشعرها ! يا للعطر المشبع بالفتور !
 لئن هفت النفوس مع حاو النغمات ، فان روحى - يا حبيبتي - تسبح
 من غطرك فى غمرات
 ♦ حين أكون الى قربك فى ليلة دافئة من ليالى الخريف ، أستنشق مغمض
 العينين شذا صدرك الحار .. تتراءى لى شواطئ سعيدة ، تسطع عليها
 شمس متوهجة صالبة لا تتغير
 هى جزيرة متفترة كسلى ، حبتها الطبيعة أشجارا فريدة وثمارا شهية ..
 ورجالا أجسامهم ممشوقة قوية ، ونساء يخلبن اللب بنظرتهم الفنجة الناطقة
 ويحملنى شذاك الى آفاق ساحرة ، فكانى بمرقا يحفل بالقلوع والصواري ،
 وهى لما تزل منهوكة من عراك اللجج .. وهذا أريج شجر التمر هندى ،
 متصوعا فى الفضاء يفهم حسى ، ويمتزج باغانى الملاحين فى نفسى
 ♦ من رآك تخرين .. ياحلوة السجية

يحسبك أفعى ترقصين .. على طرف العصية
 ♦ فى غلائلها الهفافة المتلألئة ، تمشى مشيتها فتحسبها راقصة .. كتلكم
 الافاعى الطويلة المائسة ، يرقصها على أطراف العصى حواة المعابد المقدسة
 ♦ وتارة هى كالرمال الموحشة ، وقبة السماء على الصحراء .. كلاهما لا
 يحس ما يلقي ابن آدم من برحاء ! .. وكفوارب المرح المتدفعة المطردة فى
 صفحة الدماء ، تضطجع مسبكرة متمددة فى غير اكتراث
 ♦ فى البلاد المتصوعة بالعطر التى تداعبها الشمس الساطعة .. وتحت
 ظلة ظليلة من شجر وارس أرجوانى .. ومن نخيل تفيض على الاجفان فتورا ..
 عرفت غانية مستوطنة ذات فتنة لا عهد بها
 ♦ لونها شاحب حار .. وهذه الفاتنة السمراء ، ذات جيد مشرف السميت ،
 نبيل الالتفات .. مديدة القامة هيفاء ، كانها طاردة قانصة .. لها ابتسامة هادئة
 وفى عينيها ثقة

♦ لو جئت - يا غانية - الى بلاد المجد الأثيل .. على ضفاف السين او
 وادى اللوار النضير .. أيتها الحسناء التى تليق زينة لقصور الامراء

إذا لحيتك في كنف خمائلها الوارفة ، الف مقطوعة أنت انبت نبتها في
أفئدة السمراء .. وقد سبتهم عينك النجلاوان فباتوا أطوع لك من عبيدك
« سارة » اليهودية

♦ ليست من الفانيات النابهاة خليلتي .. وإنما من نفسي أخذت
فتنتها كما تؤخذ العارية ، تقتحمها عيون المستخفين وهي غير مبالية ، ولا
يزهو لها جمال إلا في مهجتي العانية

♦ ومن أجل حذاء تلبسه في قدمها باعت روحها .. وإن الإله الرحيم
ليستهزئ بي لو أني استهزأت بها ، واتخذت بجانب هذه المفصوحة سمت
التورع وتظاهرت بالترفع .. وأنا مثلها أبيع فكري راجيا أن أكون مؤلفا
♦ والادهى في أمرها جمعتها المستعارة .. فقد انحسر شعرها الفاحم
الجميل عن بياض قفاها .. فلم يكن ذاك بمانع محبها ، أن يهوى بالقبل
على جبينها الأملس كاهاب الإبرصى

♦ هي حواء ، ولكن نظرتها الغريبة الحالكة ، تحت سواد أهدابها
الوطفاء كاهداب الملائكة ، جعلت جميع الأعين الفتانة النجلاء ، لا تعدل
عندى هذه العين اليهودية المدبوعة الحولاء !

♦ صغيرة لا تتجاوز العشرين ، ومع هذا فإن ثدييها مسترخيان يتدليان
على جانبيها .. وكثيرا ما خلا من درهم كفها ، فلم تجد ما به تحك جلدتها
وتدلك كتفها

♦ كنت في بعض الليالي مع يهودية نكراء ، وكانما كنت جثة ممددة إلى
جانب جثة .. فأنشأت قرب هذا الجسد المبدول ، أفكر في الجمال الحزين
الذي حرمته

فينوس السوداء

♦ أيتها الربة العجيبة .. السمراء الأهاب مثل جنح الظلام

المزوجة المطر بمثل رائحة المسك والتبغ

ماذا يعني عقلك .. كوني جميلة ، وحزينة

♦ أهيم بك هيامي بقبة الليل ، يا آنية الحزن ، يا حليفة الصمت !

وزاد في حبك أنك تجافيني ، وانك يا زينة ليالي - في جفاك وسخريتك

تباعدت الشقة بين ذراعي ، وبين سمواتك الداجية الصافية

ولكنني أبدا عارج نحوك أساورك وأصعد اليك ، كما يصعد إلى الجثة فوج من

الديدان .. أنا أيتها الضارية التي لا تشمتى لها غلة ، عاشق وامق أهوى حتى

جفاك .. فانت به أبداع في ناظري وأروع !

على أن الشاعر الذي يتعبد - في القصيدة السالفة - في محراب

معشوقته « الربة العجيبة » ، يهوى بها في قصيدة أخرى من مرتبة الإلهة

إلى درك الشياطين ، فينشد وهو يتلوى كالطير المدبوح من الألم :

♦ أيتها الداخلة فى قلبى الشاكي كطعنة سكين .. المقبلة فى قوة كعصبة من الشياطين .. المفتونة المتبرجة ، اتخذت سريرها وملكها فى عقلى الراغم المسكين

أيتها الساقطة التى انا موثق بها ، كالسجين باغلاله ، ورهين المقامرة بالمقامرة ، والسكير بزجاجة الشراب ، والديدان بالجيفة .. لعينة ، لعينة انت!! ناشدت الخنجر القاطع ان يمكننى من حررتى .. وهتفت بالسم الزعاف ان يفيث نذالتى .. فازرى بى السم والخنجر ، وناجيانى : لست اهلا لاعتاقك من أسرك المنكر .. فلو عملنا - يا مافون ! - على موتها ، وانقـاذك من سلطانها .. لاحتيت بحرارة قبلاتك جثة معذبتك ومستنزفة دمك !

فينوس البيضاء

.. ويتعرف الشاعر فى احدى فترات طبيعته مع فينوس السوداء «جان ديفال» على محبوبته التالية « مدام سباتيه » ، فيحس انه وجد فيها الخير والجمال ، أو « الفجر الروحاني » الذى افتقده عند سابقتها :

♦ حين يدخل الفجر الابيض الزاهر فى قلب الفاجر ، ومعه المثل الاعلى المنشود بوخزه الاليم ، يفعل سره الخفى فعله القاهر .. فاذا فى البهيم الهامد يستيقظ ملك كريم

واذا السموات العلا الروحانية ، ينفتح فلكها المكور البعيد المنال ، غائرا سحيقا ، له ما للهاوية من جاذبية .. للصرير الذى لا يزال متألما حالما بالكمال كذلك - ياربتى الحبيبة ، يا ذات الطهر والصفاء - على البقايا الداخنة من ليالى العريضة الخرقاء ، تهفو امام عينى الشاخصة فى الفضاء ، ذكراك وضاعة زاهرة ساحرة بغير انتهاء ..

♦ ايها الملاك الطروب : هل عرفت الالم .. والهوان والسام ، والنحيب والندم .. والهواجس المبهمة فى الليالى المظلمة .. ايها الملاك الطروب ، هل عرفت الالم ؟

ايها الملاك السابح فى السعادة والسرور والنور .. فى جسمك الساحر برء للدفن المسحور .. ولكنى ياملاكى لا أسالك الا الدعاء المبرور .. ايها الملاك السابح فى السعادة والنور

على ان بودلير لا ينسى طبيعته ، فاذا بشيطان عشيقته السمراء يعاوده بين الحين والآخر فى ثنايا ترنيماته الروحية لربته الجديدة :

♦ طلعتك وحركتك وسيمائك ، تحكى فى ناظرى أجمل الرياض .. وضحكك تشيع فى محياك الوضاء ، مثل النسيم العليل فى صحو السماء وتمرين بالحزين العابر ، فتبهره منك روعة العافية .. تتفجر كالنور الدافق من ساعد ومن عاتق

والألوان الصخابة المجلجلة ، التى تشرينها فى زينتك .. تلقى فى روع
 ناظمى الأشعار ، صورة مرقص من مراقص الأزهار
 هذه الاثواب الموشاة المتبرجة ، عنوان على نفسك المتفنة .. أيتها المفتونة
 التى أنا بها مفتون ، انى أبفضك بقدر ما أهواك
 كذلك ياشد ما اشتهى ، فى ليلة من الليلات وقد أذنت ساعة اللذات
 .. ان أدب كاللص الخسيس ، الى ذخائر حسنك النفيس
 فانتقم من جسدك الطروب ، أخدش صدرك الففور ، وأطمئن جنبك المذعور ،
 طعنة نجلاء جوفاء
 ثم ياللذة الهوجاء ، حين أهوى على هذه الشفاه الفضة ، الفريرة الباهرة
 الحلوة .. فأنفت فيك سمي ، يا شقيقة نفسى
 الى التى اشاعت فى حياتى ، روحا كالهواء المنعش .. الى التى فى كيانى
 المجلول من الفناء ، أفرغت طعم البقاء .. الى الملاك المعبود ، تحيتى فى الخلود
لحن الختام

وأخيرا يغفر الفناء هاويته فى افق حياة الشاعر ، فتوحى اليه النهاية بهذه
 الابيات « الصوفية » :

♦ تبارك يارب سوط النقم ، تبارك يا ابتاه الالم .. فلم تك نفسى بين
 يديك ، بالعوبة من هوان لديك .. تعاليت فيما اقتضت حكمتك ، وقدست
 فيما ارتضت رحمتك

♦ ياموت ! .. أيها الملاح المحنك الموكل بسفر الأزواح ، أن الاوان
 فارفع المراسى ، وهىء لنا الرحيل .. مللنا المقام هنا - ياموت ! - فعجل
 الرواح .. وان ادلهم أمامك البحر والسماء ، فان نفوسنا التى بها الممت ،
 يشع منها الضياء

حياة بودلير

♦ «أرجو ان تصدق كل التصديق حقيقة يبدو أنك تتجاهلينها دواما ..
 تلك هى اننى لسوء حظى لم أخلق كفىرى من الرجال !»
 بهذه الكلمات وصف « بودلير » نفسه لأمه «مدام اوبيك» فى إحدى
 رسائله اليها .. وما كان لاحد فى الواقع أن يصفه بخير من هذه الكلمات ،
 فقد كان «بودلير» مجموعة من المتناقضات اكتنفها الغموض .. ومن
 الطريف حقا انه كان كذلك حتى بالنسبة لأمه ، فكتب اليها يعرفها بنفسه
 وكأنما شعر أنها لم تعرفه .. رغم أن من العسير أن يفصل مؤرخ أو محلل
 «بودلير» عن أمه ، اذ أنها لعبت دورا كبيرا فى حياته ، فلا سبيل الى
 الحديث عنه ما لم يمهّد لذلك بالحديث عنها !

ومن ثم فمن الطريف حقا ان نتساءل : ما الذى كان يحدث لو ان الشابة - أم بودلير - هى التى ماتت فى سنة ١٨٢٧ بدلا من أبيه ؟ ولدت «كارولين ارشيمبو - دوفاي» فى لندن فى ٢٧ ديسمبر سنة ١٧٩٣ - وماتت فى «اونفلير» فى ١٦ أغسطس سنة ١٨٧١ - وقد ذقت «كارولين» اليتيم فى حداتها ، فعنى بتربيتها وكفالتها بعض أصدقاء أسرتها ، اذ لم يكن أهلها قد تركوا شيئا من المال ، وان كانت الطبيعة قد عوضتها عن ذلك الفقر واليتيم بطلعة مليحة وذكاء للاح ، وطموح متقد ، وطباع سليمة لينة ، مما حدا بجوزيف فرانسوا بودلير الى أن يتزوج منها فى ٩ سبتمبر سنة ١٨١٩ ، دون ان يصدده عن ذلك انها كانت لا تملك بائنة «دوطة» ما ! وكان جوزيف بودلير اذ ذاك ارملا ، فى السادسة والخمسين من عمره ، تفصله عنها ثلاثون عاما !.. بيد انه رغم كبر سنه ، كان رجلا من ذلك الصنف الذى لا يروق للنساء فحسب ، بل ويستهويهن .. وكان قد بدأ حياته العملية مدرسا للرسم ، ثم عين مدرسا خاصا لدى أسرة « دوق دوشوازيل براسلان » ، فعاش فى بحبوحة ورفاهية - ورث ابنه عنه الميل اليهما - حتى هبت الثورة الفرنسية ، فحرمته المورد الذى كان يوفر له هذا اللون من الحياة ..

وعاد بودلير الاب الى تدريس الرسم للطلاب ، ولكنه ظل وفيا للأسرة الارستقراطية .. فلم تنسه بدورها عندما استردت مكانتها ونفوذها فى تركة الثورة ، بل كافاته بتعيينه موظفا فى مجلس الشيوخ مقابل مرتب حرصت على اعفائه من الضرائب ! وما لبث اذ بلغ الثلاثين ان تزوج من امرأة كانت تكبره بشماني سنوات ، ولكنها كانت تملك ثروة محترمة خلفتها له كما خلفت له ابنا فى التاسعة من عمره هو ثمرة ذلك الزواج .. وفى نفس العام الذى ماتت فيه حصل هو على معاش طيب لمناسبة اعفائه من الخدمة ، فعاش فى بسطة من العيش جعلته لا يحتمل الترميل اكثر من خمس سنوات ، تزوج فى نهايتها من الفتاة اليتيمة كارولين التى انجبت له فتانا «شارل بيير بودلير» فى ٩ ابريل سنة ١٨٢١ .. فى باريس !

زواج غير متكافئ !

♦ ولقد نقم «بودلير» الشاعر ، حين كبر ، على هذا الزواج - الذى اخرجه الى الوجود - فوصفه بأنه كان بعيدا عن التكافؤ : سواء من ناحية السن ، أو من ناحية الصحة والتركيب البدنى لابيه وأمه ، وعزا اليه اعتلال صحته ..؟ وقد يكون فى ذلك بعض الصواب ، اذ أن اباه حين تزوج

من أمه كان في حوالى السادسة والخمسين ، كما أن أمه كانت مصابة بالنورستانيا العقلية .. بيد أننا نلمس تحامل « بودلير » في نقمته إذا ما عرفنا أن أباه كان من المثقفين الأذكياء النابهين ، وأن أمه هي الأخرى كانت ذات عقل نابه .. ومن هنا يحتمل أن يكون شاعرنا قد ورث عبقريته منهما !
ومات «فرانسواز بودلير» في ١٠ فبراير سنة ١٨٢٧ - أى قبل أن يستكمل «شارل» عامه السادس - وهنا نعود الى سؤالنا الاول : ما الذى كان يحدث لو أن أمه هي التى ماتت بدلا من أبيه ؟

ذلك لأن الأم لم تمكث أرملة أكثر من تسعة عشر شهرا ، ثم تزوجت ثانية .. وكان هذا الزواج صدمة لبودير الصغير ، إذ أن المرأة في حياتها مع الزوج الاول ، المكتهل العلول لم تجد منفئا لعواطفها الشابة سوى ابنها الصغير ، فراحت تصفى عليه الحنان وتفمره بالحب .. فلما تزوجت للمرة الثانية وشاء القدر أن يكون زوجها الجديد «الميجر أوبيك» ضابطا شابا ، وسيما ، ذكيا ، توفر فيه من الصفات ما كان ينقص «فرانسوا بودلير» فاقبلت عليه بكل ما كانت تعاني من جفاف عاطفى .. وأصبح ابنها في المرتبة الثانية من حياتها !

وكان من الطبيعى أن يشعر الصبى - وهو الذى تعلق بأمه لما كان يلقاه منها فيما قبل - بأن هذه الأم خدعته ، وتخلت عنه ، ونبلته .. فترولاه نفور من زوج أمه ، ولم ير فيه سوى «دخيل» أفسد عليه هناءه !

هل كان مصابا بعقدة «أوديب» ؟

♦ ولقد ذهب بعض الكتاب الى أن سر نفور «بودلير» من زوج أمه كان يرجع الى ما أسماه «فرويد» - العالم النفسى - بـ «عقدة أوديب» .. فزعموا أن العلاقة بين بودلير وأمّه كانت مشوبة بالابهام .. بل غالى البعض فقال انها «لم تكن بريئة تماما» ، واستدلوا على ذلك بما كان يشعر به الابن والأم من حب وكراهية غريبين ومجتمعين .. لكن هذا في الواقع نوع من التجنى ، إذ أن «بودلير» لم يكن قد أتم السادسة حين مات أبوه ، وكان في منتصف الطريق بين السابعة والثامنة حين تزوجت أمه من «أوبيك» فضلا عن أن الكراهية التى خالطت الحب - بين الابن والأم - لها ما يبررها فيما جرى بعد ذلك من أحداث ..

ولم يتناه الينا من حياة بودلير في صباه سوى النذر اليسير ، الذى نفهم منه انه الحق بمدرسة «كوليج رويال» في ليون - حيث كان زوج أمه قد أوفد لقمع بعض الاضطرابات - فلم يكشف في دراسته عن أى تفوق ظاهر ، اللهم سوى انه ظفر بجائزة في الرسم .. حتى اذا عادت الاسرة الى باريس الحق بودلير بمعهد «ليسيه لوى لوجران» ، حيث قدمه زوج

أمه مفاخرًا بأنه «تلميذ مشرف المدرسة» !.. ولكنه على العكس ، لم يبد شيئًا من التفوق ، بل كانت التقارير المدرسية عنه سيئة .. وكان متمرداً ، لا يهتم بشيء من دروسه عدا الشعر اللاتينى الذى فاز بجائزة فيه فى سنة ١٨٢٧ ، فى مباراة عامة كانت تعقد بشأنه بين مدارس فرنسا جميعا ..

ومع ذلك فقد انتهت حياته المدرسية بوصمة مشينة أدت الى فصله من المدرسة .. وقيل أن أحد زملائه زعم أنها فضيحة أخلاقية !.. ولكن الأغلب أن سبب الفصل يرجع الى أنه رفض أن يسلم لأحد المدرسين وريقة دفعها اليه تلميذ آخر أثناء الدرس ..

حياته فى الحى اللاتينى

♦ وعهد به بعد ذلك الى مدرس يدعى «الاسيخ» ، أقام بودلير فى داره وتعلم عليه حتى نال « البكالوريا » فى أغسطس سنة ١٨٢٩ .
وآثار نجاحه خلافاً بينه وبين أهله حول مستقبله .. فلقد شاءت أمه وزوجها أن يدرس ليلتحق بالسلك الدبلوماسى ، سيما وأن «أوبيك» قد أصبح « بريجاديير جنرال » وكان على علاقة بدوق أورليان ، فكان من الميسور تعيين ابنه بودلير فى منصب دبلوماسى .. بيد أن الشاب لم يأخذ برأيهما ، بل أنه اذهلهما إذ أعلن عزمه على أن يصبح أديبا كاتباً !
وانتهى الأمر بأن الحق بمدرسة «دى شارت» للاداب - حيث قيل أنه واظب على حضور المحاضرات عشر سنوات متوالية - وأقام فى «بنسيون» بعيداً عن بيت الأسرة ..

وكان «الحى اللاتينى» فى ذلك العهد ، مدينة للطلبة حقاً ، فأقبل بودلير على حياة الطالب ، لاسيما الجانب المرح منها .. وسرعان ما أصبح من أشهر الشخصيات فى اوساط الطلبة ، وانغمس فى الديون .. ويحتمل أن يكون قد أصيب فى هذه الفترة من حياته ، بالمرض التناسلى - الزهري - الذى يقال أنه كان سبب موته بعد ذلك بخمس وعشرين سنة ..

على أنه لم ينعم بحياة الطلبة الطلقة المتحررة هذه لأكثر من عامين ، فقلقت أسرته بعدهما من جراء اسرافه ، وبطانة الاصدقاء الذين كان يلوذ بهم .. ورغم قيام زوج أمه «أوبيك» - وكان قد أصبح «جنرالاً» - بتسديد ديونه .. فإن أم «بودلير» لم تسترح الى ذلك ، ولم تشأ أن يبقى ابنها على غيه حتى يبدد ما تبقى من الثروة التى خلفها له أبوه ، فعمدت الى اجراء يتسم بالشدة ، حصلت بمقتضاه على تخويل يجعلها وزوجها ، قيمين على الشاب !

وكان هذا الاجراء صدمة جديدة لنفس «بودلير» ، زادت من اتساع الشقة بينه وبين أمه .. وكانت الآثار النفسية لهذه الصدمة أبعد مدى من آثارها المادية ، فلم يكن الشاب ينفك يشكو مما في هذا الاجراء من ذلة وهوان .. وضاعف من هذا الشعور لديه أن القيمين عملا على أن لا يزيد دخله من النواحي التي كان يستثمر فيها ميراثه عن خمسة وسبعين جنيها في العام ، مما لم يكن يمكنه من العيش اللائق الذي كان يرجوه ، فراح يستدين ويستدين ، دون أن يقوى على سداد ديونه ؟

ومن ثم أصبح القيمان وتصرفاتهما عبئا ثقيلا ، بل كابوسا أفسد حياة «بودلير» وجعله يضيق بها ، وشغل باله وتفكيره ، حتى أن المرء ليعجب بعد ذلك ، كيف استطاع في هذه الفترة أن ينتج بعض الانتاج الرائع الذي خلد اسمه في عالم الادب الاوربي !؟

ملهمة من بحار الجنوب!

♦ ورأى القيمان أن من الخير لاصلاح «بودلير» أن يرسل بعيدا عن هذا الوسط الذي كان يعيش فيه .. فدبرا خمسة الاف فرنك من ميراثه لكي يقوم برحلة على سفينة كانت في طريقها الى الهند ، وعهدا بالشباب الى ربان السفينة .. وهكذا ابهر بودلير في ٦ يونيو سنة ١٨٤١ ، ليقضى في بحار الجنوب عامين ..

ولكن الشاب أحس بأنها رحلة مفروضة عليه .. مفروضة من المقيمين اللذين كان يشعر بأنهما يضيقان الخناق عليه ويحدان من حريته .. لذلك كان طبيعيا أن يكره هذه الرحلة وأن ينفر من الركاب الذين كانوا يزاملونه على سطح السفينة ..

وتصادف أن هبت العواصف والانواء فراحت تتلاعب بالسفينة ، حتى اضطرب ربانها الى أن يرسو بها على جزيرة «موريتس» لاصلاح ما أصابها .. وانتهاز «بودلير» الفرصة ليفارق السفينة ويقيم في فندق بالجزيرة ، ثم



يسمى الى البحث عن رفاق مثقفين ، فالتقى بمدام «أوتار دوبراجار» وزوجها . وسحرته المرأة ، حتى انه نظم فيها قصيدة من أروع قصائد ديوانه الاول المشهور «أزهار الشر» . تلك هي القصيدة : «الى سيدة المولدات» - اذ كانت مدام أوتار «مولدة» ، أى امرأة من أهل المستعمرات انحدرت من أصل أبيض .

وعندما بلغت السفينة جزيرة «بوربون» ، كان الضيق قد بلغ ببودلير أقصاه ، فأصر على أن لا يمضى قدما ، وتشبث بوجوب العودة الى فرنسا . فبلغها في فبراير سنة ١٨٤٢ .

وهكذا عاد «بودلير» . ومع انه كان ناقما على الرحلة - رغم أن أمه وزوجها أرسلاه فيها وليس من هدف سوى مصلحته - إلا أن الرحلة كانت ذات أثر كبير في حياته الادبية . فان الألوان والمناظر والاشكال والاصوات التى صادفها في الشرق كانت ذات أثر كبير في تطور ذوقه الشعرى ، وفى نضوج عبقريته ، وفى إرهاف احساسه ، وفى تكون ذخيرة من الصور والرؤى البراقة في خياله .

يرث ثروة . . . فيبدها في المجون !

♦ وبلغ «بودلير» سن الرشد في ٩ ابريل سنة ١٨٤٢ ، فاستولى على الميراث الذى آل اليه من أبيه ، وكان قد بلغ خمسة وسبعين ألفا من الفرنكات .

وكان أول ما فعله بودلير على الاثر أن غادر بيت الاسرة في شهر يونيو من ذلك العام - وكان قد أقام به منذ عودته من الرحلة - واتخذ لنفسه مسكنا خاصا ، لم يلبث أن انتقل منه الى فندق «دولوزين» . وأعقبه ذلك عامان من أخطر الاعوام في حياة الشاعر الشاب ، اذ شرع يتعاطى الحشيش والمخدرات . والتقى ب «جان دوفال» ، أولى عشيقاته . كما أخذ يسرف في التالق والظهور حتى كبل نفسه بديون أخذت تستفحل وتثقل عاتقه . حتى مماته !

وذمرت أمه وزوجها حين تبينا في سنة ١٨٤٤ أن الشاب اضاع نصف ميراثه بددا ، فعادا يسميان لوضعه تحت إشراف قيم . وجزع «بودلير» بدوره فأخذ يتوسل الى أمه كي تعفيه من هذا الإشراف ، ولكنها أصرت على ذلك . ووضع «بودلير» من جديد تحت قوامة أمه وزوجها ، فكان هذا ابدانا بكابوس ظل يجثم على صدر بودلير الى النهاية . حتى لقد كتب الى أمه في سنة ١٨٦٠ - أى بعد أكثر من خمسة عشر عاما - يقول : «ساموت دون ان أكون قد فعلت في حياتي شيئا . لقد كنت يوما مدينا بعشرين ألف فرنك ، فأصبحت مدينا بأربعين ألفا ، ولو شاء سوء الحظ أن أعيش أكثر ، لتضاعف دينى مرة أخرى !»

وفي خطاب آخر لأمه في العام ذاته ، وصف اشراف القيمين على شئونه بأنه «الفلطة الفظيعة التي دمرت حياتي ، ونسفت أيامي ، وسممت كل أفكارى بالبغضاء والقنوط» .. ووصفه مرة أخرى بأنه «الابتكار اللين الذي ابتكرته أم ذات عقل لا يشغله سوى الحرص على المال !»

ولقد حاول «بودلير» الانتحار في سنة ١٨٤٥ .. ففيما كان يجلس مع عشيقته «جان ديفال» في مقهى ، اذا به يخرج سكيناً ويروح يطعن صدره ..

اذ كان قد تفاقم شعوره بأن في اشراف غيره على شئونه اذلالاً لنفسه . وكانت ديونه تستفحل دون أن يتراءى له أمل في تسديدها ! .. ومع ذلك ، فقد استطاع أن ينظم وينشر في تلك اللحظة طائفة من أبداع قصائده ، في ديوان أسماه «الصالونات» - أو الندوات ! - كما أنه عزز اتصاله وروابطه بعالم الفن والادب ، ووثق علاقاته بالرجل الذي تولى بعد ذلك نشر انتاجه ..

في ميدان الصحافة والسياسة

♦ وفي سنة ١٨٤٨ ، أصدر «بودلير» مع اثنين من زملائه ، صحيفة ثورية لم ير النور منها سوى عددين ! .. ومما يروى عنه في تلك الآونة أنه حمل بندقية في الاضطرابات التي حدثت في فبراير من ذلك العام ، فأطلق منها عياراً في الهواء وصاح في الثائرين : «لنذهب فنقتل الجنرال أوبيك» ! - زوج أمه !

غير أن بودلير انقلب في العام التالي من صفوف الثوار الى صف المحافظين ، وحاول اصدار صحيفة في «ديجون» تدعو لارائهم .. ثم تحول في العام التالي - ١٨٥٠ - الى اصدار صحيفة معارضة في «شاتورو» .. وانتهى به هذا التقلب الحائر الى أن طلق السياسة والاحزاب جميعاً في سنة ١٨٥١ ! ..

ولعل «بودلير» خير من وصف سر تحمسه للشورة في سنة ١٨٤٨ ، اذ كتب في ذلك يقول : «لقد كان تعطشا للثأر .. ولادة طبيعية بالتدمير .. ونشوة أدبية من ذكريات الكتب التي قرأتها !» .. ويذهب بعض المؤرخين في تحليل تحمسه الثائر الى أنه حاول انشاء حزب للادباء يقاوم به استفحال نفوذ الطبقة المتوسطة التي اوجدتها الثورة ، وما كان حمله البندقية والدعوة الى قتل أوبيك سوى صورة نفسية مثل بها موقف الفنان ، والشاعر ، من المجتمع !

وانصرف «بودلير» بعد نبذه السياسة ، الى مؤلفاته في النقد الادبي ، والى ترجمة مؤلفات «ادجار الانبو» .. اذ رأى في هذا الكاتب الأمريكي

أخا وروحيا عبر خير تعبير مما كان في نفسه من مشاعر وأراء لم تكن
تبدى لبصيرته في جلاء ..

وفي ٢٨ أبريل سنة ١٨٥٧ مات الجنرال أوبيك ..

وفي ٢٥ يونيو من العام ذاته ، نشر بودلير ديوانه الخالد « أزهار الشر »
الذي كان قد سبق نشره في سنة ١٩٤٦ ، تحت عنوان « بنات ليبو » .. و« ليبو »
هو الاسم القديم الذي كان يطلق على جزيرة ميتيلين بالخليج اليوناني ..
وقوبل الديوان بحملة من صحيفة « (الفيجارو) » هاجمته خلالها في مقالين
زاعمين أنه مناف للاداب العامة .. فما كان من السلطات الا أن أمرت
بمصادرة الديوان وحكمت على بودلير بغرامة قدرها ثلاثمائة فرنك ، وعلى
كل من الناشرين بمائة فرنك .. غير أن بودلير رفع التماسا الى الامبراطورة
« (أوجيني) » ، فاذا بالغرامة تخفض الى خمسين فرنكا .. ويلقى حكم
المصادرة !

ولقد كتب « فيكتور هيجو » على اثر المصادرة الى بودلير يقول أنها كانت
« خير مظهر لتقدير الدولة » ! .. ولكن هذا العزاء لم يسر عن « بودلير » ،
فقد شعر بأنه طعن في سمعته .. واراد أن يسترد اعتباره ، فرشح نفسه
لعضوية « الاكاديمية الفرنسية » في سنة ١٨٦١-١٨٦٢ .

وحيد بلا أصدقاء ، ولا عشيقة ، ولا كلب !

♦ وكانت السنة التي تلت نشر « أزهار الشر » من أقسى سبى حياة
« بودلير » ، فكانت خطباته لأمه تفيض بالشكوى من حظه في الحياة ، وكان
متمعضا من اضطراره الى تنقيح كتابه باضافة قصائد جديدة مكان
تلك التي كانت موضع اعتراض .. كما كانت ديونه واشراف القيمين على
شئونه مصدر عذاب نفساني له لا يخبر اواره .. ولعل خير تصوير
لحالته ما كتبه في منتصف سنة ١٨٦١ الى أمه : « اننى وحيد .. بلا أصدقاء ،
وبلا عشيقة ، وبلا كلب ، وبلا قطة ، وبلا شيء أستطيع أن أبته شكواى ..
ليس لدى سوى صورة أبى ، ولكنها صماء بكماء ! »
وكان الشعور بالوحدة اقصى ما عذبه في تلك الفترة من حياته ، اذ
نجدته بعد ذلك بعامين لا يزال يشكو لأمه من الوحدة والوحشة قائلا :
« اننى أعانى هذه الوحشة في غرفتى الخالية من الضوء .. وكم أتعذب
من حرمانى من الصداقة والنعيم ! .. لقد حطمتنى وحدتى وتقاعسى حتى اننى
اعتدت أن أرجىء واجباتى ، ومنها ما انا متلف على أدائه » .. كما كتب
اليها مرة أخرى : « انما أحس اشمزازا تاما من كل شيء ، بل - وقبل
كل شيء - من كل نوع من انواع اللذات والمتع .. وليس من شعور يوحى الى

بأننى لا أزال على قيد الحياة سوى تلك الرغبة المبهمة فى الشهرة ، والشار ،
والمال » !

وكان هذا الاسى والاكتئاب ينعكس على كل شىء : على أشعاره .. وعلى
الصور التى رسمت له فى تلك المرحلة .. ولعل للمخدرات التى أدمنها
أثرا كبيرا فى ذلك . فقد تفاعل أثر هذه المخدرات مع أشجانه النفسية
فاذا هو ينقم على المدينة ، وعلى النساء .. واذا هو يسخط على عصره . وقد
زاد من سخطه شذوذ جنسى كان يعانى به ، اذ تدل غرامياته على أنه كان يحب
النساء ، ولكنه ينفر من العلاقات الجسدية .. مع بعضهن على الأقل !

وتلاحقت المصائب على بودلير ، فمنى ديوان «أزهار الشر» بالفشل ،
وأفلس الناشر ، وفقد بودلير ما كان يناله من دخل سنوى بسيط مقابل
حقوق نشر ترجمته لمؤلفات «ألان بو» ..

وازداد تراكم الديون عليه ! .. وكان ناشر كتبه قد رحل الى بلجيكا ، ومن
هناك كتب اليه يغريه باللحاق به .. فسافر فى ابريل سنة ١٨٦٤ ..
ولكن هذه الرحلة كانت نكبة جديدة حاقت ببودلير ، وأحنقته على
البلجيكيين ، لاسيما بعد أن قوبلت المحاضرات التى دعى الى القاها هناك
بالاعراض ، واغتال الذين تعاقدوا معه اتعابه ، وفشل فى نشر مؤلفاته ،
فازدادت متاعبه المالية ، حتى أنه لم يكن يقوى على أن يغادر الفندق
الذى كان ينزل فيه ، لانه لم يكن يملك أن يدفع لصاحبه الايجار !

وانهار أخيرا تحت كل هذه الارزاء ، فانتابه شلل عقد لسانه ..
وعملت أمه واصدقاؤه على نقله الى باريس فى ٢ يوليو سنة ١٨٦٦ ، ولكنه
لم يعيش طويلا .. اذ مات فى ٣١ أغسطس من العام نفسه .. وكانت
جنازته صورة أخرى من السواد الذى رافقه فى حياته ، فقد تخلف الادباء
المبرزون عن تشييعها .. وهبت عاصفة على المقبرة أثناء دفنه ، فشتتت
شمل المشيعين !

غراميات بودلير

◆ يطلق البعض على بودلير اسم «الشاعر العفيف» ، ولكن أصابته
بالزهرى تناقض هذه التسمية ! .. سيما وأن الدلائل لا ننم عن أنه تلقى
الداء من طريق الوراثة .. على أنه قد يكون من المحتمل أن «بودلير» كان
زاهدا فى العلاقات الجنسية ، أو لم يكن يقوى على ممارستها الا بقدر
محدود .. وليس هذا بالامر النادر بين أمثاله من الشعراء المفرقين فى الخيال،

ولكنه - أيضا - ليس بالظاهرة الهامة في غراميات «بودلير» ، وإنما الظاهرة الأهم في هذا الميدان تتجلى في ذلك الشذوذ العقلي الذي كان يجعله يرى الحب شيئا يجدر بالمرء أن يدرسه ، لا أن يعيش فيه ! .. ومن ثم نرى أن الأشعار التي قالها في «جان ويقال» ، أو إليها ، ولم تكن قصائد غزل وحب بقدر ما كانت قصائد جنسية . فقد كان بودلير يصرف اهتمامه إلى دراسة الانفعالات وإلى كشف السبل المتباينة لايقاظ الفرائز ، لا إلى إرضاء هذه الفرائز بالذات .. وكان يتخذ من العشيق وسيلة لاشباع «شهوته إلى الجمال» وليس إلى اشباع الجنس .. وبهذا الاتجاه ، جعل من فنه بديلا للعملية الجنسية ! .. وقد قال في مذكراته : « كلما ارتقى الإنسان بفنه تضاعفت أغلاله .. فلا بد من طلاق يزداد شيئا فشيئا بين الروح وبين الوحش الكامن في الإنسان » .. بل إنه ذهب في قصيدة « السهم الناري » إلى تشبيه العملية الجنسية بعملية مؤلمة ، لا تقل في تباريحها عن التعذيب أو الجراحة ! .. ومع ذلك فإن أشعاره الأولى ، لاسيما تلك التي وجهها إلى «جان دوفال» ، توحى بأن وراء هذه الروح «العذرية» نزوات جنسية جامحة .. وهذا بدوره يوحى بأن عفته قد تكون رد فعل نفسي لاصابته بالزهري ! .. كما يرى أنصار «عقدة أوديب» القائلين بأن شيئا غير برئء كان يشوب علاقته بأمه في صغره - أن هذه العلاقة والصدمة التي تلقاها الشاعر عندما تزوجت أمه مرة ثانية ، هما السبب في نفوره من الحب الجنسي ..

فينويس السوداء

◆ وقد كانت «جان دوفال» أولى عشيقاته . وترجع علاقته بها إلى سنة ١٨٤٢ .. ويبدو من المعلومات المتناثرة أنها كانت ممثلة صغيرة في بعض المسارح المتواضعة ، وأنها كانت في الوقت ذاته تبيع جسدها لكل راغب ! وكانت «جان» من أب أبيض وأم سوداء ، ومن ثم فقد كانت شديدة السمرة ، طويلة ، دقيقة القسمات ، ذات شعر أسود غزير كان ينساب على كتفيها في استرسال رائع ..

ولقد وقع «بودلير» في هواها مذ رآها للمرة الأولى في مسرح صغير كانت تعمل به في الحي اللاتيني . فشرع يتقرب إليها كما لو كانت من الكواكب اللامعات ، وأخذ يرسل إليها الزهور الغالية ، ويسألها أن تسمح له بأن يرافقها إلى دارها بعد الفراغ من عملها .. ثم انتهى به الأمر إلى أن أسكنها في مسكن مزين على الطراز الشرقي بشارع «فام سون تيت» بالقرب من مسكنه !

ولعل سمرتها ، وما يتجاوب في نفسه من سحر الشرق بعد الرحلة التي فرضت عليه الى بحار الجنوب ، هما سر ميله اليها مذ رآها .. فقد لاح له فيها عنصر مكمل للذكريات التي ادخلها من هذه الرحلة .. وفعل لم تلبث «جان» ان أصبحت القوة التي أطلقت الهامه وخياله .. فكانت القصائد التي كتبها بوحى علاقته بها من أروع شعره !

تخونه مع اصدقائه !

♦ لكن المهمة المعشوقة ، قدر له ان يكشف بعد وقت غير طويل انها كانت جشعة ، اطمعها كرمه ، ولم يهذب من طباعها حبه ، فلم تتورع عن ان تخونه مع خاصة اصدقائه وزوار بيته ! .. فضلا عن انها لم تكذ تعلم بنبا قيام امه وزوجها بالاشراف على شئونه ، بعد ان تبينا سفهه واسرافه ، حتى بدأت تتمرد وتتنمر .. حتى لقد كتب بودلير الى امه في سنة ١٨٥٢ يقول ان «جان أصبحت عقبة ، لا في سبيل سعادتي فحسب ، وانما في سبيل صفاء ذهني وطاقتي الفنية .. لقد كانت لها في الماضي صفات خاصة فقدتها اليوم ، بينما بدأت - أنا - اکتسب نضجا فكريا وبصيرة جلية ..»

وتوالى الخلافات العاصفة بينهما .. فما لبث «بودلير» ان افترق عنها - في نفس العام (١٨٥٢) - واقسم ان لا يراها بعد ذلك .. لكن الحنين عاوده اليها في سنة ١٨٥٤ ، وبعد مقاومة عاد اليها في العام التالي ، واقاما معا .. ولكن هذه العودة لم تطل الى أكثر من سبتمبر سنة ١٨٥٦ ، حين كتب لاهه يقول : « لقد انتهت العلاقة التي ربطتني بجان أربع عشرة سنة .. ولقد بذلت كل مجهود في طوق البشر لاحول دون الفرقة ، ولكن الشجار استمر بيننا أسبوعين .. ولسوف اظل نهبا للحسرة على هذه المرأة ، فقد كانت البهجة الوحيدة ، والمتعة الوحيدة ، والرفيقة الوحيدة لي ، رغم ما كان ينتاب علاقتنا العاصفة من صدمات ! »

غير انه لم يلبث ان عاد اليها مرة اخرى في سنة ١٨٥٨ ، وقد اشفق عليها اذ اقعدتها العلل . ثم ادخلها في العام التالي مصحة لتعالج فيها من الشلل .. وبدلا من ان تعرف له هذا الفضل اخذت تبتز منه المال بان تضاعف من النفقات التي كانت تطلبها للعلاج .. واحتفل بودلير بشفائها في سنة ١٨٦٠ ، ولكنها في هذه المرة عادت الى داره مستصحبة رجلا زعمت انه اخوها .. وظلا معا يستمرئان كرم الشاعر ويبتزان كل ما يصلان اليه من ماله .. حتى اذا عاودها الشلل وانتقلت الى مستشفى متواضع ، باع «الاخ» كل ما كان في المسكن الذي اعده لها بودلير من متاع ، واختفى ! وهنا نفذ صبر «بودلير» فلم يسمح لها بالاقامة في كنفه بعد ذلك ، ولكنه ظل يتابع اخبارها ، ويمدها بالمعونة .. حتى لقد حرص حين احس بدنو منيته ، على ان يوصي امه بها !

فينوس البيضاء

♦ وبرغم طول عهد بودلير بمعاشرة «جان ديفال» واثرها فى اشعاره ، الا ان المؤرخين كثيرا ما يتجاهلون لها ليفيضا فى الحديث عن مدام «ابولونى ساباتييه» .. مع ان القصائد التى نظمها بوحى منها ، كانت اقل روعة من تلك وكان لقب «مدام» لقبا الصق باسمها بغير وجه حق ، فالواقع ان «اجلايه جوزيفين ساباتييه» - وهو اسمها الحقيقى - لم تتزوج قط .. وقد ولدت «اجلايه» فى ابريل سنة ١٨٢٢ نتيجة علاقة غير شرعية بين «فيكونت دابانكور» - محافظ (الاردن) - و «صبية خياطة» كانت تعمل فى دار المحافظة .. وقبيل مولدها ، اغرى «الفيكونت» جاويشا فى الجيش يدعى «اندرية ساباتييه» بالزواج من صحبته ليستر عارها ..

وابدت «اجلايه» - او «ابولونى» كما اصبحت تدعى - ميلا الى الفن فتعلمت الرسم .. كما كشفت عن موهبة طيبة للغناء ، حملت ناظرة احدى مدارس البنات على ان تعلمها الغناء على نفقتها ! .. وفيما كانت تغنى فى احدى الحفلات الخيرية وقعت عليها انظار «الكونت الفريد موسلمان» - وكان من الصيارفة اليهود - فاحبها واتخذها خلية ، واعد لها مسكنا تولى الانفاق عليه .. ولكن هذا لم يحفزها على ان تصون نفسها عن سواه ، حتى ان بعض المؤرخين يصفونها بانها كانت من «العاهرات» ، ولكنها كانت ارقى مستوى من بائعات الهوى المتهتكات !

والواقع انها كانت رائعة الجمال .. حتى لقد بلغ من اعتزاز المالى اليهودى بجمالها ، ان امر بصنع تمثال من المرمر يمثلها عارية تماما ، وقد عرض التمثال فى سنة ١٨٤٧ تحت اسم «امراة لدغها ثعبان» ! .. والواقع ان الاختلاجات التى تبدت فى التمثال لم تكن اختلاجات ملدوغة ، وانما كانت من وحى الخلاعة الفاضحة ..

وطار صيت «ابولونى» فى اوساط الفنانين والادباء ، حتى لقد اطلق عليها الاديب «تيوفيل جوتييه» اسم «الرئيسة» ! .. والمعتقد ان «بودلير» رآها للمرة الاولى فى سنة ١٨٤٢ وهى فى عنفوان شبابها - فى العشرين من عمرها - وفى روعة جمالها .. وكانت عائدة من الحمام مع بعض الاصدقاء ، فلم يتمالك ان اعجب بها ، ولكنه لم يتعرف بها قبل سنة ١٨٤٥ .. ولم تتوثق صلته بها الا فى سنة ١٨٥١ ، عندما كان جوتييه يصطحبه معه الى المآدب والاجتماعات التى كانت تقيمها فى ايام الاحاد ..

ولم يكن جمالها ، وانما رواء هذا الجمال ، هو الذى استهواه .. فهو لم

يعن بسمعتها ، بل انه تجاهل فتنة
جسدها ، واتجه بحواسه الى روعة
بياضها فشاء أن يتخذ منها غريمة لـ
« فينوس السوداء » ..



امراة لدغها ثعبان !

ولم ينقض عام حتى أخذ « بودلير »
يبعث اليها بخطابات غرامية لا تحمل
اسمه ولا خطه .. وقد ضمن هذه
الخطابات ستا من القصائد التسع التي
تألف منها « عهد مدام ساباتييه » في
ديوان « أزهار الشر » وقصيدة سابعة
حذفت من الطبعيتين الاوليين للديوان ..

وكانت خطابه اليها مشبوبة الاوار
.. ففي أحدها نراه يقول : « لست
أدرى ما اذا كانت ستتاج لي تلك المتعة
السامية .. متعة أن أشرح لك بنفسى

ما لك من سلطان على ، وان ابين لك ما يبعثه طيفك في ذهنى من اشراق
.. على اننى يسعدنى في وضعى الراهن ان اقسام لك مرة اخرى بان الحب
الذى اضممره لك لم يدانه حب آخر في تجرده عن الفرض ، وفي سموه ..
واننى ساظل دواما اكنمه بالحرص الذى يستحقه هذا التبجيل العاطفى ..
واخيرا ، ارى لزاما على ، كى اشرح لك صمتى وعواطفى المشبوبة التى تسمو
الى العبادة ، ان اذكر لك اننى حينما ينغمس كيانى في ظلمات ضعفه وطيشه
الطبيين ، احلم بك .. فاذا بالحلم المثير والمظهر يسفر عن حادث سعيد ..
انك في نظرى لست اعظم النساء جاذبية فحسب ، بل انت اعز واغلى
خيال قدسى .. بل انك اكثر من طيف او خيال اهيم به في الحلم ، انك
الوثن الذى اعبدته .. فاذا ارتكبت خطيئة من وحي الفباء قلت لنفسى :
« يا الهى ! ماذا تقول لو انها علمت ؟ » .. ولو اننى قمت بعمل طيب قلت
لنفسى : « هذا عمل يقربنى منها .. روحيا ! »

.. وظلت هذه الخطابات المستترة ترى خمس سنوات .. ومن
العسير ان يصدق احد ان مدام ساباتييه لم تظن طوال تلك المدة الى ان
مرسلها هو « بودلير » ! .. برغم ان مجلة « ريفى ديه دو موند » نشرت في يونيو
سنة ١٨٥٥ ثلاثا من تلك القصائد التى ارسلها اليها .. وبرغم ان شقيقتها
الصغرى سألته يوما عما اذا كان لا يزال مقيما على حب اختها ، ولا يزال يبعث

لها تلك «الخطابات الغرامية الرفيعة» ؟ .. وقد أسفر بودلير في خطابه بعد هذا اللقاء عن شخصيته !

أشدوذ جنسى ؟

والتقيا .. وكانت «مدام ساباتييه» قد راضت نفسها على ان تستسلم له في هذا اللقاء ، فما ان دعت الى الفراش حتى ارتاع واضطرب .. وكتب لها في ٣١ اغسطس سنة ١٨٥٧ يقول : «كنت حتى ايام قلائل شخصية قدسية ذات جلال ، وجمال ، ومناعة .. ولكنك الان امرأة .. اننى ارهب الشهوة لاننى اعرفها بكل ما فيها من عار وفضيحة .. والطيف الحبيب الذى سيطر على كل خيالى ، اصبح شديد الفواية » !

ومن العسير ان يصدق المرء ان «بودلير» رأى الفواية ثم اعرض عنها ! .. اللهم الا اذا كان اعراضه نتيجة شدوذ جنسى .. او لعله كان يطمع فى ان تهبه اكثر مما تهب اية غانية لاي رجل يروق لها .. ثم لا ينبغي ان ننسى انه كان لا يزال يرزح تحت سلطان «جان ديفال» حتى لقد كتبت له «مدام ساباتييه» تقول انها اذ رآته يتفادى عناقها ، أحست بان «شبح المرأة الاخرى ذات الوجه الاسود يقف بيننا» !

وهذا يدعونا الى التوسع قليلا فى الكشف عن علاقة «الشاعر» بـ «المرأة» .. فلقد كانت «جان ديفال» ترضى «بودلير» الرجل و«بودلير» الشاعر فى وقت واحد .. ترضى جسده وروحه .. ومن ثم تاق الى التجديد عندما سنحت له الفرصة ، فشاء فى علاقته بـ مدام ساباتييه ان يجرب الحب الافلاطونى الخالص .. ان يتخذها معبودا لا يمسه .. ومن هنا ندرك سر الخطابات المستترة التى كان يرسلها اليها .. ومن هنا ايضا ندرك سر خطاب ٣١ اغسطس .. ولقد تبادلوا بعد ذلك الرسائل ، وحاولت «مدام ساباتييه» ان تجدد المحاولة ثانية ، ولكنه ابى الا ان يكونا «صديقين حميمين» .. فحسب !

الحسناء ذات الشعر الذهبى

♦ كانت ذات الشعر الذهبى هى ثانية عشيقات بودلير فى الواقع ، فهى التى خلفت «جان ديفال» كخليلة له .. وكانت «مارى دوبرين» - وهو اسمها - ممثلة ظفرت بنجاح كبير حين قامت بالدور الاول فى مسرحية «الحسناء ذات الشعر الذهبى» فى سنة ١٨٤٧ .. سيما وان الدور

كان يلائمها فعلا ، اذ كانت فاتنة ، ذات شعر كأنه أسلاك الذهب .. كما أوتيت موهبة الالتقاء الواضح والنطق السليم ، مما جعل النقاد يطرونها أعظم الاطراء ..

وكانت « ماري » تميل الى صداقة الادباء والفنانين .. والغالب أن « بودلير » التقى بها للمرة الاولى فى « ستوديو » أحد أصدقائه الفنانين فى سنة ١٨٤٧ ، فأخذ يحاول التقرب اليها .. ولكنها مضت تصده ، وتتهرب من لقاءه .. ومن ثم كتب لها فى أواسط اكتوبر من ذلك العام خطابا ، سبق خطابه الاول الى مدام ساباتييه بسبعة أسابيع ، وقال فيه : « اننى أحبك يا ماري ، وهذه حقيقة لا مرية فيها .. ولكنه حب التقي لله .. ومن ثم فاياك أن تطلقى على هذه العبادة الغامضة اسما دنيويا من هذه الاسماء المعيبة .. فهى فتنة عفيفة تربط روحى بروحك .. بك يا ماري سأغدو قويا وعظيما .. سأخلدك كما خلد بترارك معبودته لورا .. فكونى ملاكى الحارس ، وكونى مرشدى وكونى عذرائى .. وقودينى الى طريق الجمال »

وقد ألهمته العبارات الاخيرة فيما بعد قصيدة « ماذا تراك ستقولين الليلة ؟ » .. وقصيدة « المشعل » .. ولعل من الطريف أن نذكر أنهما كانتا بين القصائد التى أرسلها الى « مدام ساباتييه » أيضا فى سنة ١٨٥٤ .. وهى ظاهرة ان دلت على شئ فانما تدل على أن « ماري » أخفقت فى أن تكون « ملاكه الحارس » ، وأن تتيح له الحب العذرى ، ولذا أرسل القصيدتين الى امرأة سواها ، رغم انه نظمهما من وحيها .. أرسلهما الى امرأة رأى فيها بديلة عوضا عنها .. فوجه حبه « العذرى » الى مدام ساباتييه ، وحول سعيه وراء « ماري » الى اتجاه آخر : محاولة اقناعها بأن تصبح خليلته ..

وفى سنة ١٨٥٥ وفق « بودلير » . . وعاشت « ماري » معه
عندما كانت « جان ديفال » فى المستشفى . . ثم هجرته ، ولكنه
لم يقطع اتصاله بها ، بل كان يتوسط لها لدى مديرى المسارح
كلما تعطلت . . وفى سنة ١٨٥٦ ، عادت اليه ثانية ، ولكن . .
لتملاً الفراغ الذى كان بين انفصاله النهائى عن « جان » ،
واتصاله بمدام « ساباتييه » . . فلما هجرته لترحل مع عشيق
آخر الى « نيس » ، لم يتردد فى أن يكون حازماً ، فيقطع
علاقته بها . .

وهكذا كانت عشيقات « بودلير » يمثلن ثلاثة ألوان من
العاطفة تمثل : الحب الذى يجمع بين الشعاعية والجنس . .
والحب العذرى الخالص . . والحب الجنى الخالص . .

تفتيش مشروعات رى غرب الدلتا بدمنهـور اعلان مناقصة

تقبل عطاءات بمكتب التفتيش	الشروط والمواصفات بعد تقديم
لغاية الساعة الثانية عشرة من ظهر	طلب على ورقة دمغة من فئة
يوم الاثنين ٣ مايو سنة ١٩٥٤	الخمس مليمات ودفع مبلغ ١٥.
عن عملية انشاء تحويلة مؤقتة	مليما يضاف اليه ١٥. مليمات
لخط سكة حديد الدلتا والطريق	للارسال بالبريد
الزراعى دمنهور - ادفينا بموقع	وعلى المقاولين الاطلاع على
كوبرى افلاحة لسكة حديد الدلتا	رسومات هذه العملية فى اوقات
على تحويلة ترعة الخندق الشرقى	العمل الرسمية ولا يلتفت لاي عطاء
كيلو ٣٦٩٠٠ بيندر دمنهور	غير مصحوب بتأمين مؤقت كامل
بمديرية البحيرة .	قدره ٢ فى المائة من قيمته
ويمكن الحصول على دفتر	٧٤٩٢

عزيزى القارىء...
قدمت لك فى هذا الباب فى الامداد
الماضية المسرحيات العالمية الآتية :

خطايا الحب : لاوسكار وايلد
الحب الآثم : تولستوى
نزاهة الحكم : جوجول
سلاح المرأة : اريستوفان
فولبون : بن جونسون
جيو كندا : دانونزى
كلام الناس : جوزيه اشيجاراي
مدرسة الفضائح : شريدان
سيرانو دى برجرالك : رويستون
لعبة الحب والموت : رومان رولان
مروحة اللىدى وندرمير :
اوسكار وايلد
فاوست : جيته

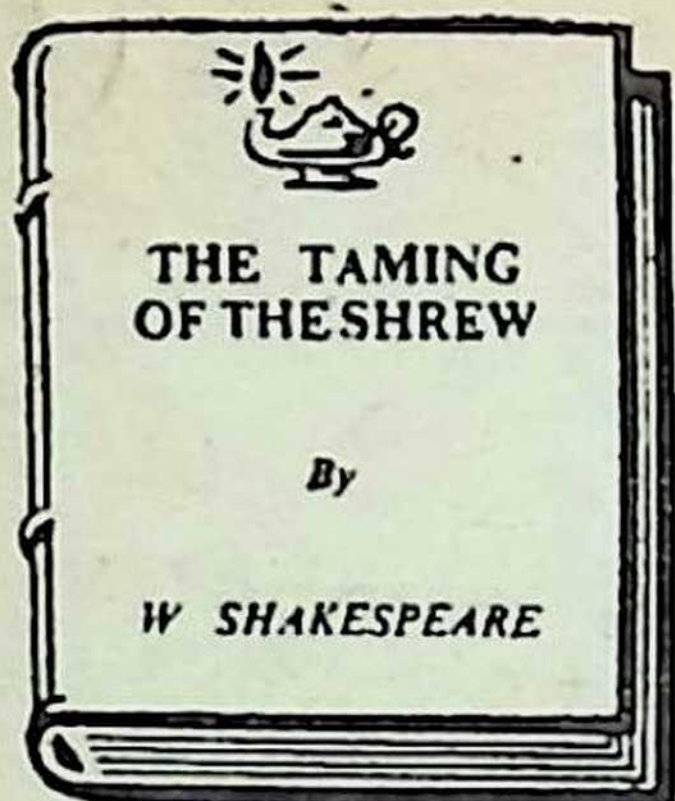
اوديب الملك : سوفوكل
فى سبيل الحب : جون درايدن
وليم تل : شيلر
الام : مكسيم جوركى
الملك يلهو : فيكتور هوغو
الديحة اندريه اوييه
الجنس الآلى : كاريل كابيك
الابن الاكبر : جالزورثى
هرنانى : فيكتور هوغو

واليوم اقدم لك فيما يل هذه
الكوميديا الخفيفة من مسرحيات
شكسبير « ترويض النمرة » .

عندما ترفع
الستار...



روائع
المسرح
العالمى
(تمثيلية... والغنائية)



ترويض
الغفوة

کومیدیا تمثلیہ
لشکسپیئر



هذه المسرحية

◆ ليس أدل على براعة « شكسبير » من أن مسرحياته لا تزال صالحة لهذا العصر رغم مرور أكثر من ثلاثة قرون ونصف القرن على تأليفها .. وقد يكون هذا معقولا بالنسبة الى المسرحيات التي كان خياله فيها يتجاوز نطاق الواقع ويستعين بالقوى الخفية والسحر والجن في تسيير أحداثها ، فان القصص ذا القالب الخرافي لا يتقيد بمكان ولا بزمان .. وقد يكون هذا معقولا أيضا بالنسبة الى المسرحيات ذات الطابع التاريخي ، فان أحداث التاريخ هي مهمما توالى العصور والاجيال ..

اما في موضوع اجتماعي ، فهنا مظهر العبقرية .. والكوميديا التي نلخصها في هذا الشهر من النوع الاخير .. انها تتناول موضوعا يصلح لكل عهد وزمن .. موضوع ترويض المرأة المتمردة ، الجامعة .. واطرف من الموضوع اسلوب العرض ، الذي سبق به « شكسبير » مخرجي المسرح والسينما في عصرنا هذا !

شخصيات الرواية

BAPTISTA	بابتيسستا : ثرى من اهل مدينة (بادوا)
KATHARINA	كاترينا : ابنته الكبرى
BIANCA	بيانكا : ابنته الصغرى
VINCENTIO	فنتشنتيو : كهل مسن من اهل بلدة (بيزا)
LUCENTIO	لوتشنتيو : ابنه
PETRUCHIO	بتروكيو : شاب من اهل (فيرونا)
GREMIO	جريميو ، وهورتنسيو : شابان يخطبان ود « بيانكا » }
HORTENSIO	

مقدمة الرواية

◆ يفرط « كريستوفر سلاي » فى الشراب فى حانة خلوية ، حتى يفقد الوعي .. ويصادف ان يكون أحد اللوردات عائدا من الصيد ، فيعثر عليه نائما على الحشائش فى ساحة الحانة ، واذا ذاك يأمر خدمه بأن يحملوه الى

القصر ، فيسلموه الى فراش وثير ، ويلفوه فى افخم الثياب .. حتى اذا افاق ، سعى اليه غلام جميل من الخدم متنكرا فى زى امرأة توهمه بانها زوجته ، وتوحى اليه بأنه كان من كبار اللوردات ذوى الجاه ثم أصيب بلون من الخبل ، وترحب بعودته الى عقله .. وتقام بهذه المناسبة مأدبة فخمة حافلة بالوان الشراب ، يتقرب اليه فيها نفر من الممثلين الذين كانوا ينزلون ضيوفا فى قصر اللورد ..

وينفذ خدم اللورد هذه الخطة ببراعة .. فما ان يفيق الثمل الى نفسه حتى يهتف طالبا بعض البيرة ، واذا بخادم يقول له : « هل لسيادتكم فى كأس من النبيذ الابيض المعتق ؟ » .. ويضيف خادم ثان : « ألا تفضلوا بتذوق هذه الحلوى المسكرة ؟ » .. ويسأله ثالث . « أى الثياب ترتدون اليوم يا صاحب المجد ؟ »

ويبهت « سلاى » فيقول : « اننى ادعى كريستوفر سلاى ، فلا تقولوا يا « صاحب المجد » أو يا « صاحب السيادة » .. أما النبيذ الابيض فلم أذقه فى حياتى .. ولا تسألونى عن أى الثياب أرتدى ، فليست أملك ثيابا سوى خرق بالية ، وحذاءين تطل أصابعى منهما .. »
وهنا يتدخل اللورد - صاحب القصر - متنكرا فى زى خادم ، فيقول ممعنا فى الدعابة : « رحماك الله من هذه الفكاهة التى تمس مكانتك .. ومن الروح الخبيثة التى توحى لسيد مثلك ان يتواضع بهذا القدر وينكر على نفسه كل هذه الممتلكات ! »

- ماذا ! .. أترانى مجنونا ؟ .. الست كريستوفر سلاى ، بن سلاى ، من مروج « بيرتون » ؟ الست بحكم مولدى بانعا متجولا ، وبحكم تعليمى صانعا لورق اللعب ، وبحكم التطور راعيا للديبة ، وبحكم مهنتى الحاليلة سمكريا ؟

- بل أنت لورد ، ولا شئ سوى لورد .. وقد أوتيت زوجة أجمل من أية امرأة فى هذا العصر !

ويعجب « سلاى » ، ويتساءل : « أنا لورد ؟ ولى مثل هذه الزوجة ؟ أم اننى أحلم الآن ؟ اننى لست نائما .. فانا أسمع ، وأرى ، وأتكلم ، وأشم روائح جميلة ، وأحس بأشياء ناعمة .. لعمرى اننى « لورد » حقا ، ولست سمكريا ! .. لست كريستوفر سلاى .. حسنا ، فلتحضروا السيدة أمام بصرى .. ومرة أخرى الى بكأس من البيرة ! »

ولا يلبث ان يفد خادم ينبئ المولى بأن ممثلى « سيادته » فى انتظار اذنه ليمثلوا أمامه مسرحية مضحكة ، عملا بنصح أطبائه ..

سلای : حسنا ، سوف نرى .. تعالى يا زوجتى فاجلسى بجوارى ..
ودعى الدنيا تراصل سيرها .. فلن نحس بشبابنا يوما قدر ما نحس الآن ..
ثم تيبط الستار ، لترفع من جديد بعد حين عن الفصل الاول ..
الفصل الاول من الكوميديا التى تمثلها الفرقة لصاحبنا « السمكرى » المحظوظ ..
(وهى طريقة بارعة فى الاحراج والعرض ، يكثر من اتباعها رجال السينما فى ايامنا هذه ، دون أن يخطر ببالهم أن شكسبير سبقهم اليها حوالى عام ١٥٩٧ !

الفصل الاول

♦ وترفع الستار عن الفصل الاول من « الكوميديا » التى أقدم الممثلون على أدائها أمام « اللورد » الزائف .. فاذا نحن نرى « لوتشنتيو » - وهو الابن الاوحد لاحد أعيان مدينة « بيزا » الايطالية - وقد أوفده أبوه برفقة خادمه الامين « ترانيو » الى مدينة « بادوا » (كعبة الفنون فى ذلك العصر) ليصيب من فنونها ويتفقه ..

وفيما هما يجلسان فى أحد الاماكن العامة ، يتدبران أمر اتخاذ مسكن لائق للشباب وأصدقائه وضيوفه، اذا بهما يسمعان « بابتيسا » - وهو أحد ثروة المدينة - يتحدث الى الشابين « جريميو » و « هورتنسيو » اللذين كانا يلحان عليه ويلحفان ، متنافسين على الفوز بيد ابنته الحسناء « بيانكا » - وكانت تجلس بينهم مع أختها الكبرى « كاتارينا » - ولكن الاب يصر فى حزم على أنه لا يمكن أن يبت فى خطوبة لبيانكا ما لم تخطب أختها الكبرى كاتارينا أولا .. ومن ثم فهو يدعو الشابين الى أن يسعيا للتقرب الى هذه .. فتسائل الفتاة الكبرى أباهما فى لهجة فظة كيف يمتهن كرامتها بأن يعرضها على طلاب الزواج عرضا ؟

واذ يحتج « هورتنسيو » - أحد الشابين - على لهجتهما السليطة ، تجيبه بأنه لا يستحق أى اهتمام من فتاة ، « وانما أقصى ما ترجوه أنت من المرأة أن تمشط لك « البصلة »

— (صلعتك) — بكرسى ذى ثلاث أرجل ٠٠ وأن تلتطخ وجهك بالاصباغ وتتخذ منك مسخا !

ويقول الخادم « ترانيو » لمولاه الشاب لوتشنتيو ، وهما يرقبان الجماعة : « هاك يا مولاي ملهاة تشغل الوقت ٠٠ فهذه الفتاة الجريئة اما مفرطة الجنون ، واما رعناء مشاكسة ! » ٠٠ ولكن « لوتشنتيو » يعجب بالفتاة الصغرى « بيانكا » الصامته ، الرزينة ، ويقع فى شرك حبها ! ٠٠ واذ يسمع أن أباهما يبحث عن مدرسين لتثقيف ابنتيه ، يعقد عزمه على أن يتبادل الثياب مع خادمه ، وأن يتقدم الى الاب على أنه مدرس للشعر !

وفى تلك الاثناء ، ينهمك الشابان « جريميو » و « هورتنسيو » فى البحث عن ثالث يوقعاه فى هوى « كاتارينا » ليخلو لهما السبيل الى التنافس الشريف على حب « بيانكا » ٠٠ واذا الصدف تسوق اليهما « بتروكيو » ، صديق هورتنسيو وأحد ثروة مدينة « فيرونا » ، وكان أبوه قد توفى وأورثه ماله فغادر موطنه ليشاهد العالم ، ويبحث عن زوجة ٠٠

وينبئه « هورتنسيو » بأنه يعرف فتاة غنية ، بل مفرطة الثراء ، ولكنها شرسة وفى حاجة الى ترويض ، ولذا فانه يربأ بنفسه أن يرشحها له . ولكن الفتى الوارث يستهويه ذكر ثراء « كاتارينا » ، ويذكر انه يعرف أباهما اذ كان صديقا لابييه المتوفى ٠٠ ويقول لمحدثه : « لن أنام يا هورتنسيو حتى أراها ! » ٠٠ فيصحبه هذا الى دار أبيها ، بعد أن يشترط عليه أن يسمح له بأن يتنكر فى زى مدرس يتقدم عارضا خدماته لتعليم بيانكا الموسيقى ، حتى يخلو له الجو فيتقرب اليها !

وفى تلك الاثناء ، يكون « لوتشنتيو » — الذى تنكر منتحلا شخصية مدرس للشعر — قد كسب ود « جريميو » وأقنعه بأن يقدمه الى الاب كى يستأجره لتعليم بيانكا ، على أن يساعده فى التقرب الى الفتاة !

وهكذا يلتقى الاربعة . . . لوتشنتيو وجريميو وبتروكيو وهورتنسيو . . . وما أن يعلم الاولان بعزم ثالثهما الشاب الوارث على الزواج من كاتارينا حتى يسأله جريميو :
- أو تراك قادرا على كسب ود هذه المتنمرة ؟
فيجيب الشاب بأنه قد صاد الاسود وركب أخطار البحر وخاض معارك الحرب ، فكيف ينتظر منه بعد ذلك أن يرهب لسان امرأة ؟

الفصل الثانى

♦ **فاذا** كان الفصل الثانى رأينا الستار ترفع عن غرفة فى بيت والد الفتاتين ، وقد ضربت كاتارينا أختها بيانكا ، فيتدخل أبوهما مبديا اشفاقه على المظلومة التى كانت تبكى ، ويرمى المعتدية بأنها تضم بين جوانحها روحا شريرة . . . وتصيح كاتارينا بأنها أخيرا أدركت أن أباهما يؤثر عليها أختها ، ويغدق عليها حبه دونها !
ويقبل اذ ذاك الشبان الاربعة : « جريميو » يصحب « لوتشنتيو » فى ثياب متواضعة لمدرس شعر . . . وبتروكيو يصحب هورتنسيو وقد تنكر زاعما أنه مدرس موسيقى . . . ويفد أيضا « ترانيو » وقد تزيى بزي « لوتشنتيو » وانتحل شخصيته . . .

ويبادر « بتروكيو » رب الدار قائلا : « خبرنى . . . أليست لك ابنة تدعى كاتارينا ، جميلة وصالحة عفيفة ؟
واذ يرد الاب بالاجاب ، يقول الشاب : « اننى سيد من فيرونا يا سيدى ، سمعت عن جمالها وذكائها ، وعن لطفها وتواضعها وحيائها . . . فجرأت على أن أستغل كرمك ، وأنزل فى ضيافتك ، لأشهد بعينى ما سمعت أذنائى . . . وانى لأهبك - كهدية للتعارف - رجلا من أتباعى (يشير الى « هورتنسيو »)

برع فى الموسيقى والعلوم الرياضية ، كى يفقهها فى هذه العلوم
 .. ومع اننى أدرك أنها ليست بالجاهلة ، الا أننى أرجو أن
 تتقبله والا عدتها اهانة » ..

— على الرحب والسعة يا سيدى بك ، وبه من أجلك .. أما
 ابنتى كاتارينا فانى أعلم أنها لا تليق لك ، وهذا مما يزيد من
 أساى ..

وفى تلك الاثناء يتقدم « جريميو » الى الاب فيقدم اليه
 « لوتشنتيو » على أنه الشاعر « كامبيو » الذى درس حتى أجاد
 اللغة اليونانية ، وحذق اللاتينية وبعض اللغات الاخرى !
 كما يتقدم الخادم « ترانيو » متنكرا فى زى سيده « لوتشنتيو »
 فيطلب بدوره يد « بيانكا » .. ويرحب الاب به باعتبار أنه
 ابن صديقه « فنتشنتيو » .. ويقبل خطوبة « بتروكيو »
 لكاتارينا ، ويتفقان على كافة الامور .. غير أنه يشترط عليه
 أن يكتسب حب كاتارينا كشرط أساسى للزواج ، فيقول
 بتروكيو :

— حيثما التقت ناران فانهما تأتيان على الشئ الذى يغذى
 وقدتهما .. واذا كانت النار الصغيرة تذكىها النسمات ، فان
 الهواء العاتى يقضى على النار قضاء مبرما ..

ويشرع « هورتنسيو » فى تعليم « كاتارينا » الموسيقى ،
 فلا تتورع فى الدرس الاول عن أن تحطم القيثارة على رأسه !
 .. ويكون تعليق « بتروكيو » على ذلك أن هذا العمل منها انما
 زاد حبه لها عشر مرات ! .. ويسأل أباهما أن يدعوها اليه ،
 وهو يعتزم أن يتقرب اليها بأحلى العبارات المعسولة ، كأن يقول
 لها أن شدوها أحلى من تغاريد البابل .. واذا عبست ، فلن
 يتورع عن أن يزعم لها أنها أصفى ما تكون .. ولو طردته ،
 فسيقابل ذلك بالشكر وكأنها تدعوه لكى يطيل اقامته !
 وتنفذ « كاتارينا » فيبادرها بسيل من عبارات الاطراء الناعمة
 المعسولة ، يختتمها عارضا عليها الزواج ، ولكنها تجيبه

بلسانها المقذع السليط .. ويروح يحاورها فتصفعه وهي تقول : « دعنى أمضى .. »

فيجيبها : « لن يكون ذلك .. اننى أراك فى منتهى اللطف .. لقد قيل لى عنك أنك خشنه ، سليطة ، نافرة عنيدة ، ولكنى وجدت ما قيل كذبا .. فأنت أنيسة ، كريمة ، سلسة .. »
 .. ويمضى يفسر لها احجامها عن الكلام على أنه بطء فى اللفظ !
 ويزعم لها أنها لا تعرف العبوس مهما حاولته ، وأن ما قيل له عن أن بها عرجا ليس سوى دليل على كذب أهل الدنيا وبذاءتهم ، فما هذا عرج ، ولكنها تسير كما يحجل الغزال ! .. وتسائله الفتاة : « أين تعلمت هذه اللباقة ؟ »

فيجيبها : « انما هى انعكاس لذكاء أمى .. ثم يضيف ان أباه قد وافق على أن يزوجه اياها .. ويسـتـطرد قائلاً : « وسأجعل من « كاتارينا » الشرسة كاترينا أليفة كآية ربة بيت ! .. ها هوذا أبوك قادم فلا تعربى عن رفض ، فانى قد عقدت العزم على أن تكون كاتارين زوجة لى .. ولسوف تكون ! »
 ويدخل الاب المكان ، فتقول الفتاة له : « أى حنان أبوى أظهرته اذ رغبت فى أن تزوجنى من شبه معتوه ! ؟ »

فينبرى « بتروكيو » قائلاً لأبيها : « هاك جلية الامر يا أبى : انك وجميع الناس قد تكلمتم عنها بغير الحق .. أما أنا فقد استطعت أن أفهمها ، وسرعان ما انسجمنا وتلاءمنا لدرجة تجعلنا نحدد يوم الاحد موعدا للزفاف !

فتقول كاترينا : « لئن أراك مشنوقا يوم الاحد ، أيسر عندى من ان أرانى عروسا لك ! »

بتروكيو : يا لك من محبة للدعابة .. أقول لكم انكم لن تتصوروا مبلغ حبها لى ، « كيت » اللطيفة الحنون ، أرق نساء الارض جميعا ! لقد تعلقت برقبتى وراحت تمطرنى بالقبلة تلو القبلة .. وتقسم محتجة ، اليمين بعد اليمين ، اننى قد ظفرت

بحبها الابدى .. أعطيني يدك يا كيت : أعاهدك أن أسافر توا
الى فينيسيا لأعد ما يلزم ليوم الزفاف !
ويبارك الاب هذا القرار .. ولا يلبث « ترانيو » - منتحلا
شخصية « لوتشنتيو » - أن يسحر الاب بحديثه عن ثراء أبيه
« فنتشنتيو » ، حتى يتغلب على « جريميو » فيزيحه عن طريق
« بيانكا » .. وبذلك يخلو له الجو !

الفصل الثالث

◆ ويحين يوم الزفاف ، ولكن « بتروكيو » يتأخر فى
الحضور الى دار « بابتيسا » ، فاذا الرجل قلق ، مضطرب ،
يتحدث عن العار الذى سوف يلحق بأسرته ، ولكن « كاتارينا »
تقول :

- انما العار عارى وحدى ، فلسوف تشير الدنيا كلها الى
« كاتارينا » المسكينة وتقول : « ها هى ذى عروس «بتروكيو»
المجنون .. تنتظره ليتزوجها حين يحلو له ! »
ويظهر « بتروكيو » أخيرا ، مرتديا قبعة جديدة ، وعباءة
قديمة ، وثوبا لركوب الخيل أصابه البلى .. وفى قدميه ،
حذاءان متباينان ، أحدهما له رباط ، والآخر له حزام .. وقد
تمنطق بسيف علاه الصدا ، وبدا جواده مغبرا هزيلا مثله ..
ويهتف بابتيسا : « ما هذا يا سيدى .. انك لتعرف انه
يوم زفافك ! » .. ويهيب به « ترانيو » وهو فى شخصية
« لوتشنتيو » : « لا تلق عروسك بهذه الثياب المزرية .. اذهب
الى حجرتى ، وانتق من ثيابى ما يناسبك »
ولكن الشاب الثرى يقول : « لست أنا الذى يفعل ذلك ،
ولن ألقاها الا على هذه الحال .. انها ستزف الى وليس الى
ثيابى ! »

وفى الكنيسة يهين « بتروكيو » القس ! .. وما أن تنتهى مراسم الاكليل حتى يأمر بالخمير أن تقدم ، ويقبل عروسه قبله يتردد صوته فى أرجاء الكنيسة .. ويروح يسب ويصخب .. حتى اذا عاد الى دار حميه مع عروسه ، أبى أن يبقى حتى تنتهى وليمة العرس ، بل نراه يصر على الرحيل ، فتقول كاتارينا : « افعل ما شئت فلست براحلة اليوم .. أيها السادة ، هيا الى المائدة .. فانى أعتقد أن الزوجة التى لا تملك قوة المقاومة خليقة بأن تعتبر غبية حمقاء ! »

ويهتف « بتروكيو » : « أطيعوا العروس وهيا الى المائدة ، وكلوا واشربوا ، وتحرروا من قيود العقل وامرحوا .. وان شئتم فاشنقوا أنفسكم .. أما جميلتى « كيت » فستصحبنى .. لا ، لا تحملقوا ، ولا تدق الأرض بقدمك .. سأبسط سيادتى على ما هو لى .. انها كل ما أملك .. انها بيتى ، وحقلى ، وصومعة غلالى ، وجوادى ، وثورى ، وبغلى ، وكل شىء لى .. وانها لتقف أمامكم ، فليجرؤ أحدكم على أن يلمسها ..

سأنزل نقيمتى على من يجرؤ على أن يعترض طريقى فى « بادوا » .. لا تخافى يا صغيرتى ، فلن يمسك أحد .. وانى لكفيل بأن أذود عنك مليوناً من الناس ! » وينصرف بها .. بينما يلتفت « جريميو » الى « بيانكا » فتقول له : « ان كيت مجنونة .. ومروضها أكثر جنونا ! »



فليجرؤ أحدكم ان يلمسها ..

الفصل الرابع

◆ ونبقى فى (بادوا) لنشهد « بيانكا » وقد استمرت دراسة الشعر على « لوتشنتيو » ، ففضلته على « هورتنسيو » وقربته اليها . . بينما يعمل « ترانيو » على أن يصرف الاخير عن السعى لنيل الفتاة ، ويحبذ له الزواج من أرملة غنية ! أما بتروكيو وكاتارينا ، فلا يلبثان بعد رحلة أليمة أن يبلغا دار « بتروكيو » الريفية ، ومنذ أن يهبطا بها لا يكف العريس عن الصخب والصياح فى خدمه . . حتى اذا أعدوا مأدبة العشاء ، لم يحجم عن أن يرميهم باللحوم قائلا انهم أحرقوها . . متعمدا أن يبدو فظا ، عنيفا ، شرسا ، حتى لا يدع لكاتارينا فرصة تبدى فيها روحها المتمردة !

واذ يؤوبا الى مخدعهما ، يلاحظ خطأ فى اعداد الفراش فيدع كاتارينا جالسة طيلة الليل على مقعد ، اذ يأبى أن تنام عروسه فى فراش لم يعن باعداده ! . . وهكذا ، يشرع فى ترويضها . . فلا يدع لها سبيلا الى النوم ، اذ يروح يعدد أخطاءها ويحاسبها عليها . . ويحبس عنها الطعام ، فتتوسل الى « جريميو » - وهو لا يزال منتحلا دور تابع له - شاكية مر الشكوى من أن « بتروكيو » يزداد غلظة كلما اكتشف خطأ لها ، وتقول : - أترأه تزوجنى ليميتنى جوعا ؟ . . ان المتسولين كانوا اذا جاءوا الى باب أبى يسألون احسانا ، لا يردون خائبين . . ولكننى قط لم أتعود أن أتوسل . . اننى أوشك أن أموت جوعا ، ولا أكاد أقوى على الاحتفاظ بتوازنى لفرط حاجتى الى النوم ، اذ يستبقينى بشتائمه مسهدة ، وكأنه بالشجار يغذينى ، ويشيرنى أكثر من كل شىء آخر . . انه يفعل ذلك باسم الحب الصادق !

وأخيرا ، يسمح « بتروكيو » لها بأن تنا لقسطا ضئيلا من الطعام ، ويأخذ في الحديث عن العودة الى (بادوا) والنزول في دار حميه .. ويدعو حائكا وبائع « خردوات » ليعرضا عليه ما طلب اعداده من ثياب وزينة لزوجته في رحلتها المقبلة ولكنه لا يكف عن انتقاد كل ما يعرضان : يريه التاجر قبعة فيقول انها صغيرة ويطلب أخرى كبيرة ، فاذا ذكرت كاتارينا أن صغر حجمها من ميزات تطور الزى « المودة » قال لها أمام الحائك والتاجر ، ان « المودة » للمهذبات ولن تكون لها قبعة صغيرة الى أن تصبح مهذبة !

ويتحول الى الحائك فيوسع الثوب الذي أعده لكاتارينا انتقادا ، ويصيح فيه : « أى اسم شيطاني تطلقه على هذا الشيء ؟ »

ويقول الرجل : « ولكنك أوصيتنى بأن أعد الثوب وفقا

للزى الشائع فى هذه الايام »
وتقول كاتارينا : « لم أر ثوبا يفوق هذا حسنا وتفصيلا .. أتريد أن تجعلنى مسخا ؟ »
وفى خبث ، يتعمد « بتروكيو » أن يأخذ كلامها على أنه موجه الى الحائك فيقول : « حقا .. انه يريد أن يجعلك مسخا .. أغرب أيها الوغد ! »

ويتحول بعد ذلك الى كاتارينا قائلا : « سنذهب الى أبيك يا كيتى ، ولو فى هذه الثياب المتواضعة .. فان بدت ثيابنا



أى اسم شيطاني تطلقه على هذا « الشيء ؟ »

فقيرة المظهر، الا أن أكياسنا ستنتفخ زهوا بما يملؤها من مال ..
كما أن العقل هو الذى يضيف على الجسد ثروة .. والشرف
يطفى على كل ضعة !

وفى تلك الاثناء يكون « ترانيو » قد عثر فى (بادوا) على
غريب أقنعه بأن ينتحل شخصية « فنتشنتيو » - والد
« لوتشنتيو » - وأن يقر التدبيرات التى اتخذها « ترانيو »
- منتحلا شخصية سيده - ويقنع بابتيستا بالموافقة على زواج
ابنته « بيانكا » من « لوتشنتيو » !

الفصل الخامس

♦ أما وقد وافق بابتيستا على زواج ابنته الصغرى ،
فان « لوتشنتيو » - الحقيقى ، لا خادمه - يبادر الى عقد قرانه
عليها فى الخفاء .. ولا يلبث أن يصل الى « بادوا » أبوه
- فنتشنتيو الحقيقى - فما أن يرى « ترانيو » فى ثياب ابنه
منتحلا شخصيته ، حتى يتملكه الجزع ، ويخال أن ابنه قد
اغتيل غدرا ..

واذ يتأزم الموقف ، يضطر « لوتشنتيو » الى الظهور
والاعتراف بكل ما حدث ، فيغفر له أبوه ويغفر بابتيستا لابنته
« بيانكا » ويباركان زواجهما ..

ويصل « بتروكيو » مع « كاتارينا » التى أظهرت خلال
الرحلة كل خضوع وطاعة لزوجها ، بل وأصبحت تحبه !
ويدعى الزوجان ، و « هورتنسيو » وزوجته الارملة الثرية ،
الى مأدبة فى دار « لوتشنتيو » و « بيانكا » .. وما أن يفرغ
الجميع من تناول الطعام ، وترفع المائدة ، حتى تجتمع
السيدات فى حجرة ، ويخلو الجو للرجال .. ومن الطبيعى
أن يحاول القوم أن يتعرفوا مدى ما كان من أمر « بتروكيو »
مع كاتارينا الشرسة الجامحة .. ولا يكاد أحد أن يصدق

الشباب وهو يؤكد في اعتداد انه قد أفلح في أن يروض زوجته ويجعلها أليفة ذلولا !! ويتحداهم - وهو واثق من فوزه - أن يقارنوا بين طاعة كاتارينا له ، وطاعة كل من بيانكا والارملة الغنية لزوجيهما !! ويصدع لاقتراح من « لوتشنتيو » فيقدم مائة « كراون » - وهو نوع من العملة - لمن يثبت أن زوجته أكثر طاعة من كاتارينا !

ويدعو الأزواج الثلاثة زوجاتهم - فلا تحفل بيانكا والارملة بتلبية الدعوة ، بينما تخف كاتارينا الى حيث جلس الرجال ، وتقول لبتروكيو : « هل تبغى منى شيئا يا سيدى ؟ » فيجيبها متسائلا : « أين أختك وزوجة هورتنسيو ؟ » - انهما تتجاذبان أطراف الحديث الى جانب مدفأة قاعة الجلوس ..

- اذهبي فادعيهما ، فان أبتا الحضور ، فادفعيهما دفعا الى زوجيهما !

وتخرج كاتارينا ، ثم لا تلبث أن تعود مصطحبة بيانكا وزوجة هورتنسيو .. واذ ذاك يقول لها « بتروكيو » مشيرا الى القبة الواسعة التي كان قد اضطرها الى ارتدائها : « هذه القبة لم تعد تلائمك يا كاتارين ، فاخلعيها وألقى بها تحت قدمك » وتصدع كاتارينا لرغبته ، فتهتف زوجة هورتنسيو : « جنبني يا الهى أى سبب يدفع بى الى مثل هذا المسلك ! » وتقول « بيانكا » : « هراء !! أى غباء هذا الذى تزعمونه واجبا ؟ » .. فيقول « لوتشنتيو » : « وددت لو كان لك هذا الغباء فى ادراك الواجب ، فان حكمتك يا « بيانكا » قد كلفتني مائة « كراون » مذ فرغنا من العشاء !

- وهذا دليل جديد على الغباء .. اذ كيف تراهن على فهمي للواجب ؟

فيلتفت « بتروكيو » الى « كاتارينا » قائلا : « اننى أعهد اليك يا كاتارينا بأن تخبرى هاتين العنيدتين بما تدينان به من

واجب نحو سيديهما وزوجيهما «

فتقول زوجة هورتنسيو : « مهلا .. لسنا بحاجة الى ارشاد »
 .. ولكن « كاتارينا » تقول : « حلى عقدة هذا الجبين العابس ،
 ولا تبعثي من عينيك نظرات الازدراء التى تجرح مولاك وملكك
 وحاكمك .. انها تفسد جمالك كما يتلف الصقيع البستان ..
 وتعصف بسمعتك كما تعصف الزوابع بالبراعم الرقيقة ..
 والمرأة المنفعلة لا يمكن أن تحتل أو تحب بحال من الاحوال
 .. فهى كبركة الماء اذا اضطرب ماؤها ، تبدت موحلة ، شوها
 المنظر ، عديمة الجمال !

« انما الزوج مولاك .. هو الذى يرعاك ويعنى بأن يعولك
 .. يعرض جسده للعمل الشاق ، فى البحر والبر على السواء
 .. يتأمل الليل وسط الزوابع ، والنهار فى البرد القارس ،
 بينما تنامين ناعمة بدفء بيتك ، آمنة سليمة .. دون أن يصبو
 الى جزاء منك ، اللهم الا الحب ، والوجه البشوش ، والطاعة
 .. الحقة ..

« اننى لأخجل اذ أرى النساء من الجهل بحيث يثرن الحرب
 حيث ينبغى أن يسجدن من أجل السلام .. أو يسعين ليكون
 لهن السلطان والسيطرة والكلمة العليا ، فى حين يحق عليهن
 أن يبذلن الخدمة ، والحب ، والطاعة .. لقد كان لى من الفكر
 ما يضارع فكر أى منكما كبيرا ، وكان قلبى فى سعة قلب أى
 منكما ، ولعلنى كنت أكثر منكما عقلا ، وأقدر على أن أرد الكلمة
 بكلمة ، والعبوس بعبوس .. ولكننى الآن أصبحت أرى أن
 حرايتنا ليست سوى أعواد من القش .. وان قوتنا ليست سوى
 ضعف يتجاوز كل وصف .. »

❖

◆ وهنا تنتهى المسرحية .. وتبقى المسرحية الاخرى ..
 الاطار الخارجى .. « دهليز » المسرحية ، أو المقدمة .. فنحن
 بعد لم ننس « سلاى » السكير الفقير الذى شاءت نزوة أحد

اللوردات أن تجعله « لوردا » لفترة وجيزة ، كى يتسلى برؤية ما يكون من تصرفاته !

ونحن قد تركناه قبيل الفصل الاول وهو يجلس الى جوار الحسناء التى زعموها زوجته ، يشهد المسرحية الفكهية التى تمثلها الفرقة التى يستضيفها اللورد ، دون أن يكون له فيها دور يذكر ، اللهم الا بعض تعليقات أخذ يدلى بها وهو لا يكف عن الشراب .. حتى يثمل ويفقد رشده ، واذ ذاك يأمر اللورد الحقيقى بأن يدثر بثيابه ، ثم يحمل الى البقعة التى التقط عندها .. وهناك يترك وهو يغط فى سباته حتى يوقظه الخمار

ويصحو « سلاى » فيهتف : « الى بمزيد من النبيذ .. هل ذهب جميع الممثلين ؟ »

ويفطن الى ثيابه وما حوله ، فيهتف : « ألسنت لوردا ؟ » فيصيح به الخمار : « تنبه .. أما زلت ثملا ؟ »

— من هذا ؟ .. الخمار ! .. أواه ، لقد غشيتنى الليلة حلم ما أظنك رأيت مثله طيلة حياتك ؟

— فليكن .. بيد أنه يحسن بك أن تسعى الى دارك ، فان زوجتك لن تغتفر لك ان قضيت ليلتك تحلم هنا !

فيصيح سلاى : « حقا ؟ .. اننى أعرف الآن كيف أروض الشرسة المتنمرة .. فقد قضيت الليل أحلم بذلك ، حتى أيقظتنى من خير حلم رأيته فى حياتى .. وسأطبقه على زوجتى فى الحال فأروضها هى الاخرى .. حتى اذا أغضبتنى .. »

— على رسلك يا « سلاى » .. سأصحبك الى البيت واسمع منك قصة حلم الليلة ..

ويخرجان .. وتسدل الستار

بنك مصر

شركة مساهمة مصرية

رقم المركز الرئيسى بالسجل التجارى ٢ - القاهرة

قرارات

الجمعية العمومية العادية لمساهمي بنك مصر
المنقذة بدار البنك في يوم السبت ٢٧ مارس سنة ١٩٥٤

قررت الجمعية العمومية بالاجماع ما يأتى :

أولا - التصديق على تقرير مجلس الادارة وعلى الميزانية والحسابات للسنة المنتهية في ٣١ ديسمبر سنة ١٩٥٣ واخلاء طرف أعضاء مجلس الادارة من كل ما يتعلق بادارتهم في السنة المذكورة .

ثانيا - الموافقة على توزيع الارباح كاقترح مجلس الادارة وصرف مبلغ خمسة وثمانين قرشا عن كل سهم - بدون استقطاع ضرائب - مقابل تقديم الكوبون رقم ٣١ مصحوبا بالسهم الى بنك مصر أو أحد فروع ابتداء من يوم الاثنين ٥ أبريل سنة ١٩٥٤ .

ثالثا - اعادة اختيار حضرات أعضاء مجلس الادارة الذين انتهت مدة عضويتهم وهم السادة : عبد المقصود احمد . و خليل الجزار . ومحمد أمين شبيب .

رابعا - اعادة انتخاب السيد محمود شكرى والسيد مراد وهبه عضوين بمجلس الادارة طبقا للمادة ٣٣ من القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٥٤ .

خامسا - اعتماد ضم السيد على اسلام والاستاذ محمد محمود جلال الى عضوية مجلس الادارة .

سادسا - الترخيص لمجلس الادارة بالتبرع في حدود المادة رقم ٤٠ من القانون رقم ١٦ لسنة ١٩٥٤ .

سابعا - اعادة تعيين السيد فؤاد احمد الصواف وجناب ف. ر. و رودز مراقبين للحسابات لسنة ١٩٥٤ وتحديد أتعابهما .

عزيزى القارىء . . .

قرأت معى فى الاعداد الماضية قصص :

- ♦ أموك : لستيفان زفايج
 - ♦ قلب عذراء: جون جالزورثى
 - ♦ مرتفعات وذرنيج: اميل برونتى
 - ♦ التلميذ : بول بورجيه
 - ♦ احبب نوتردام: فيكتور هوغو
 - ♦ جريمة حب : بول بورجيه
 - ♦ جين اير : شارلوت برونتى
 - ♦ ايام بومباى الاخيرة : ليتون
 - ♦ مانون ليسكو : الاب بريهو
 - ♦ حديقه الله: روبرت هتشنز
 - ♦ عندما تحقد المرأة : اونيه
 - ♦ آسيا : ايفان تورجنيف
 - ♦ كاس نمبرلين: سنكلير لويس
 - ♦ الشيطان على الارض: رسل
 - ♦ رساله من مجهولة : زفايج
 - ♦ الحب الاول : ترجنيف
 - ♦ تاييس : اناتول فرانس
 - ♦ بلاد العميان : ه.ج. ويلز
 - ♦ نادى الانتحار : ستيفنسون
 - ♦ كوخ العم توم : ستو
 - ♦ اروج والعشيق : موم
 - ♦ البوهيمية : هنرى مرجيه
 - ♦ فتاة لها ماض : بورجيه
- واليوم اقدم لك فيما يلى هذه
القصة الرائعة عن مأساة الزوجة الخاطئة !

الحياة قصص



روائع القصص العالمى



ستيفان زفنايج

تلخيص الاستاذ : سليم ابو سيف

♦ استولى على « ايرين » رعب مفاجيء وهى خارجة من منزل « عشيقها » ، واستبدت ببدنها رعدة قوية لم تدرك لها سببا !! .. بل لقد أحست وهى تنزل السلم ، بركبتها لا تقويان على حملها .. حتى لقد تحاملت على افريز السلم كى لا تسقط على الارض !

ولم تكن هذه أول مرة تأتى فيها « ايرين » للقاء عشيقها فى منزله ، ومع ذلك فقد تكرر احساسها بنفس هذا الشعور بالخوف الشديد ، فى كل مرة كانت تغادر فيها منزل العشيق ! ولم يكن يكتنف حضورها الى منزل هذا العشيق شئ من الصعوبة .. ففى كل مرة كانت تأتى فى عربة تقف بها بالقرب من المنزل ، فتهبط منها وتمضى مسرعة ، ثم تصعد السلم على عجل دون ان تتلفت يمنا او يسرة .. لكن القلق والهواجس التى كانت تساورها فى تلك اللحظات ، كانت لا تلبث ان تذيبها حرارة اللقاء ولفحات الترحيب الملهب والشوق الجارف ! .. فاذا ما عادت « ايرين » الى منزلها بعد ذلك ، بدأت تحس بوخز الضمير ، وترزح تحت اثقال الخطيئة .. يلزمها ابدًا ذلك الخوف من ان يكون قد رآها أحد وهى ذاهبة او عائدة من منزل العشيق ، فيدرك خبيثة امرها مما يبدو عليها من ارتباك !

وكانت اللحظات الاخيرة فى كل لقاء لحظات مسمومة ، لانها كانت تدنيها من وقت الرحيل .. من الخروج الى الشارع .. بل كانت اللحظات التى تقف فيها خلف الباب ، تسترق السمع تأهبًا للخروج ، اثقل اللحظات وطأة على نفسها .. اذ كانت تحس خلالها كأن انفاسها تكاد أن تخمد ، وقلبها يوشك ان يقف !! ان « الخوف » كان دائما يترصدها

فى « الخارج » ، فكانت لا تكاد تخطو بضع خطوات ، حتى تبدأ انفاسها تلهث ، كما لو كانت مشتركة فى مسابقة عدو لعدة اميال !!

وقد كانت « ايرين » خارجة من منزل عشيقها فى آخر مرة ، وحالتها كما وصفنا ، فلما هبطت السلم وقفت برهة تسترد انفاسها المكروبة ، وتستنشق قليلا من الهواء البارد . . . واذا هى تسمع باب مسكن فى الدور الاعلى يغلق فجأة فيحدث قرقة . . . فانتفض بدنها واسرعت بنزول السلم وقد اسدلت على وجهها قناعا كثيفا تعودت اسداله فى مثل هذه المناسبات حتى لا يتعرف عليها احد !

وتهيأت لمغادرة المنزل الى الشارع وهى تسرع الخطى الى الباب الرئيسى محاولة عبوره . . . ولكن القدر اراد ان يهيم لها فى تلك اللحظة حادثا رهيبا : اذ ما كادت تصل الى الباب الرئيسى حتى اعترضت طريقها امرأة ، فاصطدمتا معا . . . واذا ذاك قالت ايرين فى عجلة ظاهرة : « معذرة !! » وهمت بعبور الباب . . . ولكن المرأة سدت عليها الطريق وهى تحدجها بنظرة ملؤها الغضب والاحتقار ، وابتدرتها بلهجة بادية القسوة والانفعال : « أخيرا . . . هأنذا أضبطك يا سيدتى !! انك ولا شك امرأة شريفة ، أو ما يصفونها على الاقل بانها امرأة شريفة ! . . . امرأة لا تقنع بزواجها ، ولا بحال زوجها ، ولا بكل ما لديها من اسباب المتعة والرفاهية والرخاء ، فتسوطو على صديق فتاة فقيرة لتسلبها اياه !! »

مادت الارض « بايرين » ، واجابت وقد جف حلقها من الفزع : « بحق السماء ! ماذا بك يا سيدتى ؟! انك لا شك مخطئة ؟! » . . . وحاولت أن تشق لها طريقا نحو الباب لتلوذ بالفرار . . . ولكن المرأة اعترضتها ، وقد سدت بجسمها السميكة الطريق سدا حتى استحال على « ايرين » المرور ، وصاحت بها : « لا ! لست مخطئة ! . . . اننى أعرف من أنت !

انك قادمة من عند « ادوار » ، صديقي ادوار ! والان وقد
نجحت في ضبطك ، أعرف لماذا صار هو يعرض عني ويزهد
في .. ولماذا لا يكاد يجد متسعا من الوقت يلقاني فيه ! ..
ان هذا كله بسببك ! بسببك أنت يا ! .. ! «
فقاطعتها « ايرين » واجفة متلثمة : « بحق السماء ، لاتصيحى
هكذا ! »

.. وأحست بقوة تدفعها الى الورا ، فتراجعت برغمها
بضع خطوات .. والمرأة تصوب اليها نظراتها الصارمة ،
الغامضة ، المسنونة كالنصل ، وقد ابتسمت ابتسامة صفراء ..
ثم استطردت تخاطب « ايرين » بصوتها المنكر : « هكذا النساء
المتزوجات المترفات ! النساء الفاتنات الراقيات المهدبات ..
انهن يضعن على وجوههن نقابا سميكا حتى يتمكن من سرقة
رجال غيرهن .. وبعدئذ يستأنفن لعب دور النساء الشريفات ،
كما لو أن منكرنا لم يحدث ، وجريمة لم تقع ! »
فأجابت ايرين وقد انهارت من الرعب : « ماذا ؟ ماذا تقولين
يا هذه ؟ وماذا تريد منى ؟ اننى لا أعرفك .. اليك عنى ..
يجب أن أذهب »

فهمت المرأة منكرا : « تذهبين ؟ نعم تذهبين الى السيد زوجك ،
الى منزله الدافئ الجميل .. حيث يسارع الخدم الى استقبالك ،
وتهرول الخادومات الى لقاءك ومساعدتك على خلع ثيابك ..
لانك سيدة من الطبقة الرفيعة المترفة !! .. أما نحن ، فلنتضور
جوعا ، ونسلب الشئ الوحيد الذى بقى لنا فى الوجود ! فانكن
يا معشر السيدات الراقيات لا تلقين بالا الى أمرنا ، لانه
لا يعنيكن بحال ! »

يا للموقف البشع الذى وجدت التعسة « ايرين » نفسها
فيه ! .. انها تترنج وتهتز كالريشة أمام هذا الاعصار
الضارى المفاجئ .. فماذا تصنع لتنجو بنفسها ؟ لم تجد
ما تصنعه فى ارتباكها ، وحيرتها ، وذعرها ، سوى ان تدس

يدها في حقيبتها باحثة عن نقود .. واخرجت منها كل ما كان فيها .. وبيد مرتعشة دست النقود في يد تلك المرأة اللعينة قائلة : « خذى ! خذى هذا ! »

أطبقت المرأة أصابعها على النقود وصوبت اليها نظرة شريرة ، ثم صرت على أسنانها قائلة لها : « يا قدرة !! » ارتعدت اوصال ايرين عندما سمعت هذه الكلمة ، لكنها لاحظت ان المرأة قد افسحت لها الطريق .. فهرولت مشدوهة الى الخارج ، كمن يلقي بنفسه من قمة برج عال لينتحر تخلصا من الحياة ! .. وما كادت تجد نفسها في الطريق العام حتى احست بالعرق البارد يتصبب منها ، ورأت عربية واقفة في ركن من الشارع فقفزت الى داخلها والقت بنفسها على مقعدها خائفة مضضعة ، لاهثة الانفاس !

وسارت بها العربية مسافة على غير هدى .. وفجأة تنبه السائق الى ما يحوط امر السيدة الراكبة من غرابة ، فانه يسير بها دون أن يعرف الى أين تبغى الذهاب ! .. فلما سألها ، أفاقت من غشيتها واجابت قائلة : « الى محطة الشمال » .. وهنا خيل اليها ان المرأة المنكودة قد تكون في أثرها ، فأهابت بالسائق تقول : « اسرع ! اسرع ما استطعت ! »

وجلست في داخل العربية كالجثة بلا حراك .. ولما بدأت الحياة تدب في اوصالها ، اخذت تستعرض هول الموقف الذي اكتنفها منذ برهة .. فأحست بلعابها وكأنه صباية من العلقم .. ودارت بها الارض الفضاء .. يالهول ما جرى ! ايمن ان يكون هذا حقيقة ؟ وتذكرت أمرا زاد من ارتباكها وخرج موقفها : لقد أعطت المرأة معظم ما كان معها من نقود ، دون أن تفكر فيما يكفى اجرا للعربة ! .. فأمرت السائق بالوقوف ، ووجدت ما تبقى معها من نقود كافيا لحسن الحظ ، فنقدته اياه وانصرفت بسرعة ، برغم انها ماتزال بعيدة عن منزلها .. لقد تحتم عليها أن تقطع المسافة الباقية سيرا على قدميها .. واذا بها تجد نفسها في حى غريب مملوء بالمارة الذين كانوا يرمقونها بنظرات ظنت انها ذات معنى ! ان « الخوف » يلوى قدميها حتى انها لا تكاد تقوى على السير .. وظلت تجر نفسها جرا ، من شارع الى شارع ، حتى وجدت نفسها اخيرا أمام منزلها ..

تريثت قليلا .. ثم وقفت لتستجمع ما بقى لها من حطام قوة ، وتسترد بضعة أنفاس محتبسة لتعاونها على الصعود الى بيتها ..
 ها هي تصعد السلم الآن .. وتدخل بيتها .. وهماى الخادمة تخف مسرعة اليها .. وتعاونها على خلع معطفها !
 ان الهدوء يعود اليها رويدا ، وهى فى أحضان بيتها الدافئ الجميل .. ويمتزج الهدوء بشيء من راحة القلب عندما يطرق أذنيها صوت ابنها وهو يعاين أخته وهما يلعبان سويا .. غير أن هذا الهدوء كان سطحيا ، فان ما وقع لها منذ لحظات لا يزال يدوى بين جنبها ، كعاصفة عاتية هوجاء تكاد تقتلع فؤادها اقتلاعا !

بدلت « ايرين » مجهودا جبارا كى تبدو فى حال طبيعية ما استطاعت .. ومضت من فورها الى غرفة الطعام ، حيث كان زوجها جالسا الى المائدة يتصفح احدى الصحف ، بينما كان طعام العشاء قد أعد على المائدة .. وسمعت زوجها يوجه اليها الكلام موبخا ، ولكن فى رفق : « لقد تأخرت قليلا يا عزيزتى ! .. ثم نهض من مكانه وذهب الى حيث كانت جالسة ، فطبع على خدها قبلة رقيقة أيقظت فيها احساسا عميقا اليما .. ولم يلبث ان سألها فى غير اكتراث : « أين تأخرت كل هذا الوقت ؟! » .. فأجابت متلعثمة : « لقد كنت .. لقد كنت عند « اميلى » أساعدها فى شراء بعض لوازمها .. »

ان « الخوف » أعماها عن اتخاذ الحيطة الواجبة .. ترى ، ماذا يحدث لو سال زوجها « اميلى » تليفونيا عن حقيقة الامر ؟! ولكنه لم يسال ، بل قال لزوجته مندهشا : « ماذا بك يا عزيزتى ؟ اننى أراك بادية الارتباك .. ما هذا الذى أرى ؟ لماذا تضعين قبعتك على رأسك حتى الآن ؟! »
 أسرعت « ايرين » على أثر هذه الملاحظة الى حجرتها ، متعثرة واجفة ، فخلعت قبعتها .. ولبثت برهة تمنع النظر فى وجهها فى المراة لتستوثق من انها أصبحت قريبة من حالها الطبيعية ، ثم عادت الى غرفة المائدة من جديد ..

وكانت الخادم تقوم بالخدمة اثناء تناول الطعام . وانقضى المساء فى صمت مطبق وفتور واضح .. اذ لم تستطع « ايرين » أن تطرد من مخيلتها منظر تلك المرأة المشؤومة التى اعترضت طريقها منذ وقت وجيز !

◆ فى صبيحة اليوم التالى ، وبعد خروج زوجها الى عمله ، وذهاب ولديها الى رياضتهما اليومية المعتادة ، أخذت « ايرين » تستعرض الموقف فى شيء من الهدوء وصفاء الذهن ، بعد أن زال عنها هول الصدمة المفاجئة التى أفقدتها قوة التمييز واتزان التقدير .. فشعرت بشيء من الطمأنينة لان القناع الذى كانت تسدله على وجهها كان من الكثافة بحيث يستحيل على

تلك المرأة أن تتعرف خلاله على شخصيتها!.. ولكي لا تستهدف لهذا الخطر الداهم مرة أخرى، اتخذت قراراً لا رجعة فيه: هو أن لا تعود إلى ذلك المكان على الإطلاق.. وان تقطع كل صلة لها بعشيقها في المستقبل، مهما كلفها الأمر!

إنها تستبعد أن تكون المرأة قد عرفت شيئاً عنها: اسمها مثلاً.. أو عنوانها.. ومن تكون؟! فقد فرت في عربة ولم يكن هناك شك في أن المرأة لم تكن في أثرها!

ومع افتراض أبعد الاحتمالات، وهو أن تلتقي المرأة بها، وتعرف شخصيتها فأغلب الظن أن هذا اللقاء لن يتم إلا في مكان آمن، يسهل على «ايرين» فيه أن تنكر إنكاراً تاماً ما قد تفكر تلك المرأة في توجيهه إليها من اتهام!

كانت «ايرين» زوجة أحد كبار المحامين في المدينة.. ومن عجائب المصادفات أنها ذات مرة سمعت زوجها يقول في حديث عابر أنه قد تبين له بعد طول الاختبار أن أية محاولة للتشهير بسمعة أي إنسان، إذا قوبلت برباطة جأش فإنها تموت في مهدها.. وأنه كلما بدت الضحية قلقة، خائفة، زاد ذلك من قوة خصمها، والعكس بالعكس!

وعليه فقد أخذت «ايرين» في وضع خطة محكمة للدفاع عن نفسها ضد هذا الشبح المخيف: فكان أول ما فعلته هو أن أرسلت خطاباً مختصراً إلى عشيقها تخبره فيه بأنها لن تستطيع موافاته في الموعد المحدد، في الغد.. أو في الأيام التي تليه!.. أن كبرياءها قد تحطم بعد أن علمت أنها ترتمي في أحضان هذا العشيق، في أعقاب تلك المرأة البذيئة الساقطة! كان ذلك الشاب موسيقياً ذائع الصيت من عازفي «البيانو».. وكانت «ايرين» قد تعرفت به بعد أن سمعته في إحدى الليالي، فبهر فنه أوتار قلبها.. ولم يمض وقت وجيز حتى أصبحت خليلته، دون أن تقصد الوصول معه إلى هذه الخاتمة!.. كيف فعلت ذلك؟ أنها لم تدرك السبب حتى الآن، فقد استسلمت له دون أن تشعر بحاجة جسدية إلى هذا الاستسلام.. فلم يكن فيه ما يستثير كوامن مشاعرهما بالذات، ولم تكن هي تستشعر من هذه الناحية ظمناً لا تستطيع إطفاءه إلا بين ذراعيه.. إنما أتت «ايرين» هذا المنكر مدفوعة بإرادة متبلدة مترهلة خاملة.. من قبيل حب الاستطلاع، لا حب الاستمتاع!

وقد كانت «ايرين» تعيش مع زوجها عيشة ناعمة هادئة سعيدة.. وكان زوجها رجلاً قوياً يبزها ذكاءً، ويفوقها في قوة الشخصية، فضلاً عن أنه كان ثرياً.. ولكن هناك نوع من الرخاء والنعمة إذا أحاطا بالمرأة كانا أشبه

دفعها لها الى الزلل من الاعصار الجامح .. وهناك سعادة « متوسطة »
تثير الاعصاب اكثر مما يثيره الشقاء .. وشبح يشد أوتار الجسد أكثر مما
يشدها الجوع .. وطمانينة وارفة الظلال تشد في النفس الرغبة في
استكشاف مجاهل المفامرات !

ولم يكن في العازف الفنان ما يستهوى الزوجة الشابة ، اللهم الا مسحة
من الحزن كانت ترسم على ملامحه بشكل أوحى الى « ايرين » أن تتخيل
فيه طرازا ممتازا من الرجال .. فدفعها الفضول الى أن تدخل الى حياته
الخاصة ، لتدرس شخصيته وتتعرف على دخيلة نفسه !

أما هو ، فقد لفتت نظره اليها كلمة ثناء انفلتت من بين شفيتها ذات مرة ،
فرفع بصره الى قائلتها .. وهنا شعرت ايرين برعشة في بدنها ، وبشيء من
الخوف الذي تبعته في النفس النظرة الاولى ! .. وما أن رأت الزوجة
الشابة انها بدأت تستحوذ على اهتمام الموسيقى الفنان ، حتى استبدت بها
نشوة الزهو والاعتزاز ، لانها أصبحت موضع اهتمام هذا الفنان الممتاز !
وتوالت الحوادث في هدوء .. ولكن في اسراع .. وإذا بها بعد أسابيع
قليلة تجيبه الى رغبته التي طالما أبدأها لها : وهي أن يعزف لها مقطوعته
الجديدة .. لها وحدها في منزله !!

وفي منزل العازف الشاب ، وفي أحضان ذلك الجو العاطفي الذي غلفته
الموسيقى بفلالاتها الرقيقة ، الدقيقة ، الاخاذة .. استسلمت « ايرين » !
لم يكن استسلامها مبعثه غرام جامع عنيف ، ولكنه شعور بدأ بحب
الاستطلاع ، وانتهى الى هذه النهاية ، مدفوعا بإرادة آلية ، ونزوة حمقاء !
ورويدا رويدا ، احتل العاشق مكانا في حياتها ، ولكنه لم يغير ، برغم
ذلك ، الخطوط الرئيسية فيها .. فقد ظلت سائرة في نظامها المعتاد وتقاليدها
المألوفة ، وكان بالنسبة لها كسيارة جديدة ، أو كطفل ثالث أضافته الأقدار
الى طفلها ، فتعين عليها أن تخصص له جزءا من وقتها ، ومن عطفها ، ومن
عنايتها وحبها !

أما اليوم ، وبعد أن اصطدمت بتلك المرأة البشعة ، فقد تغير الموقف
تغيرا تاما : فان خطرا داهما بدأ يلوح في أفق حياتها كالح الوجع ، مسنون
الانياب .. ولما كانت قد نشأت في جو من اليسر والرغد والتدليل ، سواء
بين أسرته قبل الزواج أو في كنف زوجها ، فقد روعها أن ترى كل هذه المتع
تنهار من أجل رجل .. وفي مقابل رغبة لم تكن عنيفة أبدا في يوم من
الأيام !

وعليه فقد عقدت العزم على أن تضحي بعشيقها لتحفظ بحياتها التي
الفتها ، وما فيها من مقومات كالزواج ، والاولاد ، والراحة ، والرخاء ، والمركز
الاجتماعي الذي كان له في نظرها كل اعتبار ! .. وعلى ضوء كل هذه

الاعتبارات أرسلت ذلك الخطاب الى عشيقها تعتذر له فيه عن عدم موافاته في الموعد المضروب بينهما في الغد ، وفي الايام التي تليه ! .. فما أن وصلت الرسالة الى الموسيقى الواله حتى جن جنونه ، ورد عليها برسالة مع رسول خاص ، كلها توسل وضراعة ، وتساؤل عن سبب القطيعة ؟ .. ورجاء ملحف في أن تمكن له من لقائها ولو مرة واحدة ، ليعرف منها سبب هذه الجفوة المفاجئة التي تكاد تحطمه وتذهب بعقله بددا !

أرضت عبارات الرسالة الملتهبة بكبرياءها ، وأشبعت غرورها - شأنها في ذلك شأن كل الفواني يفرهن الثناء ، ويزيد في دلالهن التذلل والاستخذاء ! - فحددت له موعدا في مكان عام معروف في المدينة ، يختلف اليه عليه القوم لتناول الشاي .. ولكنها ، وهي تحدد له الموعد ، كانت قد عقدت العزم في اصرار على أن تقطع كل صلة تربطها به .. مهما كلفها الامر !

- ٢ -

◆ لبست « ايرين » رداءا جميلا وقبعة جديدة ، وهمت بوضع قناع على وجهها ولكنها عدلت عن هذا الرأي ورأت فيه مساسا بكبريائها ... فممن تخاف ؟ ! انها امرأة تحتل في المجتمع مكانا مرموقا ، فهل تخاف من امرأة ساقطة اعترضت طريقها مرة وهي ملثمة ؟ .. وعليه فقد ذهبت الى الموعد سافرة .. فلما وجدت نفسها في الشارع شعرت برعدة خفيفة كتلك التي يشعر بها السابح في الماء عندما تبتل قدماه قبل ان يغوص بدنه كله فيه! .. ولكن هذه الرعدة الخفيفة قد زالت كما تزول رعدة جسد السابح عندما يلقي بجسده كله في جوف الماء !

أحست « ايرين » بمتعة كبيرة في السير على قدميها ، وأسفت لان مكان لقائها بالموسيقى الشاب كان قريبا .. فما ان دخلت الى المكان حتى لمحها عشيقها ، فوثب من مكانه يستقبلها .. وأثارت وثبته في نفسها سرورا ممزوجا في الوقت نفسه بالالام .. وما كاد يستقر بهما المقام حتى أخذ يطررها بوابل من الاسئلة وهو واضح الانفعال ، حتى لقد رجته عدة مرات أن يخفض من صوته .. ولم تحاول أن تميظ اللثام عن السبب الذي حدا بها الى التصميم على فصح عرى علاقتهما .. ولم تلتن قناتها أمام جزعه وتوسلاته ، بل زادت اصرارا على قطع ما بينهما من صلات منذ تلك اللحظة! وبعد نصف ساعة تركته « ايرين » وهي أشد ما تكون صلابة واصرارا وعتادا .. ومع ذلك فقد أثارت توسلات الشاب في تضاعيف نفسها نشوة غريبة ، والهبت شفاف قلبها نارا هادئة لذيدة اللسعات .. تلك النشوة الفاضية ، وتلك النار اللذيذة ، اللتين طالما أحست بحرارتهما تفر بدنهما ، عندما كانت تستلقى على فراشها في استرخاء ، وهي لم تزل بعد عذراء ! .. وزاد من

سرورها أن رأت الناس يتطلعون اليها معجبين بملاحظتها وصباها .. ان الاحاسيس التى تغمرها الان احاسيس غريبة لم تشعر بها منذ يفاعتها .. انها تريد أن تسير ، بل تريد أن تطير .. وسرعان ما وجدت نفسها أمام باب منزلها ، فترثت قليلا لتملا رثتها بالهواء ، ولتستنشق آخر نسمات مقامرتها الخطرة !

وبينما هى كذلك ، اذا بيد تلمس كتفها ، فاستدارت لترى من عساه يكون ؟ .. ولو أن حية أنفدت فيها أنيابها ، أو مسا من الكهرباء صعق بدنها ، أو لفحة من قرارة الجحيم هبت على وجهها .. ما أصابت «ايرين» تلك الرعدة التى أوشك أن ينشق جسدها من هولها نصفين !
- ماذا تريد منى ؟

تمت «ايرين» بهذه الكلمات وقد فغرت فاها ، ومادت الارض تحت قدميها .. فقد كانت اليد التى لمست كتفها هى يد تلك المرأة الشريرة ، التى اعترضت طريقها منذ أيام على عتبة باب منزل عشيقها الموسيقى «ادوار» ! وبالرغم من انها كانت فى الشارع وأمام منزلها ، فلم يكن هناك ما تخشاه منها اذن ، ومع انها كانت قد عقدت العزم على انكار أية معرفة تربطها بتلك المرأة اذا ما ووجهت بأية اتهامات منها ، الا انها مع ذلك خارت أمام تلك المنكودة البشعة ، وتلعثمت ، ولم تستطع عمل شيء ، أو النطق بشيء ! وهنا قالت المرأة لايرين : « اننى واقفة فى انتظارك منذ نصف ساعة يا .. » مدام فاجنر !

انتفضت ايرين انتفاضة الملوغ عند سماعها اسمها نفوه به شفتا تلك الشيطانة .. اذن فهى تعرف ايضا اسمها ! بل وتعرف عنوانها ايضا ؟ .. لقد ضاع كل شيء ، وليس الى النجاة من قبضة الشيطان من سبيل ! واستطردت المرأة تقول فى لهجة هى مزيج من التقرير والتهديد : « نعم ! اننى انتظرك منذ نصف ساعة يا سيدتى ! »

فأجابت ايرين : « ماذا تريد منى ؟ ماذا تريد منى أن تصنعى بى ؟ »
- أنت تعلمين جيدا ما أريد يا مدام فاجنر ! تعلمين جيد العلم لماذا أنا هنا الآن !

فردت عليها ايرين تقول : « اننى لم أعد الى لقائه مرة أخرى .. دعينى الان ! اننى لن أراه ثانية على الاطلاق .. لن أراه ! لن أراه ! »
فأجابتها المرأة فى غلظة وقحة : « لا تكذبى ! لقد تبعتك الى مكان بائع الحلوى .. اننى بلا عمل الان .. فلقد طردت من عملى بسبب الازمة المالية .. وعليه فأنا أقضى وقتى فى التسكع فى الشوارع ، تماما كما تفعل فىرى من سيدات الطبقة الراقية ، الشريقات ! »

كانت المرأة المجهولة تتلفظ بهذه الكلمات فى شراسة ووقاحة تنمان من الشر والصفينة الكامنين فى قلبها . وخشيت ايرين أن يسمع حوارهما أحد، أو أن تقود المصادفات التعسة زوجها الى المنزل فى تلك اللحظة ، فيتحطم كل أمل ، وتحل الكارثة ! فماذا تصنع المسكينة ؟ دست يدها فى حقيبتها فأخرجت منها كيس النقود ودفعت بما فيه الى المرأة ، التى لم تظهر على وجهها حركة واحدة تدل على الرفض أو الحياء ، بل على النقيض ، مدت يدها واطبقت أصابعها على النقود . وزادت على ذلك بأن قالت لايرين : - أعطنى كيس النقود أيضا ، لاضع النقود فيه حتى لا يفقد منها شيء ! لم يكن فى مقدور «ايرين» أن تطيل النظر الى وجه تلك المرأة ، فقد كانت أقرب الى زبانية الجحيم منها الى الادميين .. وكانت كل آمالها فى تلك اللحظة تنحصر فى شيء واحد : هو ان تهرب من أمام هذا الوجه الكالح الممقوت ، وان لا تراه أبدا فى المستقبل !! .. فأعطتها كيس النقود ، وأسرعت الخطى الى منزلها .. وهناك صعدت السلم مترنحة من الفزع ، متهدمة الاعصاب من الخوف ، كأنها أصيبت بضربة ساحقة فى صميم المقتل !

ولما كان زوجها لم يعد الى المنزل بعد ، فقد انتهزت الفرصة وألقت بنفسها على فراشها ، وظلت ممددة كأنها جثة ليس فيها أثر للحياة !! حتى سمعت صوت زوجها يدخل ، فاستجمعت ما بقى لها من قوة لتنهض وتذهب للقاءه فى الحجرة الأخرى ، وهى تجر قدميها جرا .. شاردة الذهن ، مضغضة القوى ، محطمة الاعصاب !

- ٣ -

◆ اتخذ « الخوف » من نفس ايرين مكانه المختار .. وسيطر اللعز على كل جارحة فيها بعد لقاءها الأخير بتلك المرأة .. واخذت خطورة الموقف تبلور وتبين على حقيقتها أمام ناظريها : فقد تمكنت تلك المرأة من معرفة اسمها ، وعنوان بيتها ، فلاشك فى انها ستستغل الموقف أسوأ استغلال ، وستتخذ منها بقرة حلوبا تستنزفها قطرة قطرة ، وبوما بعد يوم .. فكيف السبيل الى النجاة ؟ انها زوجة رجل غنى وفى امكانها أن تتصرف بحرية فى مبالغ قليلة من المال بين حين وآخر .. ولكن اذا دأبت تلك المنكودة على طلب المال ، فسيأتى يوم تعجز فيه مواردها ، وامكانياتها ، عن اعطائها ماتريد .. وحينئذ ينكشف المستور ، وتكون القارعة !! وهى لا تملك مبلغا كبيرا متجمدا ، قد تقبله المرأة دفعة واحدة لتبتعد عنها الى الابد !! يضاف الى ذلك ما كانت قد عرفتته من زوجها مصادفة ، من أن أى اتفاق يعقد مع هذا الصنف من الافاقين لا قيمة له ، وان أى اتفاق لا يكون جديرا بالاحترام

الا اذا كان معقودا بين طرفين شريفيين ..

ان شبح الكارثة يقترب منها شيئا فشيئا بوجهه الكالح الرهيب .. وكلما دنا منها ، بانّت بشاعته ، ووضحت فظاعته ! .. فلئن انكشف الفطاء وبان المستور ، وعرف زوجها بالحقيقة ، فماذا عساه صانعا معها وبها ؟! واى قرار سيتخذه بشأنها ؟ انها تنخبط فى دياجير الفروض الحالكة ، وتتقاذفها الافكار المرعبة ، ويحيط بها الذعر من كل جانب .. اليس من العجيب ان تكتشف ايرين فى تلك الساعات المروعة ، حقيقة لم تكن تعرفها من قبل : الا وهى انها ، الى تلك اللحظة ، لم تتمكن من ان تعرف زوجها على حقيقته ؟ لقد تزوجت منه منذ ثمانى سنوات نزولا على رغبة والديها وبغير معارضة من جانبها - وظلت تنعم بقربه بحياة منتظمة ، وادعة ، كلها طراوة ورخاء . ورزقت منه طفلين . وهى تحيا معه فى بيت جميل .. ولكنها فى هذا الموقف الحرج تكتشف ، لفرط دهشتها ، انها لا تعرف زوجها المعرفة التى تمكنها من ان تبين موقفه ازاءها اذا ما عرف الحقيقة القظيمة ! .. انها لم تستطع ان تتغلغل فى ثنايا نفسه ، وتضاعيف قلبه . فها هى الان تستعيد حياتها الماضية معه برمتها ، عساها تهتدى الى خيط من النور يقودها الى حقيقة زوجها .. ولكنها ما تكاد تخطو ، حتى تكبو ، وما تكاد تهيم بالمسير حتى تحس « بالخوف » يدفعها من الخلف ، فتكب على وجهها وقد نرف منها الدم !



◆ قبعت « ايرين » فى عقر دارها لا تبرحه ثلاثة ايام .. وقد لغت هذا انظار من فى المنزل جميعا لانه شىء لم يتعودوه منها .. فقد كان يندر ان ينقضى يوم ، بل ان تمر ساعات ، دون ان تخرج من المنزل .. فما الذى طرا عليها حتى جعلها تلازم بيتها هذه الايام الثلاثة ؟! ان نظرات الفضول المنبعثة من خدم المنزل كانت تضايقها للغاية ، وكان اول من لاحظ هذا التغير هما طفلها ، وعلى الاخص اكبرهما .. الذى لم يتردد فى ان يبدى لها دهشته من رؤيتها فى البيت اياما كاملة متتابعة !

وعبثا تذرعت « ايرين » بمختلف الذرائع لتبرر وجودها فى المنزل ، وعدم مبارحتها اياه ، بل ان كل تلك الاعذار لم تكن ، فى نظر الخدم ، من الوجاهة بحيث تبرر بقاءها فى المنزل ثلاثة ايام كاملة !

ولو كانت « ايرين » فى حال طبيعية ، لجاز الامر على هؤلاء المتطفلين الفضوليين ، ولكنها كانت بادية الارتباك والقلق ، وقد ارتسمت على وجهها امارات الذعر ، ولم تنقطع عن ان تذرع حجرات المنزل ذهابا وجيئة .. فاذا دق جرس التليفون وثبت من « الخوف » بالرغم منها ! .. واذا سمعت صوت احد طفلها ، انتفضت انتفاضة لا ارادية .. فكيف لا تتجه اليها الانظار ، وتحوم حولها الشكوك !

وانقضت الايام الثلاثة وهى فى سجنها الاختيارى .. انقضت ثقيلة ، متثاقلة ، ابطاً من اعوام الزواج الثمانية ! .. وكان عليها ان تخرج فى اليوم الثالث لتلبى دعوة كانت قد قبلتها منذ اسابيع مضت ، ولم يكن من اليسور لها ان تتخلف عنها الآن لعدم وجود سبب تستطيع ان تذرعه به ! .. هذا فضلا عن انها كانت فى ميسس الحاجة الى ان ترى الناس ، وان تفك هذه الاغلال الثقيلة المطبقة على انفاسها ، حتى لتكاد تزهقها ! انها تريد الهرب من تلك الوحدة القاتلة وذلك « الخوف » المميت .. وتريد ان تتنفس .. وان تتحدث الى الناس .. وان تسمع اصواتهم .. فانها بين الناس ستكون فى حماية مؤقتة على الاقل .. ولن تستطيع المرأة المشثومة ان تلاحقها اذا هى لبت تلك الدعوة !

وخرجت من المنزل برفقة زوجها .. وشعرت بادىء الامر بشىء من الخوف ، الخوف من ان تكون المرأة قريبة من المنزل فى تلك اللحظة ، فقبضت على ذراع زوجها بشدة ، واتكأت عليه .. فلما استقر بهما المكان فى السيارة تنفست الصعداء ، وشعرت بأن حجر الرضى الجاثم على صدرها قد انزاح ، وانها الآن بجوار زوجها فى امان !

ولما وصلا الى منزل الداعى واحتواهما المجلس ، شعرت « ايرين » بمزيد من الطمأنينة .. فانها تستطيع ان تحيا لبضع ساعات حياتها المعتادة دون « خوف » ، وفى امكانها ان تمرح وترقص .. بل لعل سرورها سيكون الآن مضاعفاً ، مثلها فى ذلك مثل السجين الذى يرى نور الحرية ويستنشق هواءها لأول مرة بعد اطلاق سراحه ، وفك أسره .. انها الآن فى مكان لا تتمكن يد التهديد والشر ان تمتد اليها فيه بأذى !

وما كادت « ايرين » تدخل المنزل مع زوجها ، حتى صوبت اليها أنظار جميع الحاضرين ، تشعرها بأنها امرأة جميلة - وكانت هى أول من يعرف هذه الحقيقة ! - وبدأت الموسيقى فى العزف ، فأثملتها انغامها .. ولكنها كانت اذا كفت الموسيقى عن العزف ، عاودها الانقباض من جديد ! .. حتى اذا ما عادت الى العزف اندفعت الى حلبة الرقص اندفاع الظامىء الى جدول المياه ! .. ولم تكن « ايرين » راقصة من طراز ممتاز ، ولكنها فى تلك الليلة تخطت السدود ، وحطمت القيود ، وبدأت تتماوج فى رقصاتها ، وتتمايل أعطافها بغير صمام أو لجام .. وفجأة سمعت صوتاً يوجه اليها هذه الكلمات :

- ماذا بك يا « ايرين » ؟

فالتفتت وهى مندفة فى الرقص كالمجنونة ، لترى زوجها وقد بدت عليه امارات الغضب مما رآه من مغالاتها فى التماوج والتثنى ذات اليمين وذات اليسار مع نغمات الموسيقى .. فخشيت ايرين ان تكون قد اغضبته وردت

عليه تقول :

- ماذا جرى ؟ وماذا تريد أن تقول !!

أما هو فحدها بنظرات نافذة وكأنه ينبش قلبها بعينه ، وتتم يقول :
- انه لامر عجيب !

لم تجرؤ ايرين على أن تستوضحه ما يريد .. وفي تلك اللحظة عادت الموسيقى الى العزف ، ودعاها أحد الحاضرين للرقص ، فلبت دعوته ولكن لترقص في هذه المرة متشاقة بطيئة .. وما هي الا برهة قصيرة حتى اعتذرت له في عدم استطاعتها الاستمرار لشعورها بالتعب . وما كادت تعود الى مكانها حتى وجدت زوجها وقد وقف وراءها كما لو كان في انتظارها ، وراح يصوب لها نظرات لم تدرك كنهها .. فعاودها «
الخوف » وراحت تسائل نفسها : «
لماذا هو صارم وصامت هكذا ؟ » .. ثم جرأت فقالت له : «
هل نذهب ؟ » فأجابها في شيء من الخشونة : «
نعم » !

وخيل اليها في تلك اول اللحظة انها ترى كتفى زوجها وقد ازداد عرضا وقوة، فهمست في نفسها تقول : «
كتفا قاتل !! »

وعادا الى المنزل معا ، وكانا صامتين صمتا مطبقا .. وشعرت ايرين بعد تلك السهرة بأن خطرا جديدا يتهددها .. وانها محاصرة بالاعداء من كل جانب !

- ٤ -

♦ في تلك الليلة رأت «
ايرين » حلما مزعجا .. ومن هول ما أصبحت المسكينة فيه من ذعر دائم بسبب تلك المرأة التي تلاحقها وتهدهدها ، فقد رأت نفسها تعدو طالبة النجاة من امرأة تريد الفتك بها والمرأة تعدو وراءها في الشوارع .. وقد خيم الظلام على كل مكان تسعى اليه .. حتى خارت قواها فاذا بها تصيح بأعلى صوت وهي مستغرقة في النوم : «
النجدة ! النجدة ! » .. واستيقظت من كابوسها الثقيل لترى زوجها واقفا بجوار فراشها .. فقد سمع صيحة استفائها فخف الى حجرتها مسرعا ، وما ان فتحت عينيها وافاقت قليلا حتى سألتها زوجها في قلق واضح :

«
ماذا جرى ؟ وماذا الم بك ؟ »

أخذت «
ايرين » تجيل النظر فيما حولها ، فوجدت نفسها في حجرتها ، وفي فراشها ، وبجانبيها زوجها ! .. انه اذن حلم مزعج وكابوس ثقيل ! أما زوجها فقد ظل واقفا الى جوار سريرها وهو يرمقها بنظرات ثاقبة كلها استفهام .. فأجابته ايرين : «
ماذا ؟ لم يحدث شيء ! لماذا تنظر الي هكذا ؟ كل ما في الامر اننى رأيت كابوسا مزعجا .. »

— نعم ! فقد سمعت صياحك من حجرتي ، فماذا بك يا ايرين ؟ لابد أن شيئا حدث لك ، وهو يختلج بين أضلاعك ! انك تغيرت تغيرا كليا في هذه الايام ، فأنت شاردة الدهن ، عصبية المزاج .. وها أنت تصيحين في نومك صارخة « النجدة ! النجدة ! » .. فبالله عليك لا تخفى عني شيئا .. أهنأك أمر يقلقك ؟ ان ثمة أمرا حدث يسبب لك انزعاجا كبيرا .. وكل من في المنزل يلاحظ عليك ذلك في هذه الايام ، ويدرك التغير الكبير الذي طرأ عليك أخيرا .. فحدثيني يا ايرين ، ولتضعي ثقتك في !

قال الزوج ذلك ودنا منها برفق فاخذ يمسح بأنامله على ذراعها الاملس العارى الجميل .. وكان يشع من عينيه بريق عجيب ، فأحست ايرين في تلك اللحظة برغبة عنيفة في أن تلتصق به بقوة وتتعلق بعنقه ، وتبوح له بالسر الرهيب ، ثم لا تدعه يتركها الا بعد أن تستوثق من أنه صفح عنها وغفر لها !

ولكنها أحست بالخجل ، وعاورها الخوف .. فنكصت على عقبيها وقالت له وهي تحاول الابتسام : « لا تنزعج يا فريتز ! ان أعصابى متعبة قليلا وأرجو أن يزول عني هذا التعب بعد قليل .. فاطمان ! »

عندئذ ترك زوجها ذراعها ، وقد بدا لها شاحب الوجه ، وقال لها : « يخيل الى في الايام الاخيرة ان لديك ماتريدين قوله لي .. وان هذا الذى تريدين قوله يعينى ويعنيك وحدنا دون سوانا .. فتكلمى يا ايرين وقولى ما تشائين .. نحن بمفردنا الان ! »

يا لهذا الضوء ! هذا الضوء الذى يريها أسارير وجهه وقد اكتست بالصرامة والشحوب معا . هذا الضوء ، ليته ينطفىء ! فربما استطاعت في الظلام ، وهى لا ترى قسما وجهه ، أن تبوح له بكل شيء ! أما فى النور ، فان ارادتها تخونها .. لانها كلما تطلعت الى وجهه استولى عليها «الخوف» ! واستطرد الزوج يقول : « والآن ياعزيزتى : هل حقيقة ليس لديك ما تفضين به الى ؟! » — وكان صوته عذبا حنونا وهو يفوه بهذه العبارة ، عذوبة وحنانا لم تتعودهما منه من قبل ! آه من هذا الضوء ! هذا الضوء اللعين ! — واجابته : « ماذا يدور فى مخيلتك يا فرتز ؟ ان كل ما بى ناجم عن اننى لا أنام جيدا فى هذه الايام .. انك تتخيل ان عندى اسرارا ! من يدري ؟ لعلها مفامرات غرامية ؟ »

وكان احساسها بما فى كلامها من مراوغة ، يشيع الرعدة فى جسدها .. انها لتتشعر من نفسها فى تلك المحنة .. اما هو فلم يابه كثيرا بما قالت ، وانما راح يتفرس فى وجهها بامعان ثم قال لها : « اذن ، فلتنامى جيدا ! » واطفا النور ثم غادر الغرفة .. فما كادت تسمع بابها يفلق وراءه حتى خيل اليها ان كل ما يحيط بها لاثر فيه لحياة ، وان الموت يبسط جناحيه على

كل شيء .. ما عدا شيئا واحدا: هو قلبها الذى يدق هلعا ، حتى ليكاد يقتلع من مكانه ! لقد تصورت وهى تسمع باب الغرفة يفلق عليها ، ان هذا الذى يفلق ليس بابا وانما هو غطاء النعش الذى تمددت فيه جثة هامة .. لتشيع الى مرقدتها الاخير !



◆ فيما كانت الاسرة مجتمعة فى مساء اليوم التالى حول مائدة العشاء، دخلت الخادمة غرفة الطعام واتجهت الى ايرين فسلمتها مظروفا صفيرا وقالت لها : « هذا الخطاب لك ياسيدتى .. والرسول ينتظر الجواب! »

ألقت ايرين نظرة على الخط الغريب الذى على المظروف ، وفضته . وما كادت تقرأ أسطره حتى علت وجهها صفرة الموت ، وانتفضت واقفة وقد جمدت كتمثال من الرخام .. كل هذا والحاضرون يتطلعون اليها فى دهشة ! كتمثال من الرخام .. كل هذا والحاضرون يتطلعون اليها فى دهشة ! وكان الخطاب غاية فى الاختصار ، اذ لم يحتو الا على هذين السطرين : « الرجا تسليم حامل هذا الخطاب مبلغ مائة فرنك ! » .. وفيما عدا هذا « الامر » ، لم يحمل الخطاب توقيعا ، ولا تاريخا !

سارعت ايرين الى حجرتها للبحث عن المبلغ ، ولكنها فى ارتباكها وذعرها نسيت أين وضعت مفتاح خزانها الخاصة .. فراحت تفتح جميع الادراج واجفة راجفة ، وتلقى بجميع محتوياتها يمينا ويسارا ، باحثة عن المفتاح .. حتى عثرت عليه ، فأخذت المبلغ المطلوب ووضعتة بنفسها فى مظروف واتجهت الى الباب حيث كان الرسول واقفا ينتظر ، وسلمته آياه .. كل هذا فى حركة آلية سريعة لا اثر فيها للتفكير او التدبير ، وفى سرعة فائقة .. فى دقيقتين اثنتين فقط .. ثم قفلت راجعة الى غرفة الطعام !!

وما كادت تستقر على مقعدها حتى اكتشفت أمرا خطيرا : فانها فى ارتباكها وذعرها تركت أيضا الخطاب على المائدة مبسوطا .. فاختطفته الآن بيد راعشة وأخذت تضغط عليه وتعاود الضغط حتى استحال الى كرة صغيرة من الورق ! وبينما هى تحاول اخفائه التقت عينها بعيني زوجها الفاحصتين النافذتين ، فعقد الخوف لسانها ، ولم تنطق .. وكان العشاء من حسن الحظ قد أوشك

على الانتهاء ، ففادر الطفلان المائدة وهما يتصايحان ، أما زوجها فقد توجه الى الحجرة المجاورة دون أن ينبس ببنت شفة !

فلما ألفت نفسها بمفردها فى الحجرة ، أخرجت الخطاب من مخبئه وأعادت تلاوته .. وهمت بتمزيقه والقائه فى سلة المهملات ، ولكنها عدلت عن تمزيقه واتجهت الى الموقد وألقت به فى النار ، فلما أتت النار عليه ، شعرت بشيء من الاطمئنان !!

فى تلك اللحظة سمع وقع أقدام زوجها قادما اليها ، فارتعدت أوصالها .. وكان وجهها متوهجا من حرارة النار، وحرارة الانفعال معا .. فلما رآته يدخل الغرفة نهضت من مقعدها . أما هو فاتجه الى المائدة التى فى وسط الغرفة وأشعل عودا من الثقاب ، وقد ارتسمت امارات الغضب على وجهه ، وقال لها : « تعلمين انك لست مضطرة لاطلاعى على خطاباتك .. فان لك مطلق الحرية فى الاحتفاظ بأسرارك لنفسك ! »

جمدت ايرين فى مكانها ولم تحر جوابا .. أما هو فقد ظل برهة قصيرة واقفا فى مكانه ، ثم نفخ من فمه سحابة من الدخان .. وترك الغرفة وانصرف !



◆ وتطور الموقف .. فقد رأت ايرين أنه أصبح من المحتم عليها أن تعمل عملا ايجابيا . ان تتحرك لتشعر على الاقل بأنها لم تزل على قيد الحياة ! ان بقاءها فى المنزل يخيفها ، ويكاد يطبق على انفاسها ويخنقها خنقا .. فلا اقل من أن تبارح المنزل ردحا من الزمن ، وتسير فى الشارع ، فما أشد حاجتها الى رؤية الناس والى السير وسط الزحام .. لقد اشترت بهذه المائة فرنك حريتها لبضعة أيام .. فلتخرج اذن ..

وهكذا سارت فى الطريق على غير هدى ، فأحست بشيء من الهدوء فى أعصابها .. وان لم يزايلها مع ذلك « الخوف » من أن تكون تلك المرأة فى أثرها ! .. وفيما هى سائرة ، مشلولة الفكر ، مسلوبة الارادة ، خيل اليها كما لو كان انسان يتعقبها .. فأسرعت فى المسير .. فاذا بالشخص الذى يتعقبها يسرع الخطى وراءها ، حتى أصبح على مقربة منها .. لعله هو الآخر سيفزع يده على كتفها ؟ !

خارت قدماها ، ولهثت أنفاسها .. واذا بالذى يقتفى أثرها شخص حقيقى لا وهم من الاوهام .. واذا به يصيح بها ، ولكن فى هدوء ، قائلا : « ايرين ! » لم تعرف صاحب الصوت ، ولكن الصوت لم يكن صوت تلك المرأة على كل حال .. فاستدارت لترى من عساه يكون .. واذا بها زوجها امام عشيقتها: الموسيقى الشاب !

وقفها وجها لوجه ، وقد شحب وجهه وبانت عليه علامات الاضطراب والانفعال والحرص .. اما هي فقد تفرست في وجهه بنظرات زائفة فرعة ! .. ومد الشاب يده لتحياتها ، ولكنه اضطر الى سحبها ، لان ايرين في ذهولها لم تمتد يدها اليه .. بل صوبت اليه نظرات فاحصة وشفاتها الراءستان تفصحان عما يختلج بين أضلاعها من فزع وألم مبرحين .. وهنا تمتم الشاب يقول لها :

- ايرين ؟ ماذا بك ؟ وما الذي اقترفته ضدك من ذنب ؟ فردت عليه في سخرية ممزوجة بالغضب : « ماذا اقترفته ضدك من ذنب ؟ لا شيء ! لا شيء على الاطلاق !! انك لم تصنع بي الا كل خير ، ولم تأت معي الا كل عمل طيب ! »

ففر الشاب فمه ، ثم أجاب ذاهلا : « ولكن .. ايرين ! .. ايرين ! » .. فردت بلهجة أمرة : « لا أريد فضيحة وسط الشارع .. فلتكف عن هذه المهزلة .. لاشك « أنها » على مقربة مني الان تتلصص علي .. صديقتك الجميلة هذه .. لتهددني مرة أخرى !! »

- من تقصدين ! من ؟!

لكم وددت لو أمكنها أن تهوى بقبضة يدها على وجهه القبيح .. فانها لم تشعر بكراهية واحتقار نحو مخلوق كشعورها الآن بالبغض والاحتقار نحو هذا الرجل ! اما هو فاسترسل يقول : « ولكن ، ايرين ! .. ماذا صنعت لك ؟ لقد انقطعت فجأة عن التردد على .. ولكم انتظرتك ، ليلا ونهارا .. بل لقد قضيت اليوم بأكمله أمام منزلك ، لعل أتمكن من التحدث اليك ولو دقيقة واحدة ! »

- أنت الآخر .. ؟ كنت في انتظاري ؟

ان الغضب يكاد يذهب بعقلها .. ولو أمكنها ان تصفعه لشعرت في ذلك بسرور بالغ ، ولكنها تماكت أعصابها ونظرت اليه مرة أخرى نظرة اشمئزاز .. ثم أدارت له ظهرها واستأنفت المسير وسط زحام المارة . اما هو فظل واقفا برهة وقد جمد في مكانه من فرط الدهشة والاضطراب .. حتى اضطره سيل المارة الى أن يحرك قدميه ويخطو بضع خطوات .. فكان كورقة من أوراق الشجر الدابلة المتساقطة تذررها في الفضاء عاصفة عاتية ثم تقلد بها في جوف اليم !



♦ لم يرد القدر القاسي لايرين أن تخلد الى الراحة طويلا ، ففي صبيحة اليوم التالي فوجئت بورقة جديدة تصل الى دارها تطلب فيها « مائتي » فرنك في هذه المرة ! فسلمت المبلغ للرسول دون ابطاء ، وأخذ خوفها يتزايد من

تضاعف المبلغ المطلوب .. فلئن استمرت الحال على هذا النوال فان مواردها ستنضب وستعجز عن اجابة هذه الطلبات فى وقت قريب .. فقد تطلب منها غريمتها فى الغد اربعمائة فرنك ! وهكذا كلما اعطت كان عليها ان تضاعف قيمة العطاء ، فاذا ما وصلت الى العجز المالى الكامل ، حلت الكارثة ... انها تشتري راحتها لبضعة ايام بهذه المبالغ ، ثم يتجدد الخوف ، فكيف السبيل الى النجاة !! ولعل أشق مراحل هذه المعركة هو اضطرارها الى اخفاء ما تضطرم به مشاعرها عن حولها ، ومحاولتها الابتسام والظهور بمظهر طبيعى لا اثر فيه لكل هذه التيارات الجارفة والانفعالات المتضاربة !.. فما أهول الموقف وما أرهبه !.. ان شخصا واحدا فقط من المحيطين بها ، كان يدرك ما تعانيه من آلام ، ويراقبها بعناية عن كثب ، كما كانت هى ايضا تراقبه بنفس العناية ، وكل منهما يحاول أن يكتشف سر الآخر .. وهذا الشخص : هو زوجها !!

ولم يكن من العسير على ايرين ان تبين هذه الحقيقة ، فقد لاحظت ان زوجها يعاملها كما لو كانت مريضة ، ويتلطف معها كما كان يفعل ايام خطبتهما . وكلما ازداد حبا لها وحدا عليها ، ازداد شعورها بالخزي والخجل .. لكم كانت تود لو اعترفت له بالحقيقة وأزاحت عن صدرها هذا الحمل الثقيل ! ولكن خجلها كان أشد من خوفها من الاعتراف !

ولكن ذات يوم ، حدث ما جعله يوجه اليها الكلام فى وضوح لا التباس فيه : فقد كانت قادمة من الخارج ، وما كادت تخطو الى بهو المنزل بضع خطوات حتى سمعت جلبة وضوضاء ... منبعثتين من صوت زوجها الذى كان شديد النبرات ، وصوت المربية المشوب بالاحتجاج وعدم الرضا .. وقد امتزج الصوتان بصوت بكاء شديد ! شلت قدماها وسمرت من الخوف !! ترى هل وقع احد تلك الخطابات فى يد زوجها وافتضح السر يا ترى ؟!

وبعد قليل زال هلعها ، اذ لم يكن الامر أكثر من شجار وقع بين ولدها وابنتها ، أصدر الوالد حكمه فيه فى الحال . وكان الشجار بينهما حول احدى اللعب التى يريدان كل منهما لنفسه ، وهى حصان خشبى كان ملكا للولد ، فلما يئست أخته من الحصول عليه ألقت به فى النار سرا .. وأخذ أبوها يستدرجها للاعتراف ، حتى اعترفت بعد جهد كبير ، فقرر أبوها ان يعاقبها على فعلتها بحرمانها من الذهاب الى ملعب كان مقرا ذهابها اليه فى اليوم التالى . اما الولد فقد ابتهج بتوقيع هذه العقوبة على أخته التى اتلفت حصانه واحرقته . فما كان من أبيه الا ان عاقبه على شماته بها بحرمانه هو ايضا من الذهاب الى ذلك الملعب !.. فانسحب الطفلان الى غرفتهما وليس لهما من عزاء الا مساواتهما فى العقوبة

التي حلت بهما معا !!

وبقيت ايرين بمفردها مع زوجها ، ورات ان هذه قد تكون احسن فرصة سنحت كي تتحدث فيها اليه عن ذنبها الذي اقترفته ، فبادرته بقولها :

- قل لي يا فرتز : امصم انت على منع الولدين من الذهاب الى الملعب فدا ؟ ان اصرارك هذا سيجعلهما في غاية التعاسة ، ولاسيما البنت .. والواقع ان الذنب الذي اقترفته هذه الطفلة ليس من الفظاعة الى هذا الحد ، فلماذا تعاقبها بمثل هذه القسوة ؟ الا تستدر هذه الطفلة البريئة شفقتك ؟!

فحدق فيها ببصره واجاب : « انك تساليني عما اذا كانت الطفلة تستدر شفقتي ؟؟ كلا ، انها لم تعد تستدر هذه الشفقة الان .. لانها منذ عاقبتها هدأت ثأرتها ، حتى وان بدت لها العقوبة قاسية .. لقد كانت تستحق الرثاء امس عندما القت بلعبة أخيها في الموقد وظل أهل المنزل جميعا غافلين عنها ، وهي في كل لحظة تتوقع اكتشاف فعلتها فيستحوذ عليها الخوف .. ان الخوف أقسى من العقاب وافظع » ! لان العقاب شيء محدود معلوم ، وهين في حد ذاته ، بل انه اهون من الخوف الذي يثير تفرزا مستمرا في الاعصاب .. ان هذه الطفلة قد هدأت عندما عرفت مصيرها ، فلا تخدعك هذه الدموع التي تدرفها .. فلخير لها ان تدرفها ، من ان تحبسها في مآقيها ! »

رفعت ايرين بصرها الى زوجها وقد خيل اليها انها المعنية بكل كلمة قالها .. اما هو فظهر كمن لا يلقى اليها بالا على الاطلاق .. واستطرد يقول :

- صدقيني ان ما اقله هو الحق ، وقد اكدته لي التجارب العديدة

.. ان المتهمين يتعذبون عذابا اليما من محاولتهم اخفاء جرائمهم ، ومن سيف التهديد المصلت فوق رؤوسهم والذي يهددهم انهم لا يستطيعون الاستمرار في اخفاء هذه الجرائم طويلا .. وهم يعدبون من ذلك الكفاح الذي يكافحونه للدفاع عن كذبهم امام الهجمات الكثيرة القوية التي تصوب اليهم ليعترفوا .. فيراهم المحقق وقد تلووا من الالم عندما يحاول انتزاع الاعتراف منهم .. وقد يصل الاعتراف الى « حلق » المذنب منهم حتى ليكاد ينفلت خارجا من فمه ، ويشعر المحقق بان قوة لا تقاوم تريد ان تقذف بذلك الاعتراف الى الخارج .. وفجأة تظهر قوة اخرى تطفئ على القوة الاولى ، وهذه القوة هي مزيج من الخوف والعناد .. فيموت الاعتراف على عتبة الشفاه لتبدأ المعركة من جديد !! .. وان القاضي ليتعذب في هذه المعركة كما يتعذب المتهمون .. ورغم ذلك فان هؤلاء المتهمين يعتبرونه خصمهم دائما ، مع انه في الواقع اكبر عون لهم .. اما فيما يختص بي ، فبصفتي محاميا يتحتم على ان انصح عملائي بان لا يقولوا الحق ، كما يتعين على ان اسندهم في اكاذيبهم ، وبالرغم من ذلك فاني لا أجرؤ على التقدم للمتهمين بهذه النصيحة في غالب الاحايين ، لانني اعلم انهم يتعذبون من

انكارهم اكثر مما يتعدبون من اعترافهم .. وانه ليدهشنى فى الواقع هذا التناقض العجيب فى شخصية المتهم : اذ كيف يمكنه ان يرتكب عامدا عملا اجراميا خطيرا : ولا تكون عنده الشجاعة بعد ذلك لان يعترف بالعمل الاجرامى الخطير الذى ارتكبه ! .. انه الخوف ولا شك ، وهو فى تقديرى ابعث على الرثاء لحال المتهم من اية جريمة يرتكبها ! .
فقلت ايرين :

- « اتعتقد يا فرتز ان الخوف هو الذى يمنع المتهم من الاعتراف دائما؟ ولم لا يكون المانع هو الخجل فى بعض الاحيان ؟ . الخجل من ان يفتح الانسان خوان صدره فيظهر للعين ما يحتويه من وضر ، والخجل من ان يعرض قلبه عاريا امام الناس ؟

دهش الزوج من رد ايرين اذ لم يتعود منها المجاجة فى المناقشة ، غير ان ملاحظتها اثارت اهتمامه فأجابها بقوله : « الخجل؟ اتقولين الخجل؟ ولكن الخجل نوع من الخوف .. وصاحبه احق بالتأنيب اذا كان الباعث عليه ، والدافع اليه ليس هو الخوف من العقاب ! »

وهنا نهض فرتز ، واخذ يذرع الغرفة ذهابا وجيئة وقد استولت عليه رعدة عنيفة .. ثم وقف فجأة وقال : « اننى افهم ان يخجل الانسان من البوح بخطيئته امام الغرباء ، امام الجماهير التى يلد لها ان تضع انوفها فى شؤون الناس ، وتتطفل على خفايا حياة الآخرين .. ولكننى لا افهم كيف يخجل الانسان من الاقرباء ! ؟ »

فحاولت ايرين بصرها عنه من فرط ما اعترأها من اضطراب وقالت : « قد يكون الخجل من الاقرباء ، بل من المقربين جدا ، أعنف من الخجل من الغرباء ! »

فأجابها وقد تغيرت نبرات صوته فصارت رقيقة هادئة : « اذن فانت تعتقدين بانه كان ايسر على طفلتنا ان تعترف بخطئها لشخص آخر غيرنا .. للمربية مثلا ؟ »

- « اننى مقتنعة بذلك كل الاقتناع .. فانها اذا كانت قد قاومتك كل هذه المقاومة فما ذلك الا لان حكمك عليها يهمها اكثر من حكم اى انسان آخر .. ولانها تحبك اكثر مما تحب اى انسان آخر ! ! »

- قد تكونين على حق .. ولكن هذا غريب ! كيف لم افكر فى هذه الناحية قط ؟ من المؤكد انك على حق .. وانا لا اريد ان تعشيرينى عاجزا عن الصفح .. لا احب ذلك منك انت على الخصوص يا ايرين ! !
ما هذا الذى يقوله فرتز ؟ ! انراه يفوه بهذه العبارات متعمدا ، ام انه توارد خواطر عجيب ، وصدفة مرعبة خطيرة ؟ .. وعاد الشك يقبض على عنقها بيد من حديد عندما استطرد زوجها بقول : « لقد الفيت

الحكم ! ان العقوبة التي وقعتها على (هيلين) قد رفعت ، وسأذهب بنفسى لاخبرها بذلك فهل انت مسرورة منى ؟ وهل لك رغبة اخرى تريد ان الافضاء بها الى ؟ انك ترين اننى اليوم فى حالة معنوية طيبة، ولعل مصدر ذلك معرفتى فى الوقت المناسب بأننى ارتكبت عملا ظالما .. ان رفع الظلم يريحنا يا ايرين لان فيه دائما متنفسا للثقيل التى تنوء بها صدورنا .. »
وما كاد ينتهى من الكلام حتى دنت منه ايرين ، ودنا هو منها مسرعا كما لو كان يريد ان ينتزع منها السر الذى تنوء بحمله طوال هذا الزمن .. ولكن ما كادت نظراتها تلتقى بنظراته حتى تخاذلت ، وأخذت قواها فى الاضمحلال فلم تستطع الى الاعتراف سبيلا ! .. أنه عبث لا طائل تحته . فليس فى مقدورها ان تبوح بالسر الذى تاكل نيرانه صدرها أكلا وتلتهم فيه الراحة والسلام .. ان الخطر يضيق عليها الخناق من كل جانب ، ويحاصرها شيئا فشيئا .. ولكنها أيقنت أنه لم يعد لها مهرب من المقادير !! وعادها الفرع من انتضاح امرها ، واكتشاف جريمتها !

- ٦ -

◆ اختفت المرأة اربعة ايام لم تظهر خلالها .. غير ان هذا لم يكن من بواعث العظمانيّة عند ايرين .. فكانت اذا ما دق جرس الباب وثبتت بسرعة اليه لتلتقى بنفسها خطاب التهديد المتوقع ! .. بل لقد كان يضيق صدرها من عدم وصول الخطاب المشؤوم .. لان وصوله ، ودفع الاتاة المطلوبة ، كان يريحها يوما او يومين على الاقل تقضيها فى صحبة اولادها فى هدوء .. ويمكنها من الخروج من المنزل والتريض فى بعض انحاء المدينة .. وبينما هى فى المنزل ، فى اليوم الرابع ، اذا بجرس الباب يدق ! فهزولت الى الباب لترى من الطارق .. واذا ذاك ادهشها ان ترى امامها امرأة بدت لها غريبة لاول وهلة ، ولكن لم تمض برهة قصيرة حتى تراجعت ايرين الى الورا مذعورة .. فلم تكن تلك المرأة الا .. « هى » ! وكانت تلبس ثوبا جديدا ، وقبعة جميلة .. وعاجلت ايرين بقولها : « أهذه انت يا مدام فاجنر ؟ اننى مسرورة للغاية بلقائك ، فلدى امر هام أريد التحدث فيه اليك .. » كانت ايرين متكئة على قبضة الباب حتى لا تهوى على الارض من هول المفاجأة .. وقبل ان تتمكن من الكلام دخلت المرأة الى المنزل ، ووضعت جانبا مظلتها الحمراء - التى ابتاعتها ولاشك بجزء من المال الذى دأبت على ابتزازه منها ! ثم دخلت الى المنزل فى غير تردد كما لو كانت تسير فى ردهات بيتها .. وراحت تجيل الطرف فى اثاث المنزل الفخم الجميل ،

وتتقدم دون أن تنتظر دعوة من ربة الدار ، متجهة الى حجرة الاستقبال ..
وأشارت الى الغرفة فى سخرية قائلة :
- هنا سنجلس ، اليس كذلك ؟

وحين لاحظت علامات الدعر مرتسمة على وجه ايرين ، أردفت تقول : « اننى
سأنتهى من الحديث بسرعة ، اذا كان وجودى يضايقك ! »
تبعته ايرين دون مقاومة ، وهى تظن أنها تحلم ، فلم يكن يجول بمخيلتها
قط أن تبلغ الجراة بتلك المرأة الى حد حضورها بنفسها الى منزلها على هذا
النحو السمج الكريه ! .. وألقت المرأة بنفسها على أحد المقاعد فى جلسة
هادئة مستريحة ، وهنا ثارت ثائرة ايرين وانفجرت صائحة : « ماذا تريدن
منى أيتها التعسة ؟ ألم يكفك ابتزاز أموالى فجئت الى بيتى لفضيحتى ؟
وكيف تجرؤين على تعقبى الى منزل على هذا النحو ؟ اننى لن أسمح لك
بالاستمرار فى تعذيبى على هذا النوال .. اننى .. »

فقاطعتها المرأة قائلة فى هدوء وقلة مبالاة : « لا ترفعى صوتك هكذا ، ان
باب الغرفة مفتوح وقد يسمعك الخدم ! لست أقول هذا لحسابى الخاص ،
فان الامر يستوى عندى ان يسمعنا الخدم أو لا يسمعونا .. فهذا آخر
ما أهتم به وآبه له ، لان الحياة فى السجن لن تكون أردأ من الحياة التى
أحياها الان ! .. أما بالنسبة لك أنت يا مدام فاجنر ، فانه يتحتم عليك أن
تكونى أكثر حذرا .. دعينى أغلق باب الحجرة أولا ما دمت ترغبين فى الصباح
هكذا ! وبهذه المناسبة أحب أن أقول لك بأننى لا أهتم بالشتائم على الإطلاق !! »
ماذا تستطيع ايرين أن تفعل أمام هذا الشيطان المريد ؟ لقد انهارت قوتها
.. وجف حلقها .. وهدأت ثائرتها .. وانتظرت فى استسلام قدرها المحتوم !
.. أما المرأة فاستأنفت تقول : « والآن يامدام فاجنر ، سأقول لك ما أريد
قوله دون لف أو دوران : ان حالتى تسوء كما تعلمين ، وأذكر
اننى سبق أن أخبرتك بذلك .. وأنا اليوم فى حاجة ماسة الى
نقود لاسدد ايجار منزلى الذى تراكم على منذ أمد طويل ، كما اننى مدينة
بمبالغ أخرى كثيرة .. واننى أرغب فى أن أرتب أمورى بعض الشيء ، لذلك
جئت اليك لأخذ مبلغ أربعمائة فرنك !! »

هالت ايرين ضخامة المبلغ المطلوب .. فصاحت قائلة :

- هذا مستحيل ! فليس معى هذا المبلغ الآن .. لقد أعطيتك هذا
الشهر ثلثمائة فرنكا ، فمن أين لى أن أحصل على المبلغ الذى تطلبين ؟
- انك تستطيعين تدبير الامر على كل حال . لا تتعجلى ، بل فكرى مليا ..
ان امرأة فى مثل ثرائك تستطيع الحصول على أى مبلغ من المال تريده ، متى
صحت نيتها ! .. أعود فأقول لك لا تتعجلى وفكرى مليا يامدام فاجنر .
وسوف تسير الامور بعد ذلك على ما يرام !

- ولكنى لا أملك هذا المبلغ الآن .. لقد كنت مستعدة لان أجيبك الى طلبك عن طيب خاطر لو كان المبلغ معى، ولكنى لا أملك مبلغا كبيرا كهذا .. قد أستطيع أن أعطيك مائة فرنكا مثلا !

- بل اننى فى حاجة الى الاربعمائة فرنك التى حدثتك عنها كاملة !
نظقت المرأة بهذه الكلمات فى غلظة كما لو كان اقتراح منحها مائة فرنك قد خدش كرامتها ! .. فصاحت ايرين يائسة :

- أوكد لك مرة أخرى اننى لا أملك اربعمائة فرنك فى الوقت الحاضر .. وهنا بدأ يساور الزوجة الخوف من احتمال وصول زوجها - فان وصوله كان متوقعا فى أية لحظة - فاستطردت تقول : « أقسم لك بأننى لا أملك هذا المبلغ الآن ! »

- اذن فحاولى الحصول عليه

- هذا مستحيل !

وهنا راحت المرأة تحملق فيها من قمة رأسها الى أخمص قدمها ، كما لو كانت تزنها وتريد أن تقدر ثمنها وكم تساوى .. ثم قالت لها : « وهذا الخاتم .. مثلا ! ما رأيك فى أن ترهنيه ؟ ان هذا يسهل سير الامور فى الحال .. وأنا لا افقه شيئا فى الجواهر - فلم يحدث ان كنت أملك منها فى يوم من الايام شيئا ولكننى اعتقد أن هذا «الشيء» اذا رهن أمكن الحصول على اربعمائة فرنك فى غير عناء ! »

فقاطعتها ايرين مذعورة : « تعنين خاتمى هذا ؟ »

باللهول ! .. انه خاتم خطوبتها ، وهو الوحيد الذى لم يفارق أصبعها لحظة واحدة .. وكان مصوغا على حجر نفيس ! .. لكن اللعينة أجابتها : « ولم لا ؟ اننى سأبعث اليك بايصال الرهن حتى تتمكنى من استرداده متى تشائين .. وستجدينه حينئذ بلا ريب ، لاننى لا أريده .. فماذا تستطيع فتاة فقيرة مثلى أن تصنع بخاتم ثمين كهذا ؟

- لماذا تضطهديننى على هذا النحو ؟ وتمعين فى تعديبى هكذا ؟ اننى عاجزة عن فعل ما تريدن .. لا أستطيع ! عليك أن تفهمينى يا هذه . لقد رأيت كيف اننى فعلت كل ما أمكننى لارضائك .. فهلا قدرت موقفى وأشفقت على ؟ »
- ان احدا لم تأخذه الشفقة على ، فقد تركنى الناس أكاد أموت جوعا .. فلماذا تأخذنى اليوم الشفقة على امرأة غنية مثلك ؟

وبينما ايرين تتأهب للرد اذا بالدم يجمد فى عروقها ! ألم يكن باب المنزل هو الذى فتح وأغلق فى تلك اللحظة ؟ انه زوجها بالتأكيد قد عاد من مكتبه .. ان الثوانى ثمينة الآن ، فلم تشأ ايرين أن تفقد ثانية واحدة منها .. وهكذا سارعت بانتزاع الخاتم من أصبعها وأعطته للمرأة ، التى اختطفته منها اختطافا وأخفته فى طرفة عين .. ثم قالت لايرين :

- لا تخافى ! اننى ذاهبة ..

وانصتت ايرين مشدوهة الى خطوات رجل يتقدم بخطوات وثيدة الى حجرة الاستقبال .. وفتح باب الغرفة ودخل منه زوجها ، فحيته ، اما هو فقد ألقى نظرة قصيرة على المرأة القريبة الموجودة مع زوجته دون أن يظهر عليه اقل اكتراث ..

وهنا انصرفت المرأة .. فقالت ايرين موجهة الكلام الى زوجها : « هذه امرأة جاءت تطلب منى صدقة » .. فلم يجب زوجها ، بل اتجه الى غرفة المائدة حيث كان الطعام قد أعد .. وشعرت ايرين بأن نسيمات الهواء تلسعها لسعات نارية فى المكان الذى كان يشغله الخاتم من أصبعها ! وخيل اليها ان جميع الانظار تتجه الى ذلك الحيز الصغير الابيض الذى ظهر فى أصبعها بعد انتزاع الخاتم منه .. فجاهدت فى اخفاء يدها أثناء تناول الطعام ! ولكن التفزز الشديد الذى اعترى أعصابها جعلها تظن ان نظرات زوجها قد تركزت فى مكان الخاتم بالذات .. فعمدت الى تضليله بتوجيه الكلام اليه تارة ، والى الاولاد تارة أخرى ، والى المربية تارة ثالثة .. ولكن الحديث كان ينتهى فى كل مرة الى التوقف والجمود ! .. وعبثا حاولت التعمسة الظهور بمظهر المرح ، بتكلف الضحك ومداعبة ولديها .. فقد كانت تشعر شعورا عميقا بأن جميع من حولها يدركون أن كل محاولاتها زيف وتضليل ! .. فلم تجد بدا آخر الامر من السكوت .. وسكت الآخرون بدورهم ، فلم يعد يسمع فى الحجرة غير رنين الاطباق الخافت ، ممتزجا بصوت أدوات المائدة الذى كان يبعث فيها الخوف والرهبة . وعلى حين غرة فاجأها زوجها بهذا السؤال : « لماذا لا تضعين خاتمك اليوم فى أصبعك !! ؟ » .. فانتفضت ايرين كما لو أصابها مس من الكهرباء فى صميم القلب .. وكأن هاتفا مخيفا قد هتف فى أعماق نفسها ينذرها بدنو العاصفة واقتراب الاجل المحتوم ! .. لكن غريزة المقاومة دفعتها الى الاستمرار فى الدفاع عن نفسها حتى الرmq الاخير .. فلتجيب على سؤال زوجها ، ولتبحث عن اكلوبة جديدة ، ولتكن الاكلوبة الاخيرة ! وأجابته بقولها : « لقد .. لقد بعثت به الى بائع الجواهر ليصقله .. وسأذهب لاخذه بعد غد ! »

لقد حددت بنفسها التاريخ .. وانها لتشعر الآن بشعور غريب يخترم قلبها ، شعور لم تعهده من قبل .. انه الشعور بالراحة .. لقد عرفت الآن مصيرها ، وحددت تاريخه .. فهي تعرف على الاقل ماذا ينتظرها على وجه التحقيق .. ولقد ران عليها هدوء عجيب .. وتدفق فيها النشاط من جديد .. وان لبين جنبها الآن من القوة ما يمكنها من أن تحيا ، ومن أن تموت .. !

انها قد تستطيع ان تبدأ حياتها من جديد لو أتاحت لها الفرصة .. ولكن كيف السبيل ؟ لقد وضحت لها حقيقة لا مرأى فيها ، وهى انها لم تعد قادرة على تحمل عبء الحياة التى تحياها فى مهبط هذه الاعاصير .. فهى عاجزة عن أن تحيا حياة امرأة زانية ، أو امرأة مطلقة ، فهذان لوانان من الحياة الفاضحة الملوثة لا تطيقها ايرين التى نشأت بين أعطاف التدليل والنعيم ! ولم يعد فى طاقتها أيضا أن تقاوم أكثر مما قاومت .. أما الاعتراف فقد وثقت من أنها عاجزة عنه عجزا مطلقا ، بل لعلها تراه الآن من المستحيلات !
واذن .. لم يبق أمامها الا سبيل واحد للنجاة من هذه الاخطار المحدقة بها من كل جانب .. وهو سبيل اذا سارت فيه ، فانها لن تعود !

- ٧ -

♦ عمدت ايرين فى صبيحة اليوم التالى الى اعادة ترتيب بعض شؤونها الخاصة الصغيرة .. فبدأت بحرق خطاباتها ، وتجنببت رؤية أطفالها قدر المستطاع ، كى لا تضعف أو تجد أسبابا تدفعها الى التعلق بأهداب الحياة، والعدول عن القرار الذى عولت على اتخاذه ! .. ثم خرجت تسعى الى لقاء المرأة المشؤومة للمرة الاخيرة ، فراحت تذرع الشوارع شارعا شارعا ، ولكن فى غير انفعال أو اضطراب فى هذه المرة .. ان شيئاً فى أعماقها قد تحطم ، فجعلها تتخلى عن المقاومة والكفاح .. وهكذا ظلت هائمة فى الشوارع ساعتين كاملتين ، ولكنها لم تعثر للمرأة على أثر فى أى مكان .. وبدأت لها ملامح المارة فى هذه المرة صماء لا أثر فيها لتعبير أو حياة .. فكان هؤلاء الناس من عالم آخر غير العالم الذى تعيش فيه .. وبينما هى على هذه الحال ، خيل اليها انها لمحت بين الناس رجلا يشبه زوجها ، فارتعبت ، ولكن من ظننته زوجها قد ضاع فى الزحام فلم تعد تراه . اختفى قبل أن تتحقق من شخصيته ! .. وانستها حالتها النفسية الوقت ، فلما عادت الى منزلها تبينت انها قد تأخرت ساعة عن الموعد المعتاد لتناول الغداء .. ومع ان زوجها كان دقيقا فى مواعيده الا أنه وصل فى هذه المرة بعدها بعدة دقائق ، وكان يبدو عصبى المزاج قليلا !

انها تعد الساعات الآن قلقة مدعورة من طولها وتباطؤها ، فهى لم تعد فى حاجة الى وقت طويل لتودع كل هذه الاشياء التافهة التى تحيط بها .. لقد تبلدت أعصابها وترهلت .. واذا بها تعود الى الخروج والسير فى الشوارع على غير هدى دون أن تفكر فى شيء ، أو تتطلع الى شيء ! .. ما الدأ ان لا يفكر الانسان فى شيء ، وان يستشعر فى داخله ذلك الشعور الغامض باقتراب نهايته !

وبيئنا هي كذلك ، رفعت بصرها دون قصد الى اللافتة التي تحمل اسم الشارع الذي تسير فيه ، فما كان اشد دهشتها اذ رأت نفسها امام منزل عشيقها ! أمصادفة هذه أم الهام ؟ أترأه يستطيع مساعدتها ؟ انه لا شك يعرف عنوان تلك المرأة .. وأدهش ايرين أن أمرا بسيطا كهذا لم يخطر على بالها من قبل .. وأحست بدبيب الحياة يسرى في أوصالها المشلولة ! ان أول شيء كان ينبغي أن تفكر فيه هو أن تستصحب عشيقها الى حيث تلك المرأة الفاجرة لتأمرها بأن تكف عن اضطهادها وتعذيبها وابتزازها .. وربما أمكنه اقناعها بمفادرة البلدة نهائيا لقاء مبلغ معين من المال !! .. وانها لتشعر بالاسف الآن لانها أساءت معاملة هذا العشيق في المرة الاخيرة التي تقابلا فيها معا .. انه لاشك سيخف الى نجدتها .. حقا انه لامر عجيب ان تلوح أمام ناظرها بارقة الامل في النجاة وهي أقرب ما تكون الى نهايتها المحتومة !

صعدت ايرين سلم منزل الموسيقى الشاب ، مرعة لاهثة الانفاس .. وما كادت تصل الى الباب حتى ضغطت على الجرس . ولكن احدا لم يجب فراحت تنصت بانتباه .. وظنت انها تسمع وقع اقدام حذرة خلف الباب .. فضغطت على الجرس مرة ثانية . ولكن الصمت المشوب بهمة خافتة ، وحركة خفيفة ، عاد يخيم على داخل المنزل ! فنفذ صبرها ، وأخذت تضغط على جرس الباب بحركة عصبية ودون توقف .. ان حياتها أصبحت في كفة القدر ، وكل شيء في سبيل انقاذها يهون !!

واذا بصوت المفتاح يدور .. ثم يفتح الباب مواربا .. فقالت ايرين



هامسة : « هذا أنا .. ؟ » ففتح الباب على مصراعيه وظهر على عتبة « ادوار » متلعثما يقول « أهذه أنت ؟! أنت هنا يا مدام .. لقد كنت أرجوك المعلقة ، فلم اكن أتوقع زيارتك هذه .. أرجوك المعلقة عن هندامى المشعث .. » نطق ادوار بهذه العبارات المتقطعة دون أن يفسح لها الطريق لتدخل ، بل كان يكلمها وهي لم تزل على عتبة الباب ، كأنها من طالبات الاحسان ! .. فقالت له ايرين في عصبية ظاهرة : « اننى أريد أن أحدثك في امر هام ، فعليك أن تخف الى نجدتى .. هلا تركتنى ادخل ، وتكرمت بالاصغاء الى دقيقة واحدة فقط !! ؟ »

فأجابها مرتبكا وعيناه تتطلعان الى غرفة جانبية من المنزل : « اننى أتمس منك المذرة .. فانى .. وخصوصا فى هذه اللحظة .. لا أستطيع!! »
 - بل يجب عليك أن تصفى الى : ان كل ما يصادفنى من أهوال انما هو بسببك .. وان الواجب ليحتم عليك مساعدتى ، ويحتم عليك أن لاتدخر جهدا فى سبيل اعادة الخاتم الى .. فان لم تفعل فلا أقل من أن تخبرنى بعنوان تلك المرأة .. انها لا تتوقف عن ملاحقتى فى كل لحظة وكل مكان ، وان كانت قد اختفت فى هذه اللحظة بالذات التى أنا فى حاجة الى لقائها فيها ! .. والآن عليك أن تساعدنى .. هل تسمعنى ؟ يجب عليك .. يجب !!
 أصفى اليها الشاب ذاهلا ، بينما استمرت تقول : « آه ، نعم ! هذا صحيح .. أظنك لا تعرف ! أظنك لا تعرف ان عشيقتك السابقة قد رأتنى وأنا خارجة من عندك فى المرة الاخيرة . ومنذ ذلك الحين وهى تتعقبنى وتهددنى بالفضيحة ! .. انها تعذبنى بشتى وسائل التعذيب . وفى آخر مرة لقيتنى فيها طلبت منى خاتمى ! اقول لك يجب أن أراها اذ يتحتم على أن أستردها هذا الخاتم قبل حلول المساء .. لقد قلت لزوجى ان الخاتم سيكون معى هذا المساء .. فبربك ساعدنى !

- ولكن .. ولكننى !

- هل تريد أن تساعدنى ام لا ! ؟

- ولكننى لا أعرف انسانا ما بهذه الاوصاف ، ولا أعرف من تقصدين بكلامك .. فلم يحدث قط ان كانت لى علاقات بنساء يهددن بفصح الاسرار !

- آه ! انك لا تعرف من هى اذن ! لعلها قد اخترعت كل هذه القصة اختراعا .. ولكنها تعرف اسمك مع ذلك كما تعرف عنوان منزلى ! لا أحسبك تريد أن تقول بأنه ليست هناك امرأة تمنع فى تعذيبى وتهديدى وملاحقتى فى كل مكان .. من الممكن جدا أن اكون حاملة وأنا أحدثك هنا عن كل هذه الامور !

وضحكت ضحكة مدوية .. فحسبها برهة قد جنت ، اذ كان يشع من عينيها بريق غريب ، وكان مسلكها يبعث على الدهشة .. فأخذ الموسيقى الشاب يجيل الطرف فيما حوله خائفا وهو يحاول جهده أن يهدىء من روعها .. قائلا لها : « أرجوك أن تتمالكى اعصابك .. وأؤكد لك انك مخطئة .. اذ من المستحيل أن .. لا ! اننى بدورى لا اكاد أفهم شيئا مما يجرى حولى .. فانا لا أعرف نساء من هذا الطراز .. أؤكد لك صدق ما أقول ! فالعلاقتان الوحيدتان اللتان كانتا لى فى الفترة القصيرة التى قضيتها منذ وصولى الى هذه البلدة - وانت تعلمين ذلك جيد العلم - لم تكونا مع نساء من هذا الصنف .. اننى لا اريد أن أذكر أسماء .. ولكن هذا مضحك حقيقة ..

وأعود فأؤكد لك انه لا بد وأن تكون هناك غلطة كبرى بشأن هذا الموضوع !

- اذن فأنت لا تريد معاونتى ؟

- اننى أريد .. اذا استطعت

- اذن تعال نذهب اليها معا !

- ولكن الى من نذهب ؟ الى من ؟

فقبضت ايرين على ذراعه بقوة ، بحيث عاوده الظن بأنها قد جنت :

- لنذهب اليها معا ! هل تريد ذلك أم لا ؟ !

- بالتأكيد .. بالتأكيد !

- تعال اذن ! ان المسألة بالنسبة لى مسألة حياة او موت !!

بدل الشاب مجهودا كبيرا كى لا يضحك .. وأجاب ببرود ظاهر :

« معذرة ياسيدتى .. فان هذا ليس مستطاعا بالنسبة لى فى هذه اللحظة ..

فقد بدأت فى اعطاء أحد دروس البيانو ، وليس فى امكانى أن أقطع الدرس

الآن .. »

فضحكت ايرين ضحكة عصبية وقالت : « آه ! آه ! او تعطى درسا فى

البيانو وانت بهذا الهندام الاشعث ؟ يالك من كذاب !! »

وانطلقت ايرين كالسهم الى داخل البيت .. فحاول ان يصدها ، لكنه

لم يتمكن ، فقد راحت تصيح فيه : « لعلها هنا معك .. هذه المرأة الاثيمة

ولعلك تشاركها فى مؤامرتها الحقيرة وتقاسمها المبالغ التى تبتزها منى ..

اننى أريد أن أراها .. فلم أعد أخشى شيئا بعد الآن . ! »

وكانت تهدر وهى تتكلم هديرا مجنونا .. فأمسك بيديها ، ولكنها انفلتت

من قبضته واندفعت نحو باب غرفة النوم !

كان شخصا ما خلف باب تلك الغرفة واقفا ينصت فى انتباه شديد ..

فما كادت ايرين تفتح الباب حتى تراجع ذلك الشخص امامها .. واذا

بها وجها لوجه امام امرأة .. ولكنها لم تكن تلك الشيطانة التى تتبعها ،

بل كانت امرأة اخرى ذات هندام اشعث مثل صاحبها ! .. وما كاد بصر

المرأة يقع على ايرين حتى ادارت لها ظهرها .. بينما اندفع ادوار المسكين

وراء ايرين وقد حسبها جنت فعلا ، ليحول دون وقوع شر مستطير بين

المرأتين ! .. لكن ايرين خرجت من المخدع تتمتم فى خجل وقد صدمتها

المفاجأة : « معذرة ! »

لقد عرا المسكينة ارتباك شديد ، وخارت حتى لم تعد قادرة على الحراك ،

ثم عادت تتمتم امام نظرات ادوار الزائفة بهذه العبارات المتقطعة : « معذرة !

غدا .. غدا ستفهم كل شيء .. اما اليوم فأنا نفسى لا أنهم شيئا !! »

وكانت تخاطبه كما لو كانت انسانة غريبة عنه ، لا امرأة كانت خليلته

منذ اسابيع معدودة .. انها لا تكاد تشعر بأنها كائن حى فى الوجود ،

فهي تتخبط في دياجير ظلام كثيف مخيف .. ولكنها بدأت توقن من شيء واحد ، هو أن أكاذيب ضخمة تنسج خيوطها حولها ! ولكن الاعياء قد بلغ بها حدا لم تستطيع معه أن تفكر في شيء .. فتركت منزل « ادوار » ونزلت الدرج مغمضة العينين ، كالمحكوم عليه بالاعدام وهو يسير الى المقصلة !



♦ كان الشارع مظلمًا عندما خرجت ايرين من منزل « ادوار » وهي تأمل أن تجد المرأة في انتظارها في مكان ما .. فلعل النجاة تأتيها في اللحظة الأخيرة ! .. واستشعرت رغبة قوية في أن تضم يديها الى صدرها وتصلي الى الله الذي نسيته منذ أمد طويل .. آه لو مد الله في فترة هذه « الهدنة » حتى حلول الصيف ؟ ! اذن لربما تمكنت من الخلاص نهائيا من بين براثن تلك الشيطانة ، عندما تغادر هي البلدة أثناء الصيف الى الضواحي .. ولكن ، ما أبعد الزمن بينها وبين الصيف !

سارت تترنح في الشارع وهي تحملق في وجوه الناس ، وخيل اليها انها رأت سحنة تشبه سحنة زوجها .. فأبطأت في المسير لتكون على بصيرة من أمرها ، ولكن سحنة الرجل الذي ظنته زوجها كانت قد اختفت .. فعاودت السير والقلق ينتهبها ، واحساس غريب يهيء لها أن انسانا ما يتعقبها ! .. وتطلعت الى الخلف ، لكنها لم تجد احدا .. ولاحت لها صيدلية على مقربة منها ، فمضت اليها ، وقدمت الى الصيدلي تذكرة دواء تبقي الحصول عليه .. فتسلمها الصيدلي منها وأخذ في تركيب الدواء المطلوب ، وايرين تتابع جميع حركاته في يقظة وانتباه دون أن تفلت منها حركة واحدة .. بينما كانت تتصاعد الى أنفها رائحة العقاقير التي يمتلئ بها في العادة جو الصيدليات ، تلك الرائحة التي طالما أحببتها ايرين في صباها حتى لقد كانت ترجو أمها أن ترسلها الى الصيدلية كلما احتاجت الى دواء .. وهنا اعترتها رعشة مخيفة : تذكرت في تلك اللحظة فقط انها قد نسيت أن تودع أمها ، وشعرت بأسى على مصير تلك المرأة التمسعة عندما يصك سمعها بالخبر المشؤوم ! .. وكان الصيدلي في تلك اللحظة يعد النقط التي كانت تتسرب خلال انبوبة زجاجية لتستقر في زجاجة صغيرة زرقاء ، فلما نظرت الى تلك النقط جمد الدم في عروقها ، وببست مفاصلها ، لانها ابصرت فيها ذلك الموت البشع الذي يتربص لها !

وهنا أحكم الصيدلي وضع غطاء الزجاجاة الصغيرة وسلمها الى ايرين وهو يقول : « الثمن فرنكان » .. فردها صوت الصيدلي الى الصواب من غاشية قصيرة كانت قد ألت بها ، وأجالت بصرها الحائر فيما حولها ، وفيمن حولها.

ثم دست يدها فى حقيبتها وأخرجت المبلغ المطلوب ، وظلت تنظر اليه وهو لم يزل فى يدها ، وتحصيه فى تباطؤ آلى ، وتثاقل غير متعمد !
فى تلك اللحظة أحست بقبضة حديدية تطبق على ذراعها بعنف ، فسقطت النقود من يدها على رخام مائدة الصيدلى .. واذا بيد تمتد الى الزجاجة وتختطفها فى طرفة عين !

تلفتت مذعورة لترى من عساه يكون، فجمدت كالتمثال .. اذ رأت ان الواقف بجوارها لم يكن سوى زوجها .. وقد زم شفتيه، وشحب وجهه، وبلل العرق جبهته !

كادت ايرين تهوى على الارض مفشيا عليها ، ومالت الى الامام متكئة على المائدة الرخامية . لقد تحققت فى تلك اللحظة من أن السحنة التى كانت تتبعها فى الشارع محتمية بالظلام لم تكن الا سحنة زوجها فعلا ، وانه لا شك كان يقتفى أثرها ، ويتجسس عليها !

وهنا قال لها زوجها بصوت محتبس أجش :

- تعالى !

فأطاعته دون مقاومة .. وانصرفا معا جنبا الى جنب ، وهو ما يزال ممسكا بالزجاجة الصغيرة الزرقاء فى يده .. وبعد برهة قصيرة توقف عن السير ليجفف العرق المتساقط على جبينه .. كل هذا وهى لا تجرؤ على التطلع اليه! .. حتى وصلا معا الى المنزل ، وأخذا فى الصعود .. فتركها تتقدمه ، ولكنها ما كادت تهم بالصعود حتى خارت قواها ، فاستندت الى الحاجز .. واذا ذاك أسرع هو اليها وحماها من السقوط

ودخلا البيت معا ، دون أن ينبس أحدهما ببنت شفة ، ومضت هى الى غرفتها .. فتبعها هو اليها ! .. كل ذلك والصمت المطبق يبسط عليهما وعلى الحجرة جناحين ثقلين .. وهناك ، فى الغرفة ، رفع زوجها السدادة عن قم الزجاجة وأفرغ ما فيها فى أحد الاركان ، ثملقى بالزجاجة الفارغة فى عنف الى أقصى الحجرة ، فأحدثت صوتا دوى فى أذنيها كهزيم الرعد ! واستأنفا صمتها المطبق !! ولكن لم يكن من الصعب على الزوجة ان تستنتج المجهود الجبار الذى يبذله زوجها ليكبح جماح مشاعره ... واخيرا تقدم حتى أصبح على مقربة منها ، بحيث أحست بحرارة انفاسه المكروبة ، ورات بريق عينيه يتوهج نارا فى ظلام الحجرة .. فتوقعت حمما سيقذفها من بركان غضبه ، وأخذت ترتجف اشفاقا من حركة يده التى تم على القسوة .. ان قلبها يكاد يقف .. وانها لتعيش بما تبقى فى اعصابها المشدودة من حياة ! .. واستمر الزوج صامتا ، فهيات ايرين نفسها لتلقى الصدمة .. ولكن ما كان أعظم دهشتها حين سمعته يقطع حبل الصمت ليوجه اليها الكلام بصوت عطوف لا أثر فيه للقسوة على الاطلاق :

- ايرين ! الى متى سنظل نعذب انفسنا على هذا النحو الاليم ؟
كانت هذه الكلمات بمثابة الضربة القوية التي اطاحت بالصمام الضاغط
على اعصاب المسكينة طوال هذه الفترة المرهوبة .. فانفجرت عواطفها
المكبوتة ، وتدفقت دموعها الحبيسة ، وفك اسار انفعالاتها السجينة من
اضلاعها ، فاخذت تنشج نشيج المطعون الذبيح ، ودوى عويلها ، وتعالى
صيحاتها ، وبدأ جسدها ينتفض كأن يدا حديدية قبضت على روحها وراحت تهزها
هزا عنيفا حتى ترنحت من الالم واوشكت ان تهوى على الارض ، لولا ان
سارع زوجها الى التقاطها بين ذراعيه وهو يناديها بصوت يزداد حنانا وعطفا ،
محاوفا ان يهدىء من ثأرتها :
- ايرين ! .. ايرين !

ولكن صوته الحانى لم يستطع ان يكبح جماح هذه العاصفة العاتية
التي تكاد تقبلع قلب المسكينة من جذوره ، ولا تمكنت نظرات العطف التي
تشع من عينيه من تخفيف الالم هذه النفس الممزقة ، والروح المثخنة بالجراح
.. فحملها زوجها بين ذراعيه الى حيث مددها على مقعد طويل ، بينما
كان جسدها يرتعش ويهتز .. وبكائها يزداد .. ونشيجها فى ثورته الهدارة !
ان الالم والخوف اللذين ظلا حبيسين خلف قضبان تلك النفس طوال
ذلك الزمن ، يكادان يجتاحانها اجتياحا ، فلا يبقيان منها الا على ما تبقى
الرياح الهوجاء من الخرائب والاطلال !

وهنا حنا عليها زوجها ، واحتضنها بين ذراعيه ، وضمها الى صدره
بقوة ، واخذ يمسح دموعها ، ويجفف العرق المتصيب على جبينها كالسيل
المنهمر .. وهو يناشدها :

- ايرين ! لماذا تبكين الان ؟ لقد انتهى كل شيء ! اطمئنى ، ((انها))
لن تعود .. لن تعود ثانية ، الى الابد !

دوت هذه العبارة الهادئة فى اذنى ايرين دوى الرعد القاصف ، فكاد
ينشق لها كيائها نصفين .. اما هو فان الالم كان يقطع نياط قلبه وهو يبصر
زوجته فريسة لكل هذه الاوجاع .. لقد خيل اليه انه ذبحها ذبحا .. فراح
يفمرها بقبلاته ، ويهتف بها فى لهجة النادم المعتذر : «لن تعود اليك هذه
المرأة ثانية الى الابد ! واقسم لك على ما اقول .. اننى لم اكن اتصور انها
ستسبب لك كل هذا الفزع .. لقد اردت ان اذكرك بواجبك كزوجة ، وان
اردك اليه .. حتى تتركى ذلك الشاب الى غير رجعة ، وتعودى اليها من
جديد .. ولم اجد وسيلة اخرى الجأ اليها ، عندما علمت - بمحض
المصادفة - بما بينكما من علاقة .. كما انه لم يكن فى مقدورى ان افاتحك
فى الامر بنفسى ! وكنت قوى الاعتقاد دائما بانك لابد عائدة اليها ، ونادمة
على ما فعلت .. ومن اجل ذلك ارسلت اليك هذه المرأة حتى تنفرك من ذلك

الشاب ، وتزهّدك في التعلّق به .. انها فتاة فقيرة مسكينة ، كانت ممثلة في أحد المسارح ثم استغنى عن خدماتها .. وقد رفضت في بادئ الامر أن تقوم بتمثيل هذا الدور ، وأخيرا قبلت القيام به أمام الحاحي الشديد .. انى ارى الان اننى قد أخطأت التقدير ، وتصرفت في شيء غير قليل من الشطط .. ولكنى لم اكن في تصرفاتى ارمى الى شيء سوى ان اعيدك الى بيتك وزوجك واولادك .. ولطالما افهمتكم ، واوضحت لك في مناسبات عدة ، اننى كنت دائما على تمام الاستعداد للصّبح ، واننى لا ارجب في شيء غير الصّبح .. ولكنك لم تفهمى مقصدى ، غير اننى لم أرد ابدا ان ادفع بك الى هذه الخاتمة .. ولكم تعذبت وأنا ارى فصول هذه المأساة تمثل أمامى ، وأنا ارسد خطواتك !.. لقد فعلت كل ذلك من اجل اولادنا كما تعلمين .. فمن أجلهم أردت ان ارغمك على العودة ، وعلى التوبة ، وها قد انتهى الان كل شيء ، واصلح كل شيء !



♦ كانت ايرين تصفى الى زوجها وكأن صوته منبعث من اعماق الابدية .. ما هذا الذى تسمعه ! ان اعصابها قد غرقت في خضم متلاطم الامواج من الاحاسيس التى لم تستطع ان تتبين كنهها ، او تسبر غورها ، او تدرك حقيقتها !.. ان الدموع لم تزل تسيل من مقلتيها ، ولكنها تشعر الان بانها لم تعد دموعا حرى لاذعة كاوية ، بل دموعا باردة ، ملطفة ، هادئة .. واحست بانسان الى جوارها يغطيها بالقبلات ، فاغى عليها .. وعندما افادت ادهشها ان ترى نفسها وقد نزعّت عنها ثيابها ، وألبست ثياب النوم .. فلما فتحت عينيها ، أبصرت زوجها الى جوار فراشها يرمقها بنظرات الحنو والحب والعطف ، فراحت في نوم هادئ عميق لا تزعجه الاشباح ، ولا يقلقه ذعر او فزع .. هذا النوم اللذيذ الذى حرّمته منذ امد طويل !

وعندما استيقظت في صباح اليوم التالى كان ضوء النهار قد تسلل الى الغرفة .. فشعرت لأول مرة براحة الدعة والاطمئنان وبالدم يجرى في عروقها هادئا .. لم تعد ترى امامها السحب القائمة التى رانت على حياتها ردحا من الزمن .. وحاولت ان تتذكر ما جرى لها ، فكانت كمن يحلم بانه يسقط من حالق في الجو ، ثم يستيقظ فجأة من كابوسه ! .. واخذت تفرك يديها لتقنع نفسها بانها ليست حاملة ، ولتستشعر وجودها المادى في الحياة ..

وفجأة قفزت مدعورة .. ما هذا الذى تراه في اصبعها ! انه الخاتم ! انها ترى الامور على حقيقتها المجردة من كل زيف .. وها هو كل ما سمعته من زوجها يتبلور امامها في هذه الآونة .. فتدرك كل شيء : لقد فهمت في طرفة عين مغزى تلك الاسئلة التى كان ينهال بها زوجها عليها ، كما فهمت

الخوف

سر الدهشة التي استحوذت على الموسيقى الشاب عندما ذهبت اليه لتخبره
بما وقع .. ووضحت امامها هذه الشبكة الدقيقة التي حيكت حولها من كل
جانب .. فشعرت بالمرارة والخجل يفمرانها ، وبدأت تعاودها الرجفة ،
ولكنها رجفة الخجل في هذه المرة .. وندمت على ان استيقظت من تلك الغمرة
العميقة ، وذلك النوم الهادئ اللذيذ !!

وهنا طرق سمعها صوت ضحكات عذبة ، فقد دخل ولداها الى حجرتها
واخذا يلعبان ويصخبان كعادتهما ، وكان صوتهما اشبه بصوت العصافير
التي تفرد منبئة بمولد يوم جديد .. واذا اصفت الى صوت ابنها ادهشها
ان تدرك لأول مرة الشبه الكبير بين صوته وصوت ابيه .. فارتسمت على
شفتيها ابتسامة صغيرة ، واغمضت عينيها ، وظلت بلا حراك ، لتعب من منهل
هذه السعادة عبا ، وتستغرق في احضانها استغراقا ..

انها لم تزل تتألم .. ولكنه ذلك الالم اللذيذ المملوء بالآمال .. ذلك
الالم الذي تحسه في جرحك قبل ان يندمل ، وهو يتقدم حثيثا الى البرؤ
والشفاء !



يونكر دره

جهاز المطبخ
ذو الشهرة العالمية
يدار بغاز شل بوتاجاز
أوبغاز الاستصباح
جودة - ضمان - صيانة

الموزع الوحيد بالنظر المصري =

فتحى ا. شتوده
١٥ شارع عماد الدين القاهرة

تأمين لا نظير له !!

ضد حوادث الطريق
والسكك الحديدية

مقابل جنيه واحد

سنويا !!

تقدمه لك :

شركة جيزال اكسنت للتأمين

منه الحوادث والحريق وعلى الحياة ليمتد

شركة مسجلة تحت رقم ١١٢٢
مقتضى قرار الرزاقى رقم ١١٢٢ لسنة ١٩٩٢

تأمينات سخية

جنيه

- ٥ أسبوعيا تدفع للمؤمن (لمدة اقصاها ٥٤ اسبوعا)
في حالة عجزه عن العمل بعد وقوع الحادث..
- ١٠٠٠ تدفع في حالة الوفاة أو العجز الكلى الدائم..
- ٥٠٠ تدفع في حالة العجز الجزئى الدائم..

مقابل

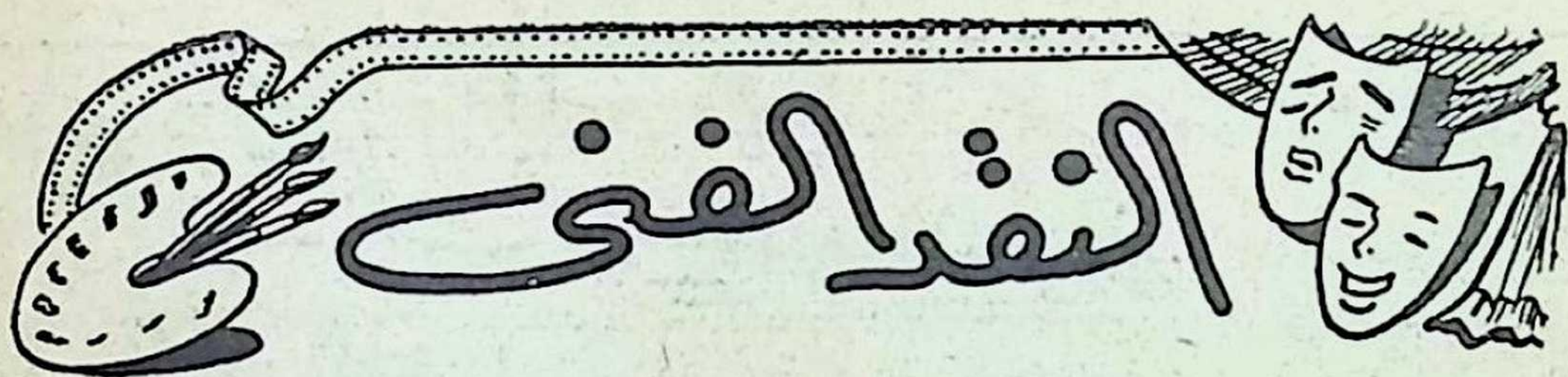
- ١ : جنيه واحد سنويا (يستثنى من هذه الفئة سائقي المركبات التجارية)
- ٢ : جنيهان سنويا لسائقي المركبات التجارية....

للوصول على هذا التأمين وجميع انواع التأمين الأخرى
استشر
المكاتب التأمينية للقطر المصري التوكيدات الشرقية العامة
(مايروبوليس)



قصر النيل رقم ٢٢ - القاهرة
خلف الساعة بمبانى سيمان باسما
تليفون ٥٩٨١٢ - ٥٩٨١٣ - ٥٩٨١٤
سنة الطاعة ٨٩٤٧٣

مزايا هذا التأمين
هذا العقد يعطى تأميناً ضد الإصابات فى أى حادث بسيارة أو مركبة انتقـال (تـرام وخلافه) أو قطار سكة حديد - يستثنى من ذلك الدراجات البخارية - سواء أثناء الصعود اليها أو النزول منها أو أثناء السفر فيها أو عليها أو أثناء قيادة المؤمن لها أو ركوبه بها... كما يشمل التأمين أيضا حالة ما اذا كان المؤمن سائرا على الارض وصدمه قطار أو ترام أو أية مركبة من مركبات المواصلات .



بقلم : كمال الملاخ

◆ انتهى مهرجان «كان»

السينمائي ..

يستعد اصحاب الافلام العالمية
لعرضها في مهرجان «فينتسيا» بعد
شهرين ..

غرفة السينما في مصر تعقد
اجتماعات متوالية ، والنتيجة
المعروفة تحيات وسلامات واشواق،
فان الغرفة لم تصل الى نتيجة بعد ..
ما زالت اقامة مهرجان القاهرة
السينمائي والدعوة اليه فكرة في حيز
الخيال ، لم تقفز بعد الى مرحلة
الواقع .

وهكذا تتوالى الاخبار ، ويتهاوس
اهل الفن السينمائي ، بعد ان اصبح
موسم الشتاء على عتبة الرحيل ،
واقبل الصيف الذي تعاد فيه اغلب
الافلام الناجحة ، لا تحت سقف
دور السينما وانما تحت قبعة
السماء .

وعلى ذكر النقد السينمائي ،
فقد هاجمنا بشدة في العدد الماضي
فيلم «صراع في الوادي» ، وانفرد
«كتابي» بهذا النقد وسط الدعاية

الكبرى التي قامت حول الفيلم ..
وكان اشتراكه في مهرجان «كان»
جزءا من هذه الدعاية .. وقد صح
ما توقعناه ، فلم يلق الفيلم التقدير
الكافي ، ولم يفز بشيء من جوائز
المهرجان

ولسنا نفرح لان فيلما مصريا
فشل في مهرجان دولي ، بل اننا
على العكس نشعر بالاسف .. ولكننا
نسجل هنا مرة اخرى ان ما قدمه
من نقد يتجرد دائما عن الهوى ،
ويقترّب قدر المستطاع من العدالة
الفنية المطلقة .. وقد توقعنا ان
الفيلم لن يقوى على القيام على
قدميه في «كان» مهما بذلت له
الدعاية في مصر ! .. وهذا لا يمنع
بالطبع من ان نشهد بان مستوى
«صراع في الوادي» يعوّ على المتوسط
بالنسبة للافلام المصرية التي
شاهدناها في الشتاء الهارب ..

آثار في الرمال

وقد توالى عدة افلام مصرية في
هذا الشهر ، مازال يعرض منها
حتى الان فيلم «آثار في الرمال» .

مرحبا كان نوع المؤتمرات ..
فهنا لك «المندوبية الدائمة»



كوتيتينثال

الآلة الكاتبة العربية

التي تساعد المؤتمرات على درس
قضايا الساعة وتبجيل
الحلول الملائمة لرباط خط واضح
جميل جلي



محمّد

الموزعون للشرق :

٦٢ شارع إبراهيم
باشا - بالقاهرة

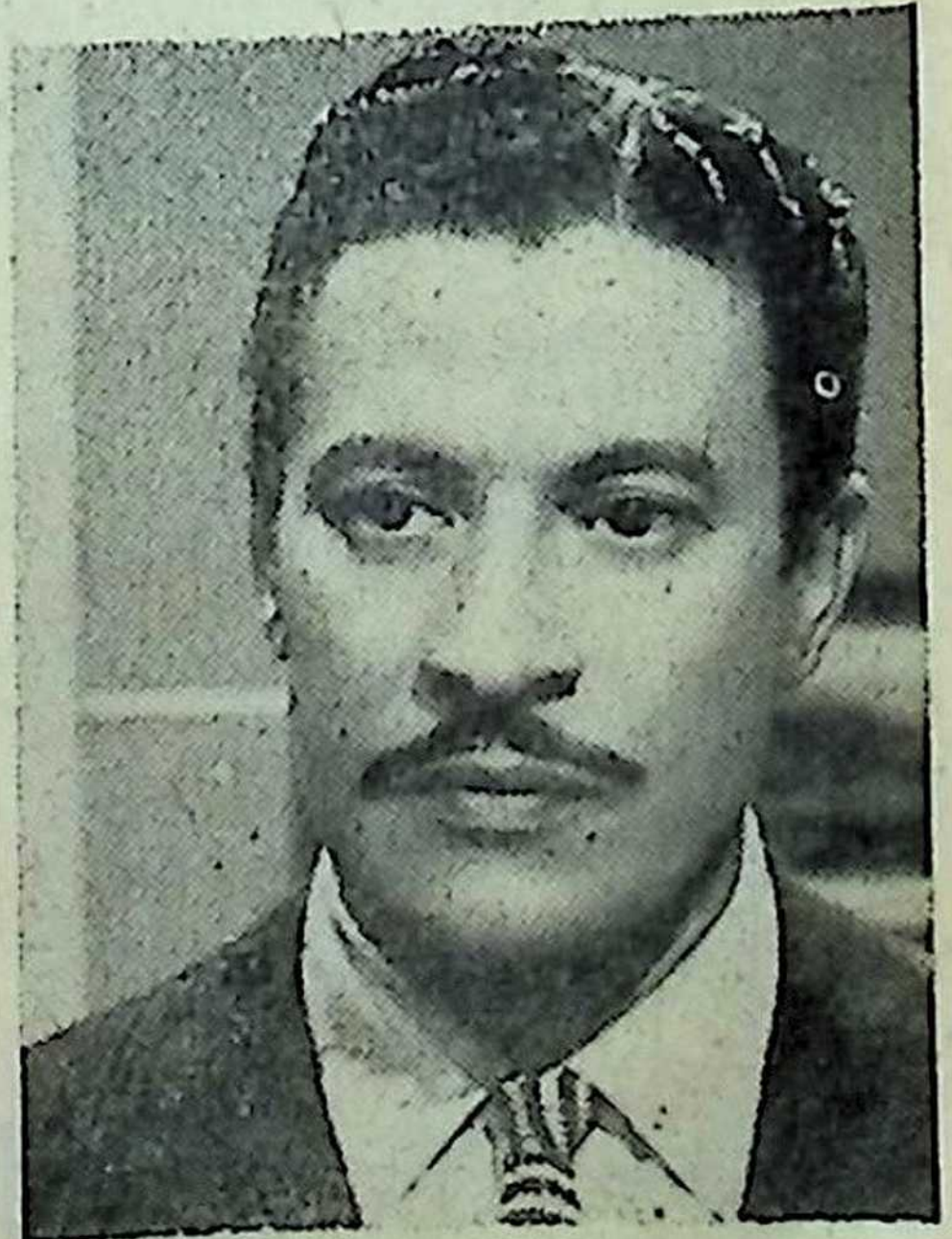
محلات البخار

٨٥١٣٣

وقد كتب قصته وحواره الاديب يوسف السباعي ، وقام بالتمثيل : عماد حمدي وفاتن حمامة وحمدي غيث والطوخي ، وتولى الاخراج : مذكور .

وتدور فكرة الفيلم حول الصراع النفسي الدفين ، عندما تنتاب بطل الفيلم (عماد حمدي) احدي العقد النفسية منذ الصغر .. فهي الى حد ما تشبه فكرة الفيلم الامريكي «الماخوذ» الذي قام بتمثيل الدور الاول فيه جريجورى بيك امام انجريد برجمان ، والذي اصاب نجاحا منقطع النظير من ناحية الفكرة والتمثيل والاخراج .

وكان من الممكن لفيلمنا المصرى (آثار فى الرمال) ان يصل الى



عماد حمدي

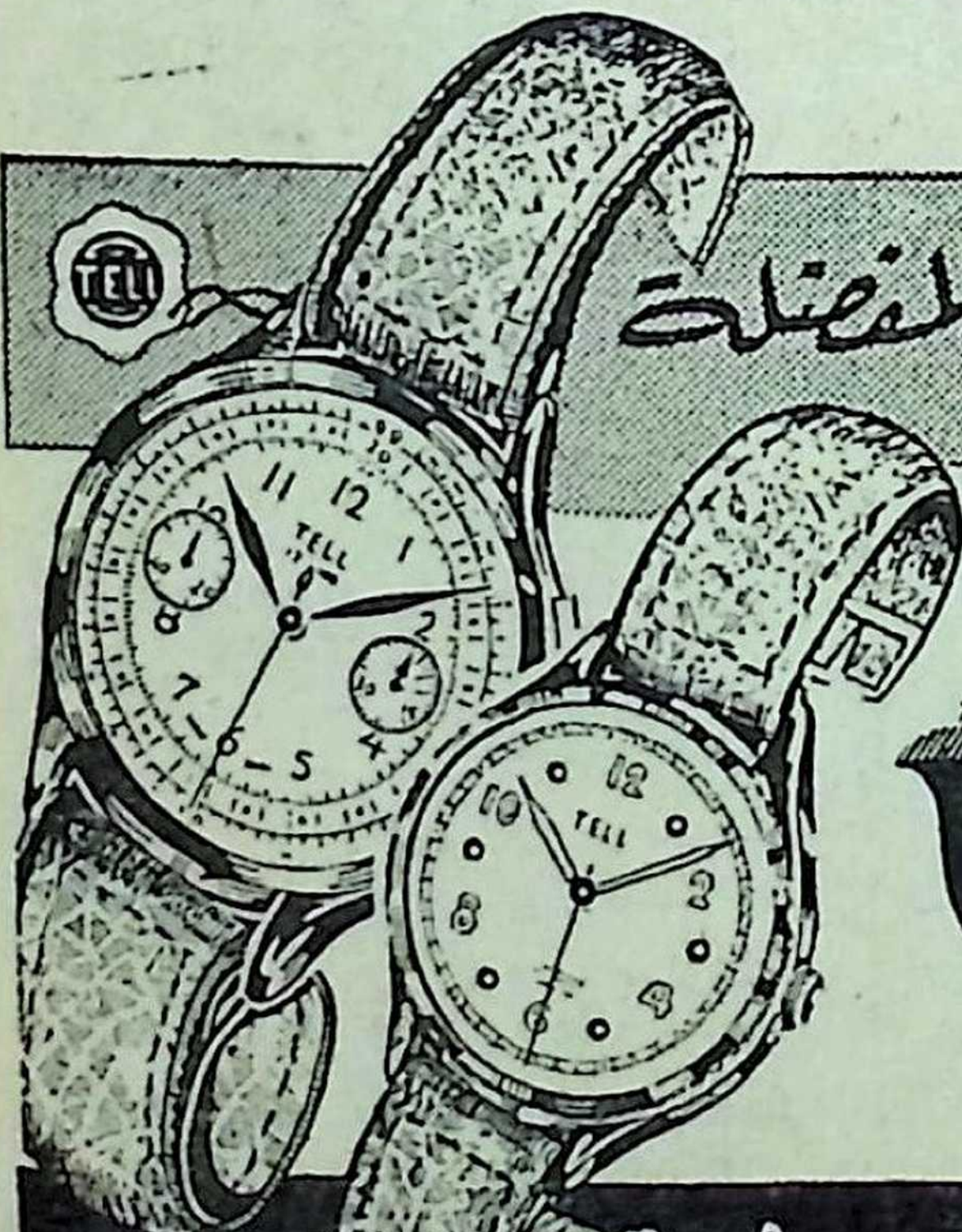
مستوى معقول من ناحية التوفيق والنجاح ، لو اعتنى باخراجيه وتصويره . ولكن ضعف الاخراج والتصوير مزق القصة وجعل حوادث الفيلم تبدو شاحبة «مهزوزة»، معروفة للمشاهد قبل ان يسرد (حبكتها) كما ان لقطات التصوير جاءت ضعيفة . ولا ندرى لماذا لم يبذل المصور اى جهد يذكر اللهم الا اشتراكه مع المخرج فى تصوير (كادرين) فقط لا غير من ناحية المنظور او تركيز الضوء والظلال !!

يبدأ الفيلم فنرى المؤلف الموسيقى الداهل (عماد حمدي) فى صحبة دكتور (حمدي غيث) فى القطار المتجه الى القاهرة ، حيث اقتاد الطبيب مريضه الموسيقى الى عيادة الدكتور النفساني (الطوخي) .. واذا بحديث طويل بين الدكتورين ، وبينهما وبين عماد حمدي ، فى لقطات اقرب الى المسرح منها الى السينما ، اذ تركزت «الكاميرا» على الحوار لا على الحركة والتعبير .. ويستدعى الطبيبان خطيبة الموسيقى (فاتن حمامة) الى القاهرة كي يستعينا بها فى علاجه وكشف العقدة النفسية التى ادت الى ذهوله ... ولكنه لا يعرفها .. وتصطنع (فاتن) موقفا غراميا مع الدكتور لاثارة خطيبها وتحريك وعيه ، ولكنه لا يتأثر ، بل ينعم النظر فى مروحة قائمة ، ويستغرق فى الشرود .. ويلاحظ الدكتور النفسى



☆ فائق حمامه ☆ عماد عمرى

حالياً بسينما ستوديو مصر



الساعة العالمية المفضلة

ش

تباع في جميع
محلات الساعات

الوكيل العام: ادوار يارتيكان - ص.ب. ٥ بمصر الجديدة - ٣٥٢٥٤ - ٣٥٢٥٤

(الطوخى) تأثير المروحة على المريض فيوجه اليها اهتمامه ، ويعمد الى تنويمه تنويما مغناطيسيا لاستدراجه الى الكشف عن سر خوفه من المروحة !

ويشرع (عماد) فى الحديث .. ويترجم المخرج حديثه صورا ومناظر .. فاذا به ينتقل الى ايام صباه ، حين كان فى حوالى السابعة من عمره ، يلهو مع اخته فى حديقة عامة اصطحبهما اليها والداهما .. ويصور الفيلم طبيعة العناد فى الصغيرين .. ثم يبينهما وقد اتفقا على استئجار حمار ركبا معا .. وما لبثا ان صادفا مروحة عالية - من المراوح الهوائية التى تقام على الابار لرفع المياه .. فيقنع الصبى (عماد) اخته بان تصعد سلمها ، لينفرد بالحمار .. وتبعد الصغيرة .. وتوغل فى الصعود .. وفجأة ، تفقد توازنها فتھوى الى الارض صريعة ! .. ومن ذلك اليوم اصيب «عماد» بعقدة نفسية ، اذ خيل اليه انه السبب الاول فى موت اخته .. وظلت المروحة رمزا للجريمة لديه ..

ثم ينتقل المخرج الى مرحلة اخرى من حياة الموسيقى .. اذ تحاب وجارته (فاتن) رغم معارضة جدها اكثر من مرة - وبقدر ما كان الجد معارضا ، بقدر ما غدا متسامحا فى تسليمه وترحيبه بالزواج !! - وتتوالى لقاءات العاشقين فى حدائق

الاسكندرية وشواطئها ، فى الشتاء لا فى الصيف .. ومع ذلك فقد نسي المخرج كل شىء عن المطر والسحب ! .. وفجأة ، ودون مقدمات ولا مبررات ، يصارح «عماد» حبيبته «فاتن» برغبته فى الانفصال لانه يؤمن بان لا خير يرجى من علاقتهما ! ولكن المروحة لم تكن العقدة الوحيدة فى نفس «عماد» .. بل لقد لوحظ انه دائما يحمل حقيبة صغيرة بها كتاب و«اشارب» - كوفية - واذا لا يعرف احدا ما يبرر حرصه على حملها ، يسعى الطبيب «غيث» و «الطوخى» الى كشف سرها ، حتى انهما يهجران عيادتيهما ويصحبانه الى الشاطئ عسى ان يستخلصا السر ..

ولسناندرى كيف غفل المخرج ان يبين لنا الدوافع الشديدة التى تزين لطبيين ان يهجرا عيادتيهما فى سبيل مريض واحد ! .. ولا علاقة «غيث» بعماد .. العلاقة التى تبرر تفانيه فى الاخلاص له ، مع ان الحوادث تبينه جاهلا بكل ما جرى فى حياة عماد !!

نهايته .. يعلم الطبيب ان تابع الموسيقى ان هذا كثيرا ما كان يتردد على ناحية معينة من شاطئ البحر فى الصباح ، فيذهب الى تلك الناحية ، واذا بهما يريان احدي مراوح الهواء .. ويعلمان من حارسها ان شخصا - تنطبق اوصافه على اوصاف «عماد» - يفد

كتاب البحث الطبي

في الامراض البولية والتناسلية المستعصية وتضخم
البروستاتا التي هي سبب العلل في جسم الانسان
وطريقة علاجها بجهاز فهجر الذي لا يستعمله الا مخترعه
مؤلف هذا الكتاب الدكتور فهمى جرس فهجر ٧٨ ش
ابراهيم باشا - ت ٥٦٢٠٤ ويطلب من المؤلف - الثمن
٥٠ مليما

يونكرز

سخان المياه
ذو الشهرة العالمية

يدار بخار شل بوتاجاز
أو بخار الاستصباح

جودة - ضمان - متانة

الموتى الوحيد بالنظر المصرى
فتحى ا. شينوره
١٥ شارع عماد الدين القاهرة

سكك حديد جمهورية مصر

تعلن مصلحة سكك حديد جمهورية مصر مرة أخرى
بأنه لراحة الجمهور قد أعدت مكتبا للاستعلامات بمحطة
سيدى جابر تليفون ٧٣٢٩٥ ومواعيد العمل به من
الساعة السابعة لغاية الساعة العشرين

ويعود في اليوم التالي الى الشاطئ فلا يجد الفتاة .. وانما يفاجأ بـ «آثار في الرمال» بين مقعدها وحافة المياه .. ثم يشير على كتابها وكوفيتها ، فيدرك انها انتحرت .. ويأبى المخرج ان يعتمد على ذكاء المتفرج ، فيعيد عليه قصة الانتحار كما تصورها البطل !
ومرة اخرى ، يعتقد «عماد» انه سبب موت هذه الفتاة ، بما رواه لها عن بطله القصة التي قراها .. فيحتفظ بآثارها !

❖

واحب ان اقدر للمخرج والمصور لقطتين رائعتين .. الاولى لظلال المرحلة وقد ترامت على جثة أخت «عماد» .. والثانية لآثار الرمال بين المقعد والبحر .. وكانت الموسيقى المصاحبة لكل منهما لاتقل روعة !

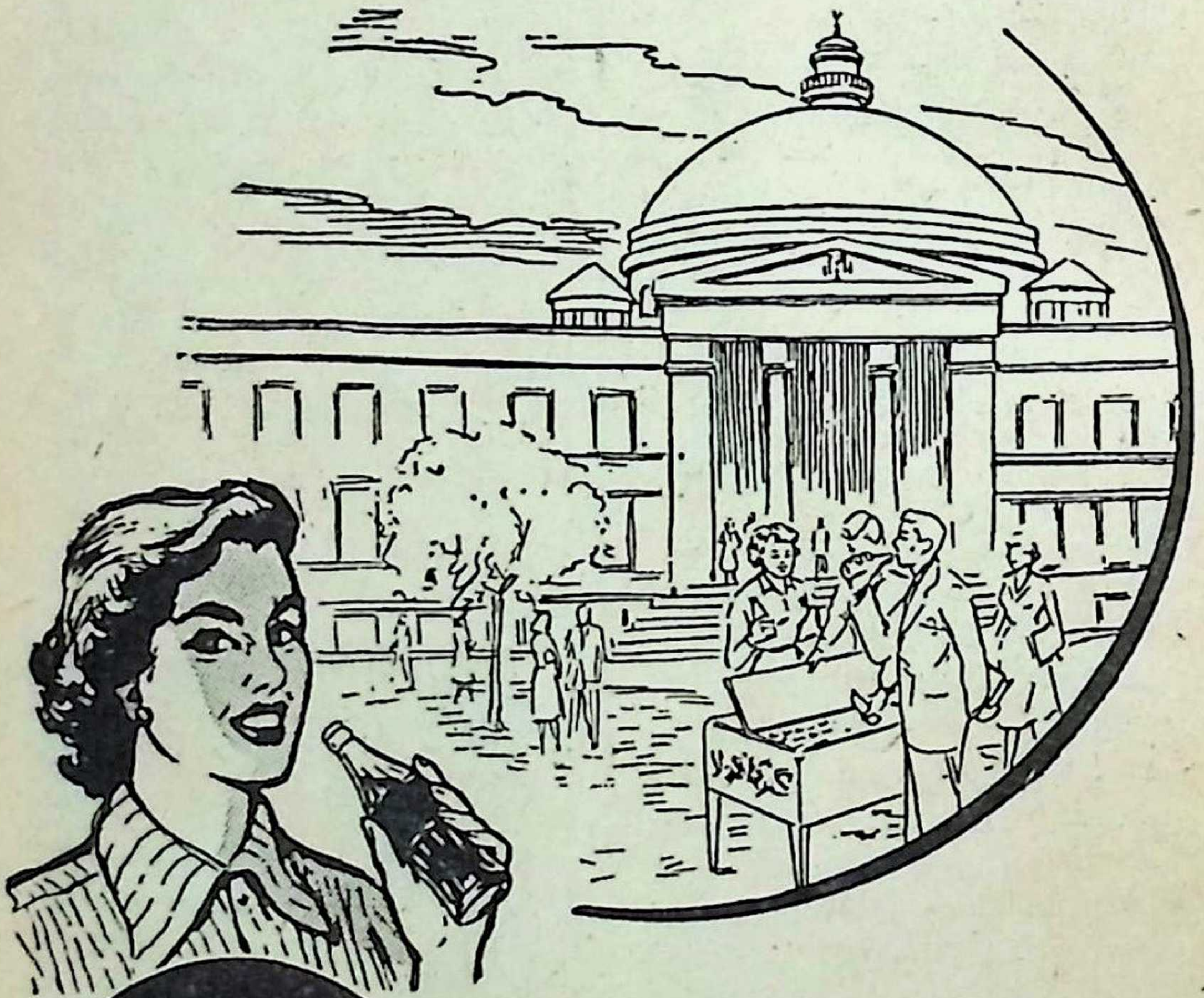
ولكن .. كان في الوسع استغلال المروحة القائمة بقرب الشاطئ في مزيد من المناظر .. وكان في الامكان الافادة من مناظر كورنيش الاسكندرية

ثم ، كيف عنى المخرج - او لعله المؤلف - باظهار اهتمام جد « فائن » بطريقة زواجها اهتماما بالغا .. ثم اغفل هذا الجهد او نسيه .. فاذا الجهد لا يبدو بعد خطوبة الفتاة ولا يشترك معها في الاهتمام بخطيبها المريض ، رغم انه ولى امرها ومقيم معها ..
والخلاصة .. ان التمثيل : كان

كثيرا لمشاهدة المروحة .. وفي جلسة علاجية اخرى مع المريض ، يروى سر العقدة الثانية .. وترجم «الكاميرا» الحديث فقد حدث ان كان «عماد» في زيارته الصباحية لموقع مروحة الهواء ، ذات يوم ، واذا به يلتقى بفتاة (زهرة العلى) تجلس وحيدة على الساحل الخالى ، وقد استغرقت في قراءة كتاب .. ويشير منظرها فضوله ، فيقترب منها ، ولشد ما يؤخذ اذ يرى فيها صورة اخته الميتة .. ويحبها .. وتسمح له بان يقابلها في تلك البقعة من الساحل لاكثر من مرة ، على شرط ان يغادرها في وقت معين .. وفي احدى المرات حدثها عن قصة قراها .. قصة فتاة مصابة بشلل الاطفال ، هامت حبا بشاب لم يلبث ان تبين انها لا تقوى على السير .. وترى حبا يحضر فتلحق به وتنتحر ..
ويعجب «عماد» اذ يرى الفتاة تضطرب وتنتابها الانفعالات اثر روايته .. ويلمس انها تخفى عنه امرا ، فيتظاهر بالانصراف ، ويتسلل الى مروحة الهواء فيكمن في برجها ويرقب من ثغرتها ما تفعله الفتاة بعد ان يفارقها ..

(وينسى المخرج تقدير مدى بصر الانسان ، فاذا المروحة تبدو بعيدة كل البعد عن الشاطئ) .. ويتبين «عماد» ان الفتاة كسيحة .. وان هناك من ياتى فيحملها الى سيارتها !

في الجامعات وبين المحاضرات كوكا كولا صديق الطلبة والطالبات



انثعش بشرب كوكا كولا
بين المحاضرات لتستأنف
عملك وأنت في قمة النشاط

أصحاب امتياز التعبئة: مصانع تعبئة سيكو

يصور آخر ما وصلت اليه المرأة
الأمريكية من فنون الاغراء سعيا
وراء الفوز بزواج .. وزوج
مليونير !

والفيلم من تمثيل : « مارلين
مونرو » و « بتى جرابل »
و « لورين باكال » و « رودى
كالهورن » و « دويلم باول » .. وهو
يصور قصة ثلاث فتيات أمريكيات
دفع بهن الطموح الى أن يسعين
للزواج بأى رجل .. على شرط
أن يكون مليونيرا .. فلا يهم بعد
ذلك ان كان عجوزا ، او قصيرا ،
او عاجزا ، طالما أن له رصيда من
الدولارات مكونا من سبعة أرقام
او أكثر !! .. وعلى هذا الاساس
دارت حوادث القصة ، فى روح
مرحة يتخللها فى كثير من اللقطات
استعراض للملابس النساء فى الصيف
والشتاء والربيع .. واستعراض
لمناظر نيويورك وأحراش أمريكا ..
وكل هذا استغلال لصور
السينما سكوب الملون من غير شك .
ويبدأ الفيلم بخطا من المخرج ،
اذ ظلت الكاميرا لا تتحرك لمدة عشر
دقائق على احدى فرق
« (الفيلهارمونيك) » الموسيقية دون
أن تكون لذلك صلة بالفيلم !! ..
وقصة الفيلم لا بأس بها لتقضية
الفراغ ، فهي للتسلية ولا تحتمل
أكثر من هذا . واعتقد أن سبب
نجاحها المتوسط هو اشتراك
مارلين مونرو فى الفيلم والدعاية
الكبرى من حولها !! .. والفيلم
« أمريكى » فى التفكير والخراج
والتأليف !

متوسطا فى المجموع !! .. والموسيقى :
جيدة ولكنها لم تستغل كما ينبغى ..
أما التصوير ، فإنه ضعيف ..
وكان شديد البطء فى كثير من
الاحيان الى درجة تبعث الملل !! ..
والحوار : أكثر ممّا ينبغى ..
والصوت : أقل من المتوسط
صائدات المليونير

♦ وتعرض القاهرة فيلمها الثانى
للسينما سكوب بعد فيلم « الرداء »
.. و « صائدات المليونير » - أو
« كيف تتزوجين مليونيرا » كما
هى ترجمة العنوان الاصلى -
على تقيض فيلم السينما سكوب
الاول « الرداء » تماما .. فذلك
دينى بصور طرقا من حياة الشرق
والماضى البعيد ، فى حين أن هذا



مارلين مونرو

أنت الأنيق
وقيل مع م. الملوحة
«الاشقيا الشجوان»
بمينا مشرق



والآن احفظي نفسك بجمالها وبرائها
باستعمال احمر الشفاه

«نضرة كالزهرة»

ماكس فاكتر هوليفود الذي يبقى طويلا

- * يبقى اللون ثابتا حتى تزيلييه
- * لا يجف ابدا وهو على شفطيك
- * سهل في وضعه واكمل في تغطيته
- * ألوانه ثابتة جذابة وتركيبه لا يضر
- نسيج الشفاه الرقيق .
- * هو الأنعم لأنه يحتوي على اللانولين
- أكثر من أي احمر شفاه آخر...

٢٦ ٤٢ ٦٤

شاهدي المجموعة الكاملة لأحمر الشفاه
ماكس فاكتر السري الجديد فهي
قطعا أجمل ما تشي شفاك
وأقد ما يسيرا الإغراء...
أحمر الشفاه

ماكس فاكتر هوليفود
Max Factor Hollywood



يباع في جميع المحلات الكبرى ومحازن
الأدوية والصيدليات ومحلات العطور
الموزعون: "ناديكو" الشركة الأهلية للتوكيل والتوزيع
فيستا وشركاه ش.ت. ١٠ القاهرة س.ت. ٢٢١٣



اعلان

تقبل العطاءات بمصلحة السياحة
بالقاهرة لغاية الساعة ١٢ ظهر يوم
٦ مايو سنة ١٩٥٤ عن مناقصة
اقامة استراحات ومكاتب وجراجات
بالسده والكيب - بمصيف رأس
البر ويمكن الحصول على الشروط
من مكتب مصيف رأس البر بدمياط
نظير مبلغ ٢٠٠ مليما بخلاف اجرة
البريد وتقدم الطلبات على ورقة
دمغة فئة الخمسين مليما - ٧٥٣٠

وزارة الاشغال العمومية

مصلحة الميكانيكا والكهرباء
مطلوب تقديم عطاء لغاية ظهر
يوم ١٨ مايو سنة ١٩٥٤ عن توريد
عدد ٢٩ ثلاجة تعمل بالكيروسين
لوزارة الصحة . ويمكن الحصول
على دفتر الشروط مقابل ٣٥٠ مليما
للسنخة الواحدة بخلاف ٦٠ مليما
أجر بريد ويقدم تأمين ابتدائي
بواقع ٢ فى المائة مع العطاء والا
فلا يلتفت اليه. ٧٤٦٣

مجلس بلدى طنطا

تقبل العطاءات حتى ظهر يوم
الثلاثاء ١٨ مايو سنة ١٩٥٤ عن
توريد زلط فولى للرصف
وتطلب الشروط والمواصفات من
المجلس على ورقة دمغة فئة ٥٠ مليم
نظير مبلغ ٣٠٠ مليم للسنخة
بخلاف اجرة البريد وكل عطاء لا
يرفق به تأمين ابتدائي قدره ٢
فى المائة من قيمته لا يلتفت اليه .
٧٥٢٠ لا يلتفت اليه - ٧٥٣٩

مجلس بلدى طنطا

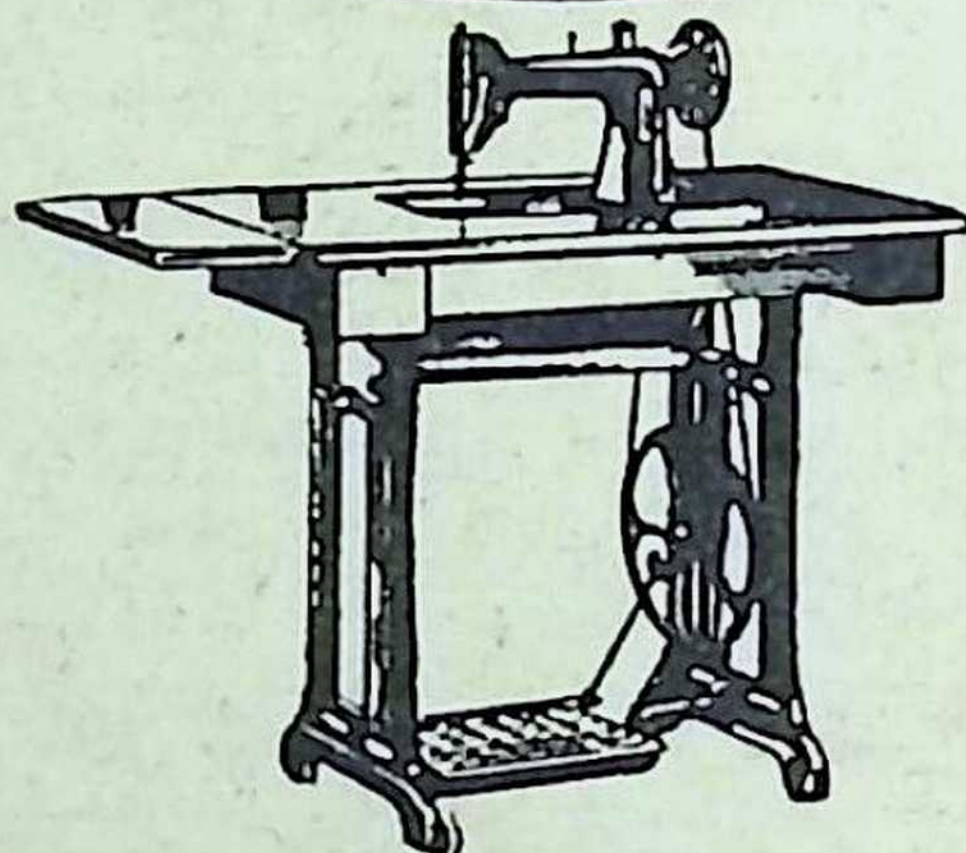
تقبل العطاءات حتى ظهر يوم
الثلاثاء ١٨ مايو سنة ١٩٥٤ عن
عملية انشاء كشكين للشبكة
الكهربائية وتطلب الشروط
والمواصفات من المجلس على ورقة
دمغة فئة ٥٠ مليم نظير مبلغ ١
واحد جنيه للسنخة بخلاف اجرة
البريد وكل عطاء لا يرفق به تأمين
ابتدائي قدره ٢ فى المائة من قيمته
لا يلتفت اليه - ٧٥٣٩

اعلان مناقصة

تقبل العطاءات بمكتب تفتيش
مشروعات رى مصر العليا باسنا
لغاية الساعة الثانية عشر من ظهر
يوم الاربعاء الموافق ١٢ مايو سنة
١٩٥٤ عن توريد ادوات لازمة
لتأثيث المنازل القائمة ويشمل :
١ - اطقم للمطبخ واطقم للسفرة
وخلافه .
٢ - ملايات وبطاطين وفوط

وسجاد وخلافه
ويمكن الحصول على المواصفات
مقابل دفع مبلغ ١٥٠ مليما بخلاف
مائة مليم اجرة البريد وتقدم
الطلبات على عرضحال تمغة فئة
خمسین مليما . مع ملاحظة ان
التفتيش سوف لا يلتفت بتاتا
للعطاءات الغير مصحوبة بتأمينات
ابتدائية كاملة . ٧٥٠٠

Husqvarna



ماكينات خياطة للاستعمال
المنزلي ولأعمال البرودريه

ماركة
هوسقفارنا
الممتازة

المصنوعة من الصلب لسرعة القوي

اولاد رئيس نساكبيان وشركاهم

١٧ ميدان العتبة (معرض هوسقفارنا)

٣٧١٦٨

تليفون ٤٥٣٦٢ مصر -

محتويات الكتاب

الصفحة

الموضوع

٧	مقدمة العدد
٩	انطواؤه ٠٠ دمره ! : قصة مصرية للمحرر
١٩	أبواب الحب المغلقة : (كتاب علم النفس)
	رأس المال : « انجيل » الشيوعية ، للمفكر الالماني كارل
٤٧	ماركس (مع قصة حياته)
	ديزيرييه : (الخطيبة التي هجرها نابليون) ، من قصص
٧٥	التاريخ وماسيه
	بودلير : (الشاعر الرجيم) : قصة حياته ، وغرامياته ،
١٠٩	ونماذج من ديوانه « أزهار الشر »
١٣٣	ترويض النمرة : الكوميديا الخالدة ، لشكسبير
١٥١	الخوف : قصة كبرى للروائي النمساوي « ستيفان زفايج »
١٨٦	النقد الفني : بقلم كمال الملاح

نتيجة استفتاء « كتابي »

◆ بعد فرز ردود القراء الاعزاء الذين اشتركوا في الاستفتاء الخاص
بوثة كتابي في مستهل عامه الثالث ، منحت الجوائز الخمس (وهي اشتراك
لمدة سنة في كتابي ومطبوعاته) للسادة : محمد السيد حسنين ، ١٣ شارع
بهجت باشا ، باكوس - رمل الاسكندرية ٠٠ ولسن ميخائيل جورجى ، مدرس
بمدرسة الاقباط الثانوية بالسويس ٠٠ ابراهيم بنى ونيس على خانقيوه ،
عن (متوسطة الرسمية للبنين خانقيوه - العراق) .. عبد الملك شمس
ابراهيم ، مدرس (بريد سبك الضحاك) .. محمد تيمور شحاته ، صندوق
بريد ٤١ - طنطا .. وقد قيد حضراتهم في سجل المشتركين ابتداء من
هذا العدد .

أبواب دائرة المعارف

◆ حال طول بعض مواد هذا العدد دون نشر الكثير من الابواب في
دائرة معارف الثقافة العالمية ، وموعدا بها العدد القادم باذن الله .

كتابي

الحب .. وفنوار الطيقات !

« ولم يتم ليلتها .. فقد فطنت لأول مرة إلى أن فطيرها الشرى لم يعرف لها يومًا عن الحب مثلما فعل البستاني، الذي أيقظ في نفسه شيئًا لم تدركه ولا كان لها عهد به من قبل !
وراحت تتأمل والدمع في عينيه .. وترددت في أذنيها أصدا
لرجة الجريئة، الصادقة، الحارة .. وضفت تذكر وجهه وملامحه : كان
وسيمًا، قارع الطول، متين البنيان .. وقارنته بخطيرها، وكلما أمنت
في تذكر أوصافه، ازدادت ميل إليه ! .. وظلت هكذا حتى الصباح ..
ثم هبطت إلى الحديقة، وإذا البستاني أمامها وجهًا لوجه .. وكانت
أما ربه تنطق بأنه هو الآخر قضى الليل مسهرًا .. وسمعه يقول
في صراحة وبساطة :

- انني لم أزد للنوم طعمًا ، لا لأنني سأفقد عملي، وإنما لأن
الرجل إذا أحب امرأة حبًا صادقًا فإنه لا يقوى ما عاش على حب سواها ..
ولقد ظلمت سنوات أهلك في صمت ، فكان تصرفك بالأس صفة قاسية
.. اقتظنين انني اذا تركت عملي سأقوى على أن أسألك ؟ .. انني
أهلك .. أتقرفين معنى ذلك ؟

ودقت مشدوهة ، فقد أشعرتها لرجة بأنه أسمى منها وأرفع ..
وبدأ من أن تستعيط غضبًا، أمنت بأن كلماته تقفزت إلى اعماق
فؤادها !

من "أبواب الحب المفلقة" أهم موضوعات هذا العدد